

عملية البنك الأيرلندي

عملية البنك الأيرلندي

تأليف: **ريتشارد أوراو**

ترجمة: هند عادل

تحرير: سارة نجيب

مراجعة لغوية: نهال جمال

الطبعة الأولى: يناير 2021

رقم الإيداع: 14349 / 2020

الترقيم الدولي: 9789773195922



© جميع الحقوق محفوظة علَى النَّاشر

60 شارع قصر العيني – 11451 – القاهرة - مصر

ت:27921943 (202+) – 27954529 (202+)، ف:27947566 (202+)

www.alarabipublishing.com.eg

تصميم الغلاف: إسلام علام

Copyright © this translation of *Northern Heist* is published by arrangement with Merrion Press
© Richard O'Rawe, 2018.

ريتشارد أوراو

عملية البنك الأيرلندي

روايـة من أيرلندا

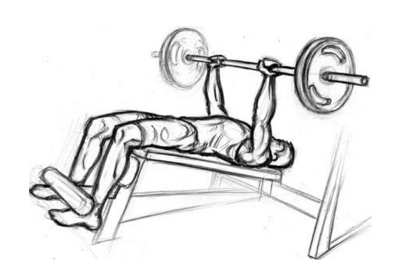
ترجمة: هند عادل

الرواية مستوحاة من أحداث حقيقية



بطاقة فهرسة
أوراو، ريتشارد
عملية البنك الأيرلندي: رواية من أيرلندا/ تأليف: ريتشارد أوراو، ترجمة هند عادل.
– القاهرة: العربي للنشر والتوزيع – 2020.
ص، سم. تدمك 978977319592
1– القصص الأيرلندية
أ– عادل، هند (مترجم)
ب– العنوان 891,623

1



يقولون إن الكسل يسري في الدم، لكن ليس في دم "جيمس أوهاري" الشهير بـ"راكشنز"، حين يتعلق الأمر بسرقة البنوك.

في چيم "أر چي" في شارع "بوتشر" بمدينة بلفاست الأيرلندية، راقب "راكشنز" صديق طفولته "بيلي كيلي" وهو يعيد الأوزان مكانها ثم يتفحص عضلات ذراعه المنتفخة بإعجاب.

صاحت مدربة اللياقة البدنية في متدرباتها لتشجعهن على بذل مزيدٍ من الجهد وتعذيب أنفسهن. هناك رجل في منتصف العمر يشبه "أرنولد شوارزنيجر"، سار حول الصالة وهو يرتدي "شورتًا" رياضيًّا ضيقًا ويضم قبضتيه اللتين يغطيهما بقفازٍ أسود بلا أصابع. راقب شبيه "أرنولد" أصحاب الكروش وكبار السن. دوت عبر السماعات أغنية "The One and Only" لـ"تشيسني هاوكس"، بينما نظر الرياضي شبيه "أرنولد" إلى نفسه بإعجابٍ في المرآة الممتدة من الأرض إلى السقف. لمح "بيلي" فغمز له بتحية وسار إلى قضيب رفع الأثقال. فتح "بيلي" زجاجة الماء ورفعها إلى فمه. إنه بطل في رفع الأثقال للوزن الخفيف.

"راكشنز" في الخامسة والأربعين من العمر، شعره أشقر، وشفاهه عريضة، وأنفه رفيع، وجسده رياضي. استلقى على مقعدٍ وتنفس بعمق استعدادًا لرفع مجموعة من الأوزان. بعد خمس رفعاتٍ فقط، أطل عليه وجه "بيلي" بالمقلوب وقال:

- مئة وخمسون ألفًا قبل العملية. هذا ما قلت إنك ستعطيني إياه.
ترك "راكشنز" الأوزان ونهض، ثم حرك إصبعه في وجهه وقال:
- مهلًا يا "بيلي".
- دعني أوضح الأمر.
- نعم؟
- ستعطيني مئة وخمسين..
- لن أعطيك شيئًا يا "بيلي".
قال "بيلي":
- حسنًا، عميلك ســ...
- أي عميل؟
- الذي نعرفه تمام المعرفة.
- نحن نعرف الكثير من الناس تمام المعرفة يا "بيلي"، قد يكون أيًا منهم الشخص الذي تقصده.
تجاهل "بيلي" استفزاز "راكشنز"، وقال:
- لنشير إلى ذلك الشخص باسم "روبن هود".
تظاهر "راكشنز" بالدهشة وقال:
- لقد خمنت اسم عميلي.
قال "بيلي":
- حسنًا، "روبن هود" سيعطيني..
سكت لينظر حوله تحسبًا لوجود أي شخص بجانبهم ثم واصل:
- سيعطيني مئة وخمسين ألف جنيه إسترليني قبل تنفيذ العملية، صحيح؟
- نعم.
نظر "بيلي" بعينيه الخبيثتين إلى "راكشنز" ليحاول تخمين ما يدور بباله، ثم قال:
- لا بأس بالأجر.
لم يخفِ "راكشنز" انفعاله وهو يقول:

- لا بأس بالأجر؟ تبًّا، هذا كل شيء؟! هل أنت جاد؟

قال "بيلي" وهو يشير بإصبعه إلى "راكشنز":

- هناك خدعةٌ في الأمر، هيا يا صديقي، أنا أعز أصدقائك. ما الخدعة؟

وضع "راكشنز" ذراعيه على كتف "بيلي" وقال:

- لقد انضممنا معًا إلى نادي ملاكمة "إماكولاتا"، صحيح؟

- نعم.

وعلمتك السباحة في مسبح "Falls Baths"، صحيح؟

قال "بيلي":

- بل أنا من علمتك.

تذكر "راكشنز" أن "بيلي" من النوع المجادل حتى آخر يوم في حياته، فقال له:

- ثق بي يا "بيلي"، لا توجد خدعةٌ في الأمر. بمجرد أن تقبض العربون سيصبح ملكك، وستحصل على باقي المبلغ الضخم بعد انتهاء العملية، حتى لو ألغيت العملية في آخر لحظة، ستحصل على باقي المبلغ، لو ألقت الشرطة القبض على رجالك سيحصلون على المال فور خروجهم من السجن.

- داعب "بيلي" شاربه الأسود وقال:

- فهمت.

همس "راكشنز" لـ"بيلي" إن زمن العمليات التافهة قد انتهى، وقال:

- تذكر أنك زعيم الفريق، ستدفع لرجالك حسب ما يستحق كلٌّ منهم في رأيك. صدقني يا "بيلي"، لا يوجد عرضٌ أفضل من ذلك.

- "روبن" ليس سخيًّا.

- لم أقل إنه كذلك.

- إذًا لكي يستعيد ماله ويحصل على الأجور التي دفعها، يجب أن تنجح العملية.

- بالضبط.

قال "بيلي" بابتسامة:

- "راكشنز أوهاري"، من الأفضل أن تكون واثقًا مئة بالمئة.

- ألست كذلك دائمًا؟
- سأشارك، أنت تعلم ذلك بالفعل، تعلم من قبل أن تأتي إليَّ حتى.
نظر "بيلي" إلى عضلات ذراعيه في المرآة وغنى"I am the one and only...".
صمت قليلًا ثم قال لـ"راكشنز":
- لا بد أنكم تتوقعون غنيمةً ضخمة.
- أنا شخصٌ متفائل يا "بيلي"؛ أتوقع النتائج الجيدة دائمًا.
توقع "راكشنز" أن جشع "بيلي" سيسيطر عليه عاجلًا أم آجلًا، وهذا ما حدث.
قال "بيلي":
- هل يمكن أن أحصل على مئتي ألف يا "راكشنز"؟ لن يمانع صديقنا "روبن"، صحيح؟
- لا.
- هذا كل شيء؟
- نعم.
أومأ "بيلي" وقال:
- يجب أن أكون شاكرًا لحصولي على الفتات.
- أحيانًا يكون الفتات ضخمًا.
- نعم. حسنًا، سأشارك كما قلت.
أخذ "بيلي" منشفته ليذهب ثم توقف وقال:
- نسيت أن أسألك، كم لاعبًا سأحتاج؟
- خمسة على الأكثر، ربما أقل إن كنت لا تمانع في التجهيز بنفسك والتمسك بالأساسيات فقط.
رد "بيلي كيلي" مازحًا:
- اسمي الحركي هو "كيلي الاقتصادي"!
- هناك شيءٌ آخر.
- ما هو؟

- ربما أحتاج إليك لعملٍ إضافي، على الأرجح لن أفعل، لكن سأبحث عنك إن احتجت.
- والأجر؟
- الضعف.
- أنا تحت أمرك.

"شايموس مكان" رجلٌ فخورٌ بنفسه، طويل ونحيف، ويبدو عليه الخطورة، إنه ضابطٌ سابق في فرقة "ساوث داون" التابعة للجيش الجمهوري الأيرلندي، لكنه يبدو مثل مبشرٍ ديني أكثر من كونه جنديًّا قضى معظم حياته يخطط لقتل عناصر الجيش والشرطة البريطانيين.

ما زال الجو غائمًا في الصباح الباكر، و"شايموس" و"راكشنز" هما الوحيدان في ملعب جولف "برايت كاسل" خارج بلدة "داون باتريك".

ارتدى "راكشنز" قفاز الجولف الخاص به وأخرج مضربه ثم نظر إلى أول حفرة ممكنة وقال:

- ما الهدف من ضرب كرة؟

قال "شايموس" وهو يحرك رأسه محاولًا النظر عبر ضباب الصباح ليرى الحفرة:

- اصبر وسيزول الضباب قريبًا.

بينما يتنفس "راكشنز" الهواء المنعش الرطب كان "شايموس" يرفع المضرب ببطء ثم ضرب الكرة لتخترق الضباب، وقال:

- في المنتصف تمامًا.
- هل تظن ذلك؟
- أنا واثق، لم أخطئ في هذه الحفرة منذ عشر سنين.

غرس "راكشنز" حامل الكرة في الأرض ثم ثبت كرة الجولف عليه. لوح بالمضرب بضع مراتٍ للتجربة ثم ثبت ذراعيه وركز على الكرة وضرب بقوة؛ طارت الكرة نحو الأشجار التي على اليمين.

قال "شايموس":

- محاولة لا بأس بها، لكنك لم تصوب نحو الحفرة. أحضر كرتك، ستجدها بسهولة.

جر الرجلان حقيبَتي الجولف خلفهما بينما يسيران إلى الكرة.

- ألا تشتاق إلى الماضي يا "شايموس"؟ أعني إلى الجيش الجمهوري والصراع.

- لا، لقد ولت تلك الأيام، لقد مات الكثير من الناس سدى يا "راكشنز"، والباقي قضى مدةً طويلة في السجن، مثلما قضيت أنا اثنتي عشرة سنة قاسية.

- نعم، لقد أخبرتني بذلك سابقًا.

- حقًّا؟ حسنًا، ماذا كنت تقول؟

- عن ماذا؟

- عن المبلغ الضخم.

- نعم، صحيح. عميلي..

- "بانزر أوهاري".

نظر "راكشنز" بحدةٍ إلى "شايموس" وقال:

- عمي ليس العميل.

تفحص "شايموس" تعبيرات "راكشنز" بدهشةٍ وحيرة وهو يتساءل: "هل تحاول قراءة أفكاري يا "راكشنز"؟ نعم، تفعل أيها الوغد". لم يستطع "شايموس" منع ابتسامته، وكذلك "راكشنز". لقد عملا معًا من قبل، وكلاهما يعرف تمامًا أن "بانزر" هو العميل، لكن إن اعترف "راكشنز" بذلك سيكون تصرفًا غير احترافي.

رفع "شايموس" ذراعيه وقال:

- اعذرني بشأن ذلك.

أومأ "راكشنز" قبولًا لاعتذاره. بينما كانا يسيران نحو الأشجار قال "راكشنز":

- قرر عمي استثمار مبلغٍ ضخم لجمع فريقٍ يكون مستعدًا لحجز بعض الأشخاص لمدة أربعٍ وعشرين ساعة أو ست وثلاثين على الأكثر.

- أكمل.

- سيدفع المبلغ مقدمًا.

- قبل العملية؟

- نعم.

- إذًا كل ما عليهم فعله هو حجز بعض الأشخاص إلى حين انتهاء العملية. هل من شيءٍ آخر؟

- هذا كل شيء.

- وماذا عن المال؟

- سيكون جاهزًا قبل أربعٍ وعشرين ساعة من بدء العملية.

أشار "شايموس" إلى الأشجار وقال:

- كرتك هناك.

دخل الرجلان وسط الأشجار للبحث عن كرة "راكشنز". أخيرًا وجدها وأخرج عصًا من حقيبته.

تمشى "شايموس" قليلًا والأفكار تعصف برأسه كسياراتٍ تصطدم ببعضها. ظل يحدث نفسه: "سنتقاضى أجرنا قبل العملية؟ لكن لن نحصل على نسبةٍ من الغنيمة؟ لا بد أن "بانزر" العجوز يتوقع غنيمةً ضخمة. مهلًا يا "شايموس"، مهلًا يا ولد، سيغادر "راكشنز" إن ابتعدت كثيرًا، وربما لن يفعل، سيجمع فريقًا آخر. سيفعل. لن يفعل. بل سيفعل".

أخرج "راكشنز" كرته العالقة وسط الأشجار. لقد زال الضباب كما توقع "شايموس"، وسقطت كرته في منتصف المسار كما توقع أيضًا. أخرج "شايموس" مضربه وضرب الكرة بعيدًا.

قال "راكشنز":

- ضربة موفقة. يبدو أنك ستلتزم بعدد الضربات التي حددتها لنفسك من البداية.

ضرب "راكشنز" كرته عاليًا في منتصف المسار، وسارا إليها على مهل.

قال "شايموس" بتعالٍ:

- والشخص الذي يتولى هذه المهمة، على كم سيحصل مثلًا؟

- مئة وخمسون ألفًا.

رفع "شايموس" حاجبيه بدهشة، فعلم "راكشنز" جوابه بالفعل. أدرك "شايموس" فورًا الخطأ الذي ارتكبه عندما كشف ردة فعله، فحاول أن يبدو غير مبالٍ وهو يقول:

- لا بأس. كم رجلًا تحتاج؟

- هذا قرارك كزعيمٍ لرجالك، لكن لن نحتاج الكثير، ربما ثلاثة أو أربعة على الأكثر. يحدد الزعيم أيضًا على كم سيحصل كل فردٍ من رجاله. لا أهتم ما داموا سينفذون العملية.

- فهمت.

توقف "شايموس" ثم استدار إلى "راكشنز" وسأله:

- كم ستكون أرباح العملية؟

- هذا ليس من شأنك.

لم يستطع "شايموس" إخماد صوت الجشع بداخله؛ ظل يحثه: "اطلب نسبة من الغنيمة"، فقال:

- لكنه شأني بالفعل، أريد أن أحصل على نسبةٍ من..

- انتهى النقاش.

أغلق "راكشنز" حقيبته وفك قفازه ثم مد يده ليصافحه ويقول:

- أراك لاحقًا يا "شايموس".

اندهش "شايموس" من انقلاب الوضع فجأة، فصافح "راكشنز" تلقائيًّا لكن قبضته كانت ضعيفة.

قال "راكشنز":

- عد هذه المحادثة لم تحدث أبدًا. هل فهمت؟

بدا "شايموس" يائسًا مثل رجلٍ هدم بيته وهو يبحث عن تذكرة يانصيب لكنه لم يجدها في النهاية، فقال:

- مهلًا يا "راكشنز"! يمكننا التفاوض على الأقل.

نظر "راكشنز" إلى ساعته وقال:

- عليَّ الذهاب؛ يجب أن أكون على الطريق الساعة الحادية عشرة والنصف.

لم يفهم "شايموس" أي طريقٍ يقصد، ولم يهتم أيضًا. عندما شعر أنه سيخسر مالًا قرر أن يتهاون ويلين، فمد يده بودٍّ إلى "راكشنز" قائلًا:

- مهلًا يا "راكشنز"، لن تلومني من أجل خلافٍ بسيط.

قال "راكشنز":

- لقد قلت ما لديك وأنا انسحبت، هذا كل شيء.

ابتسم "شايموس" وأشار بمضرب الجولف إلى "راكشنز" وهو يقول:

- لو كنت مكاني لفعلت الشيء نفسه. اعترِف.

لو أن "شايموس" يشعر برغبةٍ في التسلية فـ"راكشنز" ليس كذلك. حرك رأسه وكأنه يفكر في اختياراته.

قال "شايموس":

- لقد شعرت بالطمع. لن يتكرر هذا.

- لا داعي للكلام الفارغ.

- حسنًا يا صديقي.

قال "راكشنز" لنفسه: "نلت منك تمامًا يا "شيميبو". ثم قال لـ"شايموس":

- حسنًا، إن أشركتك في هذا العمل فأنا أنتظر منك القواعد المعهودة نفسها.

- أعرف؛ لا أدلة، والمعرفة بقدر الحاجة فقط.
- أريد عمليةً نظيفة واحترافية.
- ألا نفعل ذلك دائمًا؟
- كالعادة، أنا الوحيد الذي يعرفك بين رجالي، وأنت الوحيد الذي يعرفني بين رجالك. لنحافظ على الوضع هكذا؛ بيني وبينك فقط. نحن نحمي بعضنا بعضًا.
- "راكشنز"، أنا الشخص الحي الوحيد الذي يعرف أسماء المتطوعين الذين قتلوا أربعة عشر جنديًّا وشرطيًّا من البريطانيين. أعرف كيف أحفظ السر.
- أعرف ذلك، لكن هناك بعض الكلام الذي يجب أن يقال، وبما أننا نتحدث في هذا الموضوع..
- ليس عليك أن..
- اسمعني..
- أقول لك أن..
قاطعه "راكشنز" بغضب:
- اللعنة، اسمعني!
قال لنفسه: "أنت لم تعد ضابطًا في الجيش الجمهوري الأيرلندي يا "شيميبو"، أنا من يعطي الأوامر وأنت تطيع". ثم قال:
- سيغضب عميلي بشدة إن طرق الجيش الجمهوري الأيرلندي على بابه.
قال "شايموس" بجمود:
- هذا لن يحدث.
- هذا أفضل.
كلمة فارغة أخرى وسيفقد "شايموس" أعصابه.
- هل تهددني؟
- أنا لا أهدد، بل أوضح الموقف بالنيابة عن عميلي.
- لا تحدثني وكأنني طفلٌ صغير.

- لا أفعل ذلك أبدًا.
- هذا ما بدا لي.
- أعتذر إن بدا كلامي كذلك.
ابتلع "شايموس" ريقه ليهدأ ثم قال:
- حسنًا، لن أخبر الجيش الجمهوري الأيرلندي شيئًا عن العملية، أقسم لك بشرفي.
ارتدى "راكشنز" قفازه مجددًا وفتح حقيبة الجولف وأخرج المضرب، ثم قال وهو يستعد لضرب الكرة:
- سأدخل الكرة في الحفرة.
استدار لــ"شايموس" وقال:
- شيءٌ أخير قبل أن نبدأ العمل الجاد.
- ماذا؟
- يجب ألا تندم.
- لا أفهم.
صمت "راكشنز" ثلاثين ثانية ثم قال:
- الأمر بسيط؛ لا أريدك أن تشعر بالطمع مجددًا بعد العملية، لا أريدك أن تلح عليِّ لتحصل على مالٍ أكثر، ما سنتفق عليه الآن سيظل ثابتًا. هل أنت موافق؟
غضب "شايموس" وكاد يفقد أعصابه وهو يقول:
- هل تحاول أن تجعلني أبدو أحمق؟
- لا، أنا فقط أوضح الـ..
- توضح الموقف بالنيابة عن عميلك، أعرف، سمعتك في المرة الأولى.
مد "راكشنز" يده مجددًا وقال:
- هل نحن متفقان؟
صافحه "شايموس" بقبضةٍ قوية هذه المرة وهو يقول:
- متفقان.

2



بدا وجه "فينبار أوهاري" شاحبًا مثل معجون الدهان، وعيناه سوداوان كالفحم. هناك والده "جوني أوهاري" الشهير بـ"بانزر"، وهناك "جيرارد أوريلي" الشهير بـ"جيك"، أحمر الشعر والوجه والرقبة. شاهدا "فينبار" وهو يخرج من بيت المزرعة الذي يسمونه "البيت الكبير"، سار الفتى ذو الاثني والعشرين عامًا بقوةٍ في ساحة المزرعة واتجه نحو الحظيرة التي في المنتصف، حك "بانزر" لحيته الرمادية القصيرة جدًّا وهو يقول لنفسه: "هذا الأحمق ينوي عملًا ما، عملًا شريرًا". تأكدت شكوك "بانزر" عندما أخذ "فينبار" شوكة الزراعة المستندة إلى جدار الحظيرة من الخارج. قال "بانزر" لـ"جيك":

- اذهب واعرف ماذا ينوي.

في وسط الحظيرة وقف الميكانيكيان "رودي" و"أبل" ينظران تحت غطاء محرك شاحنة نقل، نزل ميكانيكي آخر في خندق لكي يعمل تحت سيارة "نيسان" سوداء. هناك ثلاث أكوام من إطاراتٍ جديدة مكدسة بنظامٍ في زاوية، وفي زاويةٍ أخرى هناك خمسون بطارية سيارة مستعملة، وقطع غيار جديدة لشكمانات سيارات تملأ الرف العلوي. ترددت في المكان أغانٍ جديدة صادرة من راديو موضوعٍ على مقعدٍ ملطخ بالزيت. هناك امرأة تكشف الكثير من صدرها، جلست تدخن سيجارة ضخمة وهي تنظر إلى نتيجة لأيام السنة.

سار "فينبار" إلى الميكانيكيين حاملًا شوكة الزراعة بيديه الاثنتين، ثم غرزها في فخذ "أبل" الأيسر. أطلق صرخة ألمٍ تلقائية وهو يستدير ومعه مفتاح إنجليزي استعدادًا لرد الضربة. وضع "فينبار" طرف الشوكة على عنق "أبل". إحدى يديه تمسك عصا الشوكة من أعلى، والأخرى وضعها مفرودة على قمة العصا استعدادًا لدفعها في أي لحظة، فترك "أبل" المفتاح الإنجليزي من يده ليقر بالاستسلام.

اقتحم "جيك" الحظيرة وقال:

- ماذا يحدث هنا بحق الجحيم؟

تجاهله "فينبار" وقال بابتسامةٍ شريرة:

- إياك أن تنعتني بالوغد مجددًا، وإلا أقسم بأنني سأملأ عنقك بالخروم حتى يبدو أشبه بمبشرة الجبن.

- أنا لم..

قاطعه "فينبار" بغضب ويداه تشتد على شوكة الزراعة:

- أغلق فمك القذر اللعين!

صاح "جيك":

- "فينبار"، اترك الشوكة واخرج! اخرج فورًا بحق الجحيم!

تراجع "فينبار" لكنه ظل يصوب الشوكة نحو "أبل".

قال "جيك":

- "رودي"، أحضر "أبل" إلى "البيت الكبير" وعالج جرحه.

سار "فينبار" إلى باب الحظيرة وقال:

- نجوت بفعلتك هذه المرة، لكن في المرة القادمة..

قاطعه "جيك" وهو يأمره:

- اخرج يا "فينبار"، الآن!

خرج "فينبار".

وضع "أبل" يده على فخذه ورفعها، وجدها مغطاة بالدماء فقال:

- ذلك الوغد طعنني في رجلي! سوف أ..

قال "جيك":

- لحسن حظك أنه لم يطعنك في عنقك.

قال "أبل" بهستيريا:

- هل ستدعه ينجو بفعلته؟

- سأبلغ الزعيم.

- هذا كل شيء؟ ستخبر والده أن ابنه الشقي أساء التصرف؟ هل هذا كل ما ستفعله؟!

- ماذا تريدني أن أفعل غير ذلك؟ أقتله؟ ربما عليَّ إخبار "بانزر أوهاري" أنك تريد قتل ابنه؟

تجعدت ملامح "أبل" ثم استدار إلى "رودي" وقال:

- اللعنة! خذني إلى المستشفى.

نظر "رودي" إلى "جيك"، فأومأ بالموافقة.

توقف "راكشنز" عند مزرعة "أوهاري" وأطفأ المحرك ثم نظر إلى التمثال البرونزي لجده على حصانه "فانتوم"، أي "الشبح". مكتوب على اللوحة المثبتة على قاعدة التمثال كلمة "ذا ديفيل"، أي "الشيطان"، وهو لقب جده. بالكاد يعرف "راكشنز" أي شيء عن جده تاجر الخيول الأسطوري. لكنه يتذكر بوضوحٍ أنه في عيد ميلاده السادس وقف خارج البوابة الضخمة لإسطبلات العائلة في شارعٍ "يوتري" المتفرع من طريق "فولز رود" في ضواحي بلفاست، وكان ممسكًا بيد جدته "ماري".

ما زال يتذكر المعطف البني الطويل القبيح الذي كان يغطي ركبتيه، والغطاء الصوفي الذي ارتداه على أذنيه حتى سخنتا، والرائحة العفنة لروث الأحصنة. كانت جدته تمسك بيدها الأخرى غليونًا أبيض تحشره أحيانًا في الجانب الأيمن لفمها عديم الأسنان. ظهر بعض الشعر الأبيض من تحت شالها الأسود، بينما جلدها

الشاحب بالكاد كان يكسو العظام البارزة لخديها وفكها. قالت له وهي تلوك الغليون: "افتح عينيك جيدًا يا "جيمس"؛ "ذا ديفيل" ورجاله سيأتون قريبًا".

نظر الفتى حوله بحيرة. على الجانب البعيد من بوابة الإسطبل ظهرت خطوط الطريق الصفراء وكأنها تشتعل قبل أن يغطيها ضباب الصباح.

حتى الآن بعد مرور عقود، ما زال "راكشنز" يسمع صوت حوافر الخيول على الممر المرصوف بالأحجار، بينما يظهر من الضباب ثلاثة فرسان على بوابة الإسطبلات. "ذا ديفيل" في المنتصف على حصانه الذهبي "فانتوم"، وأبناؤه "جوني" و"بوبي" على جانبيه. "بوبي" -والد "راكشنز"- كان يميل للأمام ليفرك أذن حصانه.

ما زال "راكشنز" يتذكر انبهاره عند رؤية "ذا ديفيل" على صهوة حصانه. ارتفعت ياقة المعطف البني الطويل الذي يرتديه جده حتى وصلت إلى قبعته السوداء المجعدة. الشيء الوحيد الذي كان ظاهرًا من وجهه هي عيناه التي بدت في خيال الطفل الجامح حمراء اللون. نظر "ذا ديفيل" إلى الجدة "ماري" ولمس قبعته بالسوط الخاص به ليحييها، ثم قاد "فانتوم" يسارًا بخطوةٍ سريعة نحو شارع "راجلان". وبينما رفعت الجدة "ماري" غليونها لتبادل زوجها التحية، طاف شبح ابتسامة على وجهها العجوز الشاحب. ما زال "راكشنز" يتذكر شعوره بالحسد عندما رأى اثني عشر رجلًا يتبعان "ذا ديفيل" في طريقهم إلى الميناء حيث سيتم شحن بعض الحيوانات إلى إنجلترا لبيعها.

استيقظ "راكشنز" من ذكرياته على صوت محرك سيارة تقترب. إنه "بانزر" ومعه "جيك"، كان يقود سيارة الجولف ذات الأربعة مقاعد حول "البيت الكبير"، وهناك حقيبة جولف على المقعد الخلفي.

توقف "بانزر" على مسافةٍ قصيرةٍ من "راكشنز"، ثم استدار إلى "جيك" وسأله:

- كيف حال "أبل"؟

قال "جيك":

- جرحه بسيط؛ سينجو.

- أعرف "أبل" جيدًا، لن يدع هذا الموقف يمر، يجب أن أتحدث معه.
- وعليك التحدث مع "فينبار".
- بالتأكيد.
- أنا جادٌ يا زعيم، هذا الفتى لا يتمالك أعصابه أبدًا.
- سمعتك بالفعل وانتهينا. أخبرني عما تعلمه في الفترة الماضية.
- لقد طلبت مني منذ عام أن أدربه على إدارة الأعمال.
- وماذا بعد؟
- إنه على وشك أن يصبح جاهزًا.
- على وشك؟
قال "جيك":
- نعم، بغض النظر عن عصبيته..
- ماذا؟
- يمكن تهدئته إلى حدٍّ ما، أتعلم؟
- حسنًا، واصل كلامك.
حرك "جيك" يده في الهواء وهو يتحدث بحماس:
- لا تفهمني خطأً، يكفي أن تخبره بالأمر مرةً واحدة فيفهمه فورًا، الفتى حاد الذكاء، فمثلًا البار الخاص بك لا يجني مالًا..
- صحيح، لا يفعل ذلك منذ سنوات.
- "فينبار" لديه حل.
- حقًّا؟
- نعم، يقول إنه من الأفضل تأجيره بسعرٍ مناسب والاتفاق مع المستأجر على نسبة من أرباح ماكينات القمار. هكذا ستجني بعض المال من البار بدلًا من خسارة المال بسببه، وستظل مالكًا له ومحتفظًا برخصته.
حرك "بانزر" رأسه مفكرًا وحك أذنه ثم قال:
- حلٌّ مناسب، لا بأس به أبدًا.

- لو قررت تأجيره حقًّا أود أن أتفاوض معك بشأنه. لقد أدرت عملًا من قبل.

- أعرف، كنت تدير خدمة سيارات أجرة، وكان عملك مزدهرًا إلى أن..

- إلى أن قرر ذلك القذر "تايني مردوخ" تدميري.

- ذكرني مجددًا.

- لقد أرسل أفرادًا من الجيش الجمهوري الأيرلندي لتهديدي لكي أغلق محطة سيارات الأجرة، وعندما رفضت أحرقها.

- ثم كسر رجلك؟

قال "جيك" وهو يفرك رجله لا شعوريًّا:

- نعم، ذلك القذر حطم رجلي بقالبٍ من الطوب الخرساني.

سأله "بانزر":

- متى حدث ذلك؟

رد "جيك" فورًا:

- منذ ستة أعوام، 12 أكتوبر 1998.

رفع "بانزر" حاجبه بدهشةٍ وقال:

- لو كنت مكانك، لما وصفت "مردوخ" بالقذر، إنه كذلك بالفعل، لكنه أيضًا من الجيش الجمهوري الأيرلندي، وهذا يجعله خطيرًا.

- ذلك الوغد حطم رجلي بقالب طوب خرساني بلا أي داعٍ.

رد "بنزر" بصوتٍ هادئ:

- أعرف أنه فعل ذلك. لنعد الآن إلى موضوع "فينبار".

"جيك" ليس مستعدًا للعودة إلى موضوع "فينبار"، إنه يريد التأكد أولًا من أن فكرة تأجيره لبار "بانزر" قد ثبتت في عقل زعيمه. قال:

- ستضعني في الحسبان إن قررت تأجير البار، صحيح؟

- بالتأكيد، والآن تحدث عن "فينبار".

بلل "جيك" شفتيه بلسانه وقال:

- إنه يتصرف بغرابةٍ أحيانًا، هل تفهمني؟
سأله "بانزر" مباشرةً:
- هل سيستطيع إدارة هذا المكان؟
- ليس الآن، لكنه سيفعل.
نظر "جيك" بشكٍّ إلى "بانزر" وسأله:
- هل تخفي عني شيئًا يا زعيم؟ لماذا اهتممت فجأة بإشراك "فينبار" في الأعمال؟
- أنت تدربه منذ عام بالفعل، الأمر ليس مفاجئًا أبدًا. اسمع، لقد أصبح كالشوكة في الحلق، يجب أن يتعلم الانضباط عن طريق تحمل المسؤولية.
- كل الأطفال كذلك، سآخذه إلى دبلن معي الأسبوع المقبل، ما رأيك؟
- فكرةٌ رائعة. لكن وضِّح له أنه سيكون مشاهدًا فقط ولن يتدخل، فتجار المخدرات هؤلاء في غاية الخطورة.
قال "جيك":
- أعلم ذلك.
سار قليلًا ثم استدار وقال:
- بخصوص مسألة دبلن..
- ماذا عنها؟
- هل هذا يعني أننا سنتاجر في المخدرات بشكلٍ دائم؟
- لا، إنها صفقةٌ واحدة.
- جيد، فأنا لا أحب المخدرات.

عندما ابتعد "جيك"، اقترب "راكشنز" من "بانزر" وجلس بجانبه في سيارة الجولف. ليست أول مرة يلاحظ فقدان عمه للوزن؛ سأل نفسه: "ماذا يحدث لك يا "بانزر"؟ ما الذي تخفيه عني؟ بدأ حالك يسوء مؤخرًا، هل مستك روحٌ شيطانية؟".
قال "راكشنز" لـ"بانزر":

- إنه يومٌ مناسب لتسلق الجبال.

رد "بانزر" وهو يقود خلف الإسطبلات ليذهب إلى حلبة سباق الكلاب:

- عليّ متابعة سباقٍ تدريبي أولًا.

يبلغ محيط المسار البيضاوي الترابي 660 ياردة، فيما تبلغ مسافة السباق التدريبي 525 ياردة. هذا هو متوسط المسافة في سباقات الكلاب السلوقية. لطالما كانت سباقات الكلاب الخاصة مصدرًا سهلًا للربح بالنسبة إلى "بانزر". معروف عنه ضمان السرية، ويثق عملاؤه في أنحاء أيرلندا أن التوقيتات التي تسجلها كلابهم تظل داخل حلبة سباقه سرية.

وقف "بانزر" يتحدث مع رجلٍ في منتصف العمر يرتدي معطف مطر وله شاربٌ ضخم ومرفوع للأعلى مثل شارب "سالفادور دالي"، ووقف بجانبه مساعده، إنه مراهق طويل ونحيل. أخرج "راكشنز" عملةً نقدية وأدارها بين أصابعه بمهارة. وقف عاملان عند خط البداية وأدخلا كلبين في الأقفاص. تحدث أحد العاملين عبر اللاسلكي ليعطي إشارة البدء، فتحرك الأرنب الآلي الذي يعمل كطعم لتطارده الكلاب. بمجرد أن انفتحت أبواب الأقفاص اندفع الكلبان لمطاردة الأرنب الآلي. عندما عبر أحد الكلبين خط النهاية، أوقف "بانزر" والرجل ذو شارب "دالي" ساعة المؤقت الخاصة بكلٍّ منهما في نفس الوقت. ذهب المساعد المراهق إلى الكلبين، بعد وهلةٍ نظر "بانزر" إلى الأسفل وركل الأرض بقدمه. يعرف "راكشنز" هذه العادة. حان وقت الرهان والمخاطرة. لا يقوم "بانزر" بالخداع والنصب، لكنه يربح دائمًا.

جرى فأرٌ ضخم خلف الإسطبلات ثم ركض بمحاذاة الجدار حتى وصل إلى الحقل القريب. قال "بانزر" وهو يجلس خلف المقود في سيارة الجولف:

- عليّ حل مشكلة الفئران.

لم يقاطع رحلتهما من بلدة "هانازتاون" إلى الجبل الأسود إلا التحيات التي تبادلوها مع المارة. معظمهم يعدون "بانزر" ملك "هانازتاون"، منحته هذا اللقب

إحدى الجهات الصحفية المتحمسة والمتعصبة زيادة عن الحد، والتي تكاد تصل لمستوى شبكة الـ"بي بي سي". حمل "راكشنز" حقيبة الجولف وعلقها على كتفه. هناك طريقٌ مكون من مادة طرية مصنوعة من المطاط، مفروشة على ممر عبر الجبل لتسهل القيادة عليه. بدا لـ"راكشنز" أن الطريق الصناعي المكون من مئات المربعات الصغيرة بدأ يتهالك بسبب البعوض الشرس والأرض الموحلة. الطبيعة هي الحاكم الحقيقي لهذا الجبل. عبرا الجسر الخشبي ثم انعطفا يمينًا ووصلا إلى نهاية الطريق المفروش بطبقة المطاط، سارا بجانب بعضهما بصمت بينما كلٌّ منهما منشغلٌ بأفكاره. وصلا أعلى الجبل أخيرًا وتوقفا عند منحدر.

سحب "بانزر" دفعاتٍ كبيرة من الهواء النقي، فانتفخ صدره وأخذ كتفاه يتحركان صعودًا ونزولًا. قال:

- يا إلهي! انظر إلى هذا، لقد صعدت إلى هنا مئات المرات، وفي كل مرة يصيبني هذا المنظر بالذهول.

رد "راكشنز" بينما تتجول عيناه على منظر جبال "مورن" الضبابية:

- إنه يبهرك دائمًا، هذا مؤكد.

ارتفعت رافعتا بناء السفن الضخمتان -"شمشون" و"جالوت"- حتى كادتا تلمسان سماء الخريف. إنهما أشهر رافعتين في بلفاست. عَبَر قاربان عكس بعضهما في خليج بلفاست، قفزت أنثى أرنب من وسط العشب واندفعت تختبئ في جحر على يمينهما.

أمسك "راكشنز" حقيبة الجولف وقال:

- هل تريد المضرب الحديدي رقم خمسة للمدى المتوسط يا زعيم؟

رد "بانزر" بشغف:

- لا أظن يا "أوهاري"، أريد التصويب لمسافاتٍ بعيدة اليوم. لنقل النهر مثلًا؟

- ممتاز يا زعيم.

غرز كلٌّ منهما حامل الكرة في الأرض ثم وضع عليه الكرة، لوَّح "راكشنز" بضع مراتٍ للإحماء. تدل السلاسة التي يتحرك بها على خبرته في اللعب.

قال "بانزر":

- إذًا يا بن أخي، هل تثق بجاسوسنا في المكان؟ أعني هل تثق به حقًّا لكي..

قال "راكشنز":

- إنها امرأة وليس رجلًا، ونعم أثق بها، إنها ذكية.

سحب "راكشنز" مضربه للخلف ببطء ثم ضرب الكرة بقوةٍ لدرجة أنها تجاوزت الجبل واختفت.

قال "بانزر" وهو يقف عند كرته:

- ليس سيئًا.

ثم تراجع وجلس على صخرةٍ ضخمة وقال:

- حدثني عنها.

- اسمها "إلينور بروكتور".

- هل هي بروتستانتية؟

- لا، إنها كاثوليكية تزوجت ببروتستانتي. ربما تعرف والدها، اسمه "تومي أودريسكول".

- الملقب بـ"الرجل العادل"؟

- نعم.

- أعرف "تومي" جيدًا، كان أفضل مستشار انضم لمجلس مدينة بلفاست، لقد ساعدني بضع مرات عندما قدمت طلبًا لتصاريح للبناء.

استدار إلى كرة الجولف الخاصة به وحدثها:

- لقد فعل حقًّا.

ثم عاد ينظر إلى "راكنشز" وسأله:

- صف لي "إلينور" هذه.

- إنها مشاكسة.
- كيف؟
- إنها مستقلة ولا تخضع لأحد.
- ولا حتى لك؟
تردد "راكشنز" وهو يبحث عن الكلمات المناسبة ثم قال:
- إنها امرأة عنيدة.
- لم تجب عن سؤالي.
- إنها تساعدنا لأنها تريد ذلك.
- ولماذا تريد ذلك؟ هذا ما أريد معرفته، ماذا ستستفيد؟
- أنا.
- أنت؟
- نعم أنا.
ركل "بانزر" الأرض كما فعل منذ قليل قبل أن يتفق مع صاحب الكلب، الرجل ذي شارب "دالي".
قال "راكشنز" في سره: "هيا يا "بانزر"، قل ما لديك مهما كان".
قال "بانزر":
- أنت تسأل نفسك الآن فيم أفكر، صحيح؟
هز " راكشنز" كتفيه.
- سأخبرك، أنا أتساءل إذا كان مساعدي الأول قد وقع في غرام الهدف المطلوب إقناعه.
- لا تكن سخيفًا.
- لا أكن سخيفًا؟! سأتصرف بسخافةٍ كما يحلو لي.
أغلق "راكشنز" سوستة حقيبة الجولف، ولاحظ "بانزر" ذلك.
قال "راكشنز":
- هل نعود؟

وقف "بانزر" أمام "راكشنز" تمامًا وقال:

- ألا تظن أنه يحق لي توجيه أسئلةٍ قاسية؟

- بالتأكيد لديك الحق، ولا مانع لديَّ في الإجابة عنها.

ثم وجه إصبعه إلى "بانزر" وأضاف:

- لكن تخمينك بأنني وقعت في غرام الهدف خاطئ تمامًا. أنا أستحق أن تظن بي أفضل من هذا وأنت تعرف ذلك.

وضع "بانزر" يده على كتف "راكشنز" ونظر إليه مباشرةً وهو يقول:

- "راكشنز" يا بني، هذه العملية خطيرة، وأعترف أنني أرتجف كلما فكرت فيها، لا أتذكر آخر مرة شعرت بهذا الكم من التوتر.

- وأنا كذلك، لكن لا بأس أيها الزعيم، صدقني، ستنتهي الأمور على خير ما يرام.

تنهد "بانزر" بعمقٍ وقال:

- أتمنى هذا من أجل كلينا.

- أعدك بذلك، لا تقلق.

- وعدك يكفيني.

ثم لوح بيده وأضاف:

- إنه دورك.

فتح "راكشنز" حقيبة الجولف وأخرج كرة ثم ضربها لتصل أسفل الجبل.

- أخبرني، كيف التقت "إلينور" بزوجها البروتستانتي؟

- قابلت "إلينور" "فرانك بروكتور" في جامعة "كوينز"، كانا في اتحاد الطلبة وأصبحا صديقين، وبينما تخصصت في علم الاجتماع والسياسة، تخصص هو في الاقتصاد. بعد التخرج بينما عملت في الخدمة الاجتماعية، أصبح هو محاسبًا.

- هل تعلم "إلينور" بشأن "ماريا"؟

- نعم.

- لن تكون سعيدةً بوجودها.

- إنها ليست كذلك بالفعل، لكنني وعدتها بقطع صلتي بها.

قال "بانزر" وهو يلتفت لكرته مجددًا:

- سأترك لك هذا الأمر، فأنت بارعٌ في التعامل مع النساء. "ماريا" من عائلة جيدة، عمل والدها "ميكي مكاردل" في الكلاب السلوقية لفترة، رجلٌ طيب، لقد ساعدني بضع مراتٍ في وقت شدتي، لنقل إنه قام بتسهيل العقبات لي.

- أي نوعٍ من العقبات؟

- كلما قلَّ الكلام كان أفضل يا "راكشنز". لنقل إنه ذو شأنٍ عالٍ. "ميكي" يعشق أسرته، لذلك من الأفضل أن تنهي الأمور على نحوٍ طيب مع ابنته. المهم، كيف ستتصرف "إلينور" في مركز الشرطة أثناء التحقيق؟

- لقد تحدثت معها بالفعل، ستنجح، بالإضافة إلى أنها الوحيدة التي لن تشك الشرطة في أمرها.

قال "بانزر" بحزم:

- "هكَذَا يَكُونُ الآخِرُونَ أَوَّلِينَ". إياك والخطأ يا "راكشنز"، لن يستبعدوا أي شخصٍ عن الشبهات بعد هذه العملية.

أومأ "راكشنز" موافقًا وقال:

- أنت محق.

- أتمنى أن تكون أنت المحق.

- أنا كذلك.

نبحت كلابٌ قريبة منهما، فتشتت انتباه "بانزر" وهو يلوح بالمضرب وانحرفت الكرة ناحية اليسار، استدار "بانزر" إلى "راكشنز" وقال باشمئزاز:

- كلاب متشردة لعينة. من يعلم بتفاصيل العملية؟

أغلق "راكشنز" فمه بسرعة قبل أن تندفع أفكاره على لسانه، وقال لنفسه: "ومن سيعلم بأمرها يا "بانزر"؟ أنا أخطط وحدي لهذه السرقة منذ عامين. هل تعلم لماذا خططت لها وحدي يا "بانزر"؟ لأنني لن أشي بنفسي إلى الشرطة". ثم أجابه بود:

- أنت وأنا و"إلينور".
- نحتاج إلى مكان لإخفاء الغنيمة بعد السرقة.
- لديَّ مخبأ.
ثم همس لـ"بانزر" في أذنه بمكان المخبأ.
- جيد.

شعر "راكشنز" بلمحة شكٍّ خطيرة في نبرة "بانزر"، وكأنه ما زال يحتاج إقناعًا بشأن السرقة ليثق بها. فكر في أنه إن تملقه قليلًا وأقسم له بالولاء فسيصبح الموقف أسهل. قال:

- أيها الزعيم، أريد أن أوضح أمرًا ما، هذه عمليتك وليست عمليتي، إن أردت الإلغاء فلا بأس معي.

قال "بانزر" مبتسمًا وهو يربت على خد "راكشنز" بمحبة:
- إنها عمليتنا. أنت ممتاز مثل خيول "ثوروبريد" يا فتى. تبًّا، أنت مدهش مثلها.
ثم عانقه وأضاف:
- أنت وأنا شريكان يا "راكشنز"، النصف بالنصف، هكذا الأمر.
- هذا أمرٌ جيد.
- أمرٌ واحد فقط؟

- ستظن الشرطة أن الفاعلين هم من الجيش الجمهوري الأيرلندي.

تردد "بانزر" قبل أن يرد قائلًا:

- هذا سيمنحنا بعض الوقت، لكن من الصعب التحديد بالضبط. تذكر أنه بغض النظر عن اعتقاد الشرطة، سيعرف الجيش الجمهوري الأيرلندي أنهم لم يفعلوها، ولو اكتشفوا أننا الفاعلون، سينقض علينا "تايني مردوخ" مطالبًا بنصف الغنيمة.
رد "راكشنز" بسخرية:
- محال، وكأننا سنعطيها لهم! ملاعين!
قال "بانزر" بتجهم:

- يستطيع الجيش الجمهوري أن يزعجنا بشدة إن أراد. لا يمكننا المخاطرة بتسرب أي كلمة. لا غرباء بيننا.

تنحنح "راكشنز" وقال:

- أيها الزعيم، لا تفهمني خطأ ولكن..

- أعرف ما ستقول.

- أَفَضِّل لو...

- لو أننا استبعدنا "فينبار" من العملية.

سأله "راكشنز" بقلق:

- هل يعرف بشأنها؟

كذب "بانزر":

- لا. هل تهم معرفته من عدمها؟

تظاهر "راكشنز" بتنظيف رأس مضربه بقطعة قماش ليتجنب النظر إلى "بانزر" وقال:

- أظن ذلك.

- لماذا؟ لماذا يهم إن أخبرت ابني عن العملية أم لا؟ إنه فتى ذكي.

- أعرف ذلك، لكن يصعب التنبؤ بتصرفاته، ولا يمكننا المخاطرة بأي مفاجآت.

- هذا هراء، أنت لا تحب "فينبار".

- الأمر ليس كذلك.

- بلى.

قرر "راكشنز" أن الصمت في هذا الموقف أفضل من المواجهة.

وضع "بانزر" كرته على الحامل وكذب مجددًا وهو يتحدث إليها:

- ابني لا يعرف شيئًا عن العملية، ولن أخبره.

ضرب الكرة لتخترق الأفق وتصطدم بجانب الجبل، وقال:

- ضربة جيدة.

تأكد "راكشنز" من موافقته الضرورية، فاطمأن وقال:

– أقسم لك أنني سهرت الليالي أفكر فيمن أختار لهذه العملية، من سيحمي ظهرنا إن حدث إطلاق نار، من سينشر الإشاعات في مركز الشرطة، من يمكنه التزام الصمت بعد العملية حين يحصل كل شخصٍ على نصيبه ويبدأ الجيش الجمهوري بالبحث عن إجابات، ولن أتحدث عن "فينبار" وطبعه. أظن أنه لا يجب علينا الاستعانة برجالنا المعروفين.

– ولا حتى "جيك"؟

رد "راكشنز" بانزعاج:

– ولا حتى هو.

ثم لوح بقبضته في الهواء تأكيدًا على انزعاجه وأضاف:

– لن يبوح "جيك" وباقي الرجال بحرف ما داموا لا يعلمون شيئًا أصلًا، حتى لو قبض عليهم الجيش الجمهوري وعذبهم، وهذا احتمالٌ كبير.

– منطقي جدًّا.

– "بانزر"، لقد عرضت العملية على "المزارعين"، وقبلوا الشروط. الأمر متوقف على موافقتك النهائية.

– لست متفاجئًا أبدًا. اسمع يا "راكشنز"، أنا مستعدٌ للتمويل بقدر ما يتطلب الأمر.

– لا أشك في هذا، لكن العائد سيكون ثروة، سنحصل على عشرات الملايين، ليس هذا فقط، بل إننا أيضًا لا نريد أن يشعر "المزارعان" بعد العملية بأنهم تعرضوا للخداع.

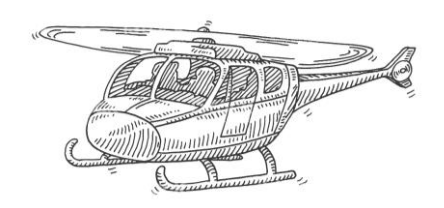
– إن كان الوضع هكذا، من "المزارعان" إذًا؟

– لقد استعنا بهما من قبل؛ "كيلي" و"مكان".

– أحسنت الاختيار.

اقتربت هليكوبتر تابعة للشرطة وحلقت على بعد مئة ياردة منهما، مال مصور شرطة بسيط المظهر خارج الهليكوبتر والتقط صورًا لرجلي العصابة.

ضرب "راكشنز" كرة جولف نحو الهليكوبتر لكنه أخطأها. أدار الرجلان ظهريهما إليه وأنزل كلٌّ منهما بنطاله ليهينا المصور، ثم رفع كلٌّ منهما بنطاله واستدارا مجددًا، فأظهر لهما مصور الشرطة حركة بذيئة بإصبعه.



3



مرت سيارة ليموزين وردية اللون تدوي بداخلها موسيقى وتوقفت أمام بار "روبنسون" في مركز مدينة بلفاست. انفتحت نافذة السيارة وخرجت منها سحابة دخان على شكل دوائر تتحرك بنعومةٍ في الهواء.

فتح السائق باب السيارة، وخرجت سيدة بفستان أبيض وطرحة زفاف، كانت ممسكة بذراع دمية منفوخة على شكل رجل له قضيبٌ كبير. خرج خلفها أربع عشرة فتاة، يرتدين أحذية بكعوبٍ عالية ورفيعة ويضعن طبقة ثقيلة من الماكياج. كلهن يبدين مخيفات وسخيفات ويرتدين زيًّا موحدًا وكأنهن تلميذات، تتراوح أعمارهن بين سبعة عشر وأربعة وستين. وقفت النساء صفًّا بالطول وأمسكن ببعضهن كالقطار ثم سرن إلى البار وهن يرقصن. مررن بـ"فينبار أوهاري" وثلاثة حراس وعلى الأقل عشرين من رواد البار.

كان "فينبار" أنيقًا وهو يرتدي بذلة زرقاء "أرماني". لحق بآخر الصف الذي اخترق البار المزدحم وصولًا إلى الركن المعزول المرتفع عن باقي البار. جلست الفتيات، أخرجت بعضهن حقيبة الماكياج، وأخريات نظرن حولهن بحثًا عن أي شخصٍ يعرفنه في البار. بدا "فينبار" غريبًا وهو يقترب منهن. قال:

- إحم.. هل أحضر لكن مشروبًا أيتها السيدات؟

ردت امرأة اسمها "آجي"، إنها شقراء وشعرها مدبب وتخطت الخمسين من العمر، ترتدي جيبة زرقاء قصيرة جدًّا وقميصًا ياقته مفتوحة مع ربطة عنقية محلولة. نظرت إلى "فينبار" ثم ابتسمت وقالت:

- يا لك من شابٍ لطيف!

ثم رفعت صوتها وقالت:

- يا فتيات، هذا الشاب الوسيم يريد أن يدعونا إلى مشروبٍ على حسابه.

- سأشرب "جين" و"تونيك" يا "آجي".

- وأنا أيضًا.

- سأشرب "براندي" وبيرة بالزنجبيل.

قالت "آجي":

- اجلس أيها الشاب.

جلس "فينبار" ثم أمسكت "آجي" بخديه وقالت:

- انظروا إلى وسامته، أود التهامه!

هتفت إحدى الفتيات:

- ستلتهمينه قبل انتهاء الليلة!

دوت ضحكاتهن الصاخبة.

قالت إحداهن:

- نادي النادل يا "إيفون".

سألته "آجي":

- ما اسمك يا جميل؟

- "فينبار".

- "فينبار"؟ مستحيل! أنت أوسم من أن تكون كاثوليكيًّا.

وضعت "آجي" يدها خلف عنق "فينبار" وجذبته إليها وقبلته بعمق. قطع القبلة، فقالت:

- واو! ذلك الكاثوليكي يقبل مثل البروتستانتيين!

لمح "فينبار" صديقه "بيتيريس" سيئ المظهر، فنهض ليغادر ويترك الفتيات، أمسكت "آجي" بذراعه وقالت:

- إلى أين أيها الوسيم؟

ابتسم "فينبار" بلا مبالاة وقال:

- لديَّ حالةٌ طارئة يا سيدات، عليَّ الذهاب فورًا.

- وماذا عن المشروبات؟ قلت إنك ستدعونا.

- فيما بعد.

- كلامٌ فارغ.

- ابتعدي عني أيتها العاهرة!

- ماذا قلت يا حقير؟!

هتفت امرأة منحرفة أخرى:

- إياك والتحدث مع سيدة هكذا أيها المخنث!

أدرك "فينبار" أنهن على وشك صب غضبهن عليه، فأسرع إلى المخرج، تبعه "بيتيريس" أسود الشعر والقلب أيضًا. إنه قواد من "لاتفيا" يتاجر بالبشر. همس شيئًا في أذن "فينبار" بينما يخرجان.

💰💰💰

على النقيض مع شخصية "بيتيريس" الشريرة، فشقته نظيفة وديكوراتها جميلة. نظر "فينبار" إلى خمسة خطوط من مسحوق الكوكايين مرصوصة بانتظام على طاولة زجاجية صغيرة.

قال "بيتيريس":

- تفضل جرب.

استنشق "فينبار" صفًّا، فتحركت رأسه بعنفٍ من تأثير المخدر وقال:

- نعم! يا له من صنف!

سأله "بيتيريس":

- أهو صنفٌ جيد؟

- جدًّا يا "بيت". أين الفتاة؟

- هنا.

قاد "بيتيريس" "فينبار" إلى غرفة نومٍ نورها خافت، حيث توجد شقراء صغيرة لا يزيد عمرها على اثني عشر عامًا، تستلقي عارية على سريرٍ كبير.

قال "بيتيريس" وهو يضع يده على رجلها:

- إنها قطعة لحمٍ طازجة يا صديقي، وصلتني أمس فقط. هل أعجبتك؟ حتى أنا لم أحصل على دوري معها بعد.

- ماذا أعطيتها؟

- "روهيبنول".

- ما هذا؟

- إنها حبوب مخدرة خاصة بالاغتصاب، لن تتذكر من فعل ذلك بها حين تستيقظ.

- ما اسمها؟

- "جالينا".

أزاح "فينبار" بعضًا من خصلاتها الشقراء بأصابعه وقال:

- كم ثمنها؟

- إنها عذراء.

- كم ثمنها؟

- مئتان لو لشخصٍ غريب، ومئة فقط لو لك.

- خمسون.

- ثمانون.

أخرج "فينبار" ستين جنيهًا من محفظته وأعطاها لـ"بيتيريس" دون أن يبعد نظرته الجشعة عن "جالينا". أخذ "بيتيريس" النقود ببساطة.

عندما خرج "فينبار" من شقة "بيتيريس"، لم يشعر بشيء، لا ندم، لا تأنيب ضمير، ولا شعور بالذنب. عليه أن يتذكر اسم ذلك المخدر، "روهيبنول" على ما يظن. ماذا كان اسم الفتاة؟ لا يتذكر.

نهض "راكشنز" من نومه بفزع وهو غارقٌ في العرق ويشهق طلبًا للهواء وعيناه متسعتان عن آخرهما. أحاطته "ماريا مكاردل" بذراعيها وقالت:

- لا بأس، لا بأس يا "راكشنز"، إنه مجرد كابوس، لا شيء آخر.

استلقى "راكشنز" على ظهره مجددًا، ذهبت "ماريا" إلى دولاب الأدراج وأخرجت بيچاما نظيفة وألقتها إليه وقالت:

- ارتدي هذه.

خلع "راكشنز" قميص بيچامته واستلقى بصدرٍ عارٍ في السرير.

سألته "ماريا":

- هل أنت بخير؟ هل تريد التحدث عن الأمر؟

لوح "راكشنز" بيده برفض.

استدارت "ماريا" لتنظر إليه بغضب لكنها غيرت رأيها وسارت إلى النافذة ونظرت إلى ميناء بلفاست. أخبرها "راكشنز" عن الماضي المجيد حين كانت ترسو عشرات من سفن الشحن، أما الآن فلا يوجد سوى معديتين بائستين. راقبت قاربًا صغيرًا يقود سفينةً سياحية عبر القناة. أرادت أن تصرخ وتقول: "عودوا من حيث أتيتم أيها السياح، لماذا أتيتم إلى هذه المدينة الخانقة؟ تبًّا! أريد الرحيل عن بلفاست وعن شمال أيرلندا". شعرت بالغيرة وهي تراقب طائرة تغادر في الصباح الباكر وتقلع من مطار "جورج بيست"، تعرف أنها ليست ذاهبة إلى بوينس أيرس أو لوس أنجلوس، لكنها في هذه المرحلة سترضى بمالاجا في إسبانيا.

قال "راكشنز":

- عودي إلى السرير يا حبي.

ابتعدت "ماريا" عن النافذة وارتمت على السرير، تنهدت. قال لنفسه: "يا إلهي! لقد جاءتها إحدى نوبات الضيق مجددًا، تبًّا، ارحميني منها يا صغيرتي". لاحظ "راكشنز" كم هي جميلة، ببشرتها الناعمة وجسدها الرشيق وشعرها الأشقر الطبيعي الذي يلفه حول إصبعه بحب. لقد لاحظ أنها تتنهد كثيرًا مؤخرًا. "علاقتنا تعاني مؤخرًا، وأعرف السبب، إنها "إلينور بروكتور"، لقد وقعت في حب الهدف، على الرغم من أنني أنكرت هذا الأمر لـ"بانزر".

تذكر وقتًا أسعد من هذا، في بار "كيلي" في وسط بلفاست، وفرقة " The Dead Handsome" تعزف، كان المكان مزدحمًا جدًّا لدرجة ألا تجد مساحة لترفع كأسك، نزل المغني المحبوب "تيري شارب" من على المسرح أثناء الاستراحة وشرب مع "راكشنز" وصديقيه، وقف "راكشنز" جانبًا بينما تمر "ماريا" بين الحشود. كان "تيري" يعرف "ماريا"، فقدمها إلى "راكشنز"، اشتعل الانجذاب بينهما فورًا، كررت اسم الشهرة الخاص به بضع مراتٍ بصوتٍ مسموع، وقالت إنها لا تعرف لماذا يليق به اسم "راكشنز" إلى هذا الحد. في نهاية الأمسية قبلت دعوته لتناول طعامٍ هندي، أدرك كلاهما أنهما سيناما معًا تلك الليلة.

لكن الانجذاب الجسدي والعلاقة الجسدية المثيرة لا تكفيان للحفاظ على علاقةٍ عاطفية طويلة الأمد، وخاصة مع وجود فارقٍ كبيرٍ بالسن. يعرف "راكشنز" أن "ماريا" غير مستقرة، فهناك الكثير من النوادي والحفلات الغنائية والمظاهرات التي تحب حضورها، والكثير من الأفيال والقرود والغابات المطيرة التي عليها إنقاذها، وهناك أيضًا حلمها بزيارة أمريكا الجنوبية واستكشافها. أما "راكشنز" فمجرد لص بنوك، ومن حسن حظه أنها من النوع الذي لا يسأل. يُهَرب والدها الديزل عبر حدود مقاطعتي "أرما" و"لوث"، وهي لا تهتم أبدًا كيف يكسب رزقه، لا تهتم إن كان بطريقةٍ شريفة أم مشبوهة.

قالت له:

– لم أعد أريد العيش في بلفاست يا "راكشنز"؛ إنها محبطة وخانقة. متى سنرحل؟

مد "راكشنز" ذراعه وأخذ علبة السجائر ثم وجدها فارغة، نهض من على السرير وأخذ علبة جديدة من معطفه وأعطى سيجارة لــ"ماريا".

ابتسمت "ماريا" وقالت:

- اعترف، لقد مللت مني، صحيح؟

قال لنفسه: "اللعنة إن كنت سأدخل في مشاجرة المراهقين هذه مجددًا". ثم قال لها:

- لا.

قالت "ماريا":

- لا؟ هل هذا أفضل جوابٍ لديك؟

- ماذا تريدين أن أقول؟ إن الوضع جيد؟ هل هذا ما تريدين سماعه يا "ماريا"؟ أستطيع قول ما تريدين، أو أستطيع إخبارك أنني أفهم الكلام الفارغ حين أسمعه. المرأة تتهم الرجل بما تشعر هي به، أنتِ مللتِ مني، اعترفي.

بدأت "ماريا" ترتدي ملابسها وقالت:

- لا أستطيع مواصلة هذا يا " راكشنز".

سألها "راكشنز":

- إلى أين تذهبين؟

- إلى الخارج.



4



خلع "راكشنز" خوذته الصفراء وفرك شعره وكأنه ينفض عنه القشرة، سأل نفسه: "كيف بحق الجحيم يحتمل العمال ارتداء هذه الخوذة القاسية طوال اليوم؟ وسترة العمل الصفراء هذه تشبه كفنًا مستعملًا".

لم يبد "بانزر" منزعجًا بتنكره، ضبط مرآة السيارة الـ"جيب" المكشوفة ثم قاد إلى الخلف ليرجع إلى الشارع الخلفي. شهق "بانزر" ثم سعل كثيرًا وقال:

– لقد نفدت سجائري.

نظر إليه "راكشنز" وقال لنفسه: "بل نفد وقتك في الحياة".

قال "بانزر" بعد أن هدأت أنفاسه:

– ماذا حدث بين "إلينور" وبين ذلك الرجل؟

– هل تقصد زوجها "فرانك"؟

– نعم.

– لقد أمسكت به وهو يخونها مع سكرتيرته.

– هذا لا يساعد على استمرار الزواج.

– لا.

ابتسم "بانزر" بخبثٍ وقال:

– أراهن أنها هي نفسها جامحة في السرير.

– لا تقل هذا.

– لماذا؟ ألا تنام معها وترى بنفسك؟ لكن هذا من دواعي العمل فقط، صحيح؟

لم يرد "راكشنز".

ذهب مرح "بانزر" وهو يسأل بجدية:
- هل أنت متأكد من أنها ستتصرف بعقلانية عندما تستجوبها الشرطة؟
- ستصمد.
رن هاتف "راكشنز"، نظر إلى الرقم ووجد أنها "ماريا"، فأغلق الخط.
قال "بانزر":
- لا يمكنك التأكد.
- من ماذا؟
- من صمود "إلينور".
- أقول لك إنها ستكون بخير.
أشار "بانزر" إلى عقله وهو يقول:
- نعم لكنني لست مقتنعًا.
- ستضطر إلى التزام الصمت.
- لماذا؟
- لأنها زودتني بمعلوماتٍ كاملة عن نظام الأمن وتحركات الحراس وبياناتهم ومراكز الموظفين وكمية المال التي في البنك، هذا يجعلها متورطة معنا في العملية.
قال "بانزر" بعدم اقتناع:
- يا إلهي! هلا فكرت قليلًا يا رجل؟!
ثم طقطق أصابعه وأضاف:
- لن تهتم الشرطة بكل هذا.
سعل بشدة ووضع منديله على فمه ليبصق فيه ثم قال:
- ستحاول الشرطة النيل منا بأي طريقة، سيوقظون "مارلون براندو" من قبره ليتقمص دور الأب الروحي ويقدم لها عرضًا لن تستطيع رفضه إن استدعى الأمر.
قلق "راكشنز" من تدهور حال "بانزر"، وقال له:
- يا إلهي! ماذا بك يا زعيم؟ تبدو كجثةٍ أعادوها إلى عالم الأحياء لتقضي إجازة آخر الأسبوع ثم تعود مجددًا! هل أنت بخير؟
- شكرًا على رفعك لروحي المعنوية!

- لم أقصد.

رفع "بانزر" إصبعه وقال:

- لا شيء مما تقوله يمنع حضرتها من أن تكون مشكلةً محتملةً لنا.

- لكن كيف؟ بم ستخبر الشرطة؟ إنها لا تعرف شخصًا غيري، ستكون كلمتها ضد كلمتي.

نقر "بانزر" على المقود بقلم وقال:

- وهل سيقبل القاضي كلمتك ضد كلمتها؟ هل سيعدك مواطنًا أكثر نزاهة من زوجة نائب مدير البنك؟

فتح "بانزر" "التابلوه" وألقى فيه قلمه وأضاف:

- لو اتهمتك فإنها تتهمنا أيضًا.

- لن تتهم أحدًا.

- لم لا؟ لماذا أنت متأكد؟

- أنت لا تريد أن تفهم، صحيح؟

- تبًّا، بل أريد أن أفهم بالطبع! أريد أن أفهم كل شيء، لكنك لا تقنعني.

مرر "راكشنز" يده على جبهته، إنه يعلم من خبرته أن المكابس التي تعمل في عقل "بانزر" أحيانًا تكون بطيئة. قال:

- إنها ليست مسجلة في كشف رواتب البنك، لماذا قد تهتم بها الشرطة؟

ما زال "بانزر" مرتابًا. قال لنفسه: "أنت مهتمٌ بها يا "روميو" زمانك، لأنك تركت رغبتك تتحكم في تفكيرك". فتح "بانزر" النافذة وتظاهر بأنه يضبط مرآة السيارة الجانبية. لقد أبعد وجهه عن "راكشنز" لأنه يعلم بأنه لن يحب ما سيقترحه عليه.

- عندما تنتهي هذه العملية..

يعلم "راكشنز" ما الذي سيقترحه.

- نعم؟

– لم لا نقم بـ...؟
– ماذا؟
– أنت تعلم قصدي.
– لا، لا أعلم.
– بالطبع تعلم.
– تريد قتلها؟ أهذا ما تريده؟
استدار "بانزر" إلى "راكشنز" وزمجر قائلًا:

– نعم أريد، تبًّا لها! نحن لا نترك ذيولًا لأي عملية نقوم بها، أم أنك نسيت القاعدة الذهبية؟ هل نسيتها؟

قال "راكشنز" لنفسه: "اهدأ، لا تدعه يغضبك". ثم قال له:

– كيف تتأكد من أنها لا تخفي مذكراتٍ في مكانٍ ما؟ أو أنها لا تسجل محادثاتنا وهي تعطي لي معلوماتٍ عن البنك؟ كيف تتأكد من أنها لا تراقبنا أو تصورنا الآن؟

شعر "راكشنز" أنه لمح القلق في عين "بانزر"، فرفع إصبعه وأضاف:

– اسمع يا "بانزر"، لم يخطئ حكمي من قبل، صحيح؟ أنا لم أفشل قط في كل السنوات التي عملنا فيها معًا، ولا مرة واحدة.

– لا أستطيع جدالك في هذا.

– لن أفشل هذه المرة أيضًا، لو شككت في أنها قد تضرنا سأقتلها بنفسي بلا ذرة ندم، لكنني أؤكد لك أنها قادرة على هذه المهمة.

نظر "بانزر" إلى "راكشنز" بصمت. قال لنفسه: "من الأفضل أن تكون محقًّا يا صديقي". حان وقت تغيير الموضوع، وإلقاء الطعم. قال "بانزر" وهو يبتسم:

– اسمع يا فتى، أنا من أشد معجبيك وأنت ساحري المفضل.

تظاهر "بانزر" بأنه يلكمه في معدته من باب المزاح، وأضاف:

– أنت ساحر العرض. أخبرني مجددًا كم كان المبلغ الذي في البنك الأسبوع الماضي؟

– مثلما أخبرتك من قبل، زائد أو ناقص بضع مئات الآلاف.

لم يستطع "بانزر" منع ابتسامته وهو يقول:

- انظر كيف تتكلم ببساطة عن المال، "زائد أو ناقص بضع مئات الآلاف".

- هناك واحد وأربعون مليون جنيه إسترليني، وسبعة مليون يورو، ومليونان من العملات الأجنبية المختلفة، معظمها دولارات أمريكية، لكن هناك ثمانية وعشرين مليون جنيه إسترليني فقط يمكننا استخدامها، فالباقي عملات معدنية أو عملات ورقية مطبوعة حديثًا. أتوقع أن يكون حصادنا من ثلاثين إلى خمسة وثلاثين مليونًا.

- حصاد يا "راكشنز"؟ هل هذا ما نفعله؟ "نحصد" أموال البنك؟

تخيل "بانزر" حقلًا أخضر مزروعًا بالمال ومليئًا بأوراق من فئة الخمسين جنيهًا ترفرف مثل ورق الشجر. أضاف:

- لم لا؟ سنكون "عائلة "أوهاري"، مزارعو المال"، يعجبني هذا، اسمع، يجب عليك أنت و"إلينور" مقاطعة بعضكما لمدة عامين على الأقل بعد العملية، و..

- إنها موافقة.

- هل أخبرتها بالفعل؟

- نعم.

- وصدقتها؟

- نعم.

قال "راكشنز" لنفسه: "ما زلت مرتابًا يا "بانزر"، أليس كذلك؟ تفضل أن تطلق عليها الرصاص وتنهي أي شكوك. لا، أسحب كلامي، أنت تفضل أن أطلق أنا الرصاص عليها نيابةً عنك، أليس هذا أسلوبك المفضل؟".

ثم قال له:

- انظر أمامك.

رأيا "إلينور بروكتور" ذات الاثنين وثلاثين عامًا تخرج من بيتها حاملةً حقيبة الچيم وتسير بخطواتٍ سريعة ورشيقة. طولها 152 سم، وشعرها بني محمر، ولديها منحنيات جذابة.

قال "بانزر":

– أعترف لك أنها جذابة يا صديقي. منذ متى تنام معها؟

ركبت "إلينور" سيارتها الـ"فولفو" الحمراء وتحركت.

قال "راكشنز":

– منذ سنة تقريبًا، أنا أغويها منذ مايو 2003، لكنها كانت تتظاهر بأنها صعبة المنال.

– ألم تنجح جاذبية "راكشنز" فورًا؟

رد "راكشنز":

– استغرق الأمر بعض الوقت، لكن "راكشنز" ينال المرأة التي يريد دائمًا.

ضحك "بانزر" وقال:

– كيف بدأ الأمر؟

– لقد خدعتها.

قال "بانزر":

– لست متفاجئًا.

– بدأ الأمر في حفلة "بروس سبرينجستين" الغنائية في إستاد الجمعية الملكية في دبلن، كانت تتحدث مع صديقتها "ستايسي" في الخارج، كنت أعرف من هي ومن هو زوجها. السبب الوحيد لوجودي هناك هو أنها كانت هناك. أعطيت فتى بضع جنيهات ليخطف منها الحقيبة، ثم تظاهرت بأنني ألاحقه لأستعيد حقيبتها، بعد ذلك كانت ممتنة لي.

– ممتنة جدًّا كما هو واضح.

– نعم، لكن في النهاية.

انفتح باب جراچ آل "بروكتور"، وخرج "فرانك" وهو يقود سيارة "ساب" فضية.

خرج "راكشنز" من السيارة وهو يقول لـ"بانزر":

- أراك لاحقًا.

وضع "بانزر" ساعة المؤقت على لوحة العدادات وأدار المحرك وهو يقول لـ"راكشنز":

- من الأفضل أن نتقابل، فنحن بحاجةٍ إلى مناقشة الأمر بالتفصيل.

ركب "راكشنز" سيارته وقاد عبر الشوارع الخلفية ليصل إلى الچيم قبل "إلينور".

💰💰💰

يكون الچيم هادئًا عادةً في الساعة الثامنة صباحًا. أثناء انتظار "راكشنز" لـ"إلينور"، أخذ كلام "بانزر" يعبث بعقله مثل فيلٍ هائج في مركزٍ تجاري. "اسمع يا فتى، أنا من أشد معجبيك". "بالطبع أنت كذلك يا "بانزر"، ما دمت أجعلك تربح أموالًا طائلة، ماذا قلت أيضًا؟ "أنت ساحر العرض". اللعنة، أنا ساحر العرض بالفعل".

دخلت سيارة "إلينور" الجراچ وتوقفت بجانب سيارة "راكشنز"، وفي الجانب البعيد من الجراچ، هناك سيارة "فولكس فاجن" صفراء يجلس في مقعدها الخلفي رجلٌ ضئيل له نمش ويمشط خصلات شعره الأشيب بالعرض ليخفي صلعته. كان يمسك كاميرا فيديو ويقرب الصورة على الحبيبين. قال:

- السيد "جيمس أوهاري" يخرج من سيارته ويذهب لسيارة "إلينور بروكتور".

دخل "راكشنز" سيارة "إلينور" وتبادلا القبلات، شعرت "إلينور" فورًا بالشرارة تشتعل بينهما، عرض عليها "راكشنز" سيجارة لكنها هزت رأسها نفيًا، ثم أزاحت خصلة من شعرها عن وجهها وقالت:

- شكلي رائع.

لعب "راكشنز" بقرطها الفضي ثم مرر إصبعه على صدرها وقال:

- بل تبدين مثيرة لأقصى حد.

- مثيرة أكثر من "ماريا" الحلوة؟

- بالتأكيد، لا وجه للمقارنة.

هزت "إلينور" رأسها وقالت:
- أريدك أن تقطع علاقتك بها.
- سترحل قريبًا.
- متى؟
- قريبًا جدًّا، لقد أدركت بالفعل أن الأمور بيننا اختلفت. مشكلاتنا أكبر من الخلافات البسيطة.
- من الأفضل أن تكون صادقًا، أنا جادة يا "جيمس"، لن أكون أبدًا مجرد عشيقة لك أو لأي شخص.
- ثقي بي يا "إل".
- أنا أثق بك بالفعل.

شعرت "إلينور" بالقليل من الراحة. داعبت أذنه بفمها بينما تفتح سوستة بنطاله وتقول بصوتٍ مثير:
- ألا تفكر في شيءٍ سوى سرقة البنوك والعلاقات الحميمة؟
- تقولين هذا بينما يدكِ تمسك بقضيبي يا حبيبتي.
- حقًّا؟ يدي تسيء التصرف.

توقفت سيارة بالقرب منهما، وخرج منها رجلٌ وامرأة يحملان حقيبة چيم، أبعدت "إلينور" يدها بسرعة، وأغلق "راكشنز" سوستة البنطال وسألها:
- هل أنتِ بخير؟
- نعم، أنا بخير.
- لا تبدين مقنعةً جدًّا، ما المشكلة؟ صارحيني.
- أنت المشكلة.
- أنا؟
- نعم، أنت يا "جيمس"، لا أريد أن أكون بالنسبة إليك مجرد علاقة مصلحة ومتعة مع امرأة ذات صلة بالبنك.
- مهلًا، هذا..

- أخبرني الحقيقة، هل تعدّني مجرد وسيلة تعرف بها تفاصيل عن البنك؟
أظهر "راكشنز" دهشةً حقيقية واستدار لينظر مباشرةً إلى "إلينور"، وقال:
- هل يمكن أن تعيدي كلامك؟ لا أفهم ما السبب لكل هذا.
- أنت تتجنب إجابة سؤالي.
نظر "راكشنز" إلى "إلينور" وقال لنفسه: "تبًّا! ماذا أقول؟". شبك ذراعيه واستدار لها وقال:
- أتعلمين؟ علينا أخذ استراحةٍ من هذا النقاش.
مدت "إلينور" يدها إلى مقبض باب "راكشنز" وفتحته ثم قالت بفتور:
- اذهب إذًا.
"أذهب؟!" لم يتوقع "راكشنز" رد الفعل هذا من "إلينور". أغلق الباب وقال:
- هل تستغنين عني بهذه السهولة؟
- سهولة؟ تركك هو أصعب شيءٍ يمكن أن أفعله، لكن إن أردت أن تنفصل عني، فلا يوجد ما أقول.
"تبًّا لتلك المرأة العنيدة". أحاط "راكشنز" عنق "إلينور" بذراعيه وضغط جبهته على جبهتها وقال:
- الانفصال عنكِ هو آخر ما أريد فعله، وأنتِ لستِ مجرد علاقة مصلحة ومتعة.
ثم قال بعبوس:
- "إل"، من أين أتيتِ بهذا الكلام؟
تراجعت "إلينور" ونظرت إلى وجه "راكشنز" بتمعن ثم قالت وهي ترفع إصبعها بتحذير:
- أنا أحبك يا "جيمس"، لكن هذا لا يعني أنك تملكني، لا أحد يملكني، وأنا لا أستسلم للتهديدات، قلت إنني سأساعدك على سرقة البنك، وسأفعل، لكنني لست حمقاء.
- أنا لم..
- لا تقاطعني. في البداية كنت مجرد نزوة مرحة لي، وأحببت اهتمامك بي، لكن الأمور تغيرت، أنا تغيرت، لقد جعلتني أشعر بالحياة مجددًا، قلت إنني أحببتك وهذا صحيح، لكن إن كنت لا تشعر نحوي بنفس العاطفة فـ...

مال "راكشنز" عليها وقبلها، لا يمكن إنكار الشغف بينهما وهو يقبلها بعمق. تراجع على مسافة بضع بوصاتٍ من وجهها وقال:

- ماذا تريدين مني أن أقول بعد هذا؟

- أريدك أن تكون صادقًا معي فقط.

قبل شفتيها مجددًا لكن بخفة، كانت قبلة رقيقة وعاطفية جدًّا لدرجة أنها أزالت كل شكوك "إلينور".

أنهى "راكشنز" القبلة وقال:

- أنا أحبكِ.

ثم تراجع في كرسيه وقال:

- يا إلهي! هل اعترفت لكِ بالحب الآن حقًّا؟

قالت "إلينور" بسعادة واضحة في عينيها:

- نعم فعلت، وعنيت كل حرفٍ قلته!

أغلق "راكشنز" عينيه وقال لنفسه: "يا إلهي! ما الذي أفعله؟ هل قلت ذلك لأخدع تلك المرأة الجميلة لأنني لا أستطيع سرقة البنك الوطني الأيرلندي دون مساعدتها؟ أم لأنني أحبها؟ حقًّا؟ نعم، أنا أحبها! تبًّا! يا إلهي! ما هذه الفوضى التي تسببت بها يا "راكشنز أوهاري"؟".

أخذت "إلينور" حقيبتها وأخرجت الماكياج لتضع أحمر شفاه مجددًا، لم تكن شفتاها بحاجة إلى أحمر شفاه، لكنها أرادت أن تشغل نفسها بشيء. تركت الحقيبة وقالت:

- لم لا نرحل عن هنا يا "جيمس"؟ لنذهب إلى لندن أو أي مكانٍ آخر، لديَّ مال، يمكننا أن..

وضع "راكشنز" إصبعه على شفتيها وتمتم:

- لاحقًا، بعد انتهاء العملية، يمكننا الذهاب إلى أي مكانٍ نريد.

نظرت "إلينور" إلى عينيه وقالت:

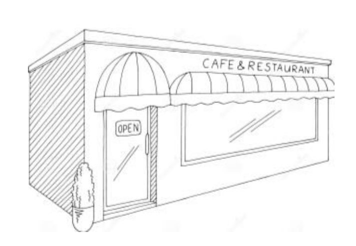
- هل أنت جادٌ في كلامك؟

- كل حرفٍ منه.

قال الرجل الذي يصورهما فيديو:
"خرج السيد "أوهاري" من سيارة السيدة "إلينور" وعاد إلى سيارته".
رن هاتفه، فرد دون أن يوقف التسجيل:
- مرحبًا، لا تقلق، لم يلمحوني.
عندما ابتعد "راكشنز"، أوقف الرجل التسجيل وركز على المكالمة.
- بلا شك يا "تايني"، الدليل قاطع.

قال ضابط الجوازات الأيرلندي وهو يفحص جواز سفر "سيرجي ميرسير":
- ما هدف زيارتك لأيرلندا يا سيدي؟
- لأتأكد إن كانت ملاعب الجولف لديكم بالجودة التي يتحدثون عنها أم لا أيها السيد. أهي كذلك؟
أجاب ضابط الجوازات وهو يعيد إليه جواز السفر:
- بالتأكيد. أين تريد اللعب؟
- أخبرني أصدقائي عن.. آاه.. "بورت".. "بورتمارنووك"؟
- "بورتمارنوك" يا سيدي.
- "بورتمارنووك".
- لا يا سيدي، "بورت.. مار.. نوك".
- "بورت.. مار.. نوك".
- صحيح.
قال المسافر بالفرنسية:
- اعذرني.
- لا بأس يا سيدي، إنه مسارٌ ممتاز، سيعجبك. الحفرة رقم أربعة عشر وخمسة عشر من أفضل الحفر في العالم.
- جميل.
- استمتع بزيارتك يا سيدي.

5



جلس "راكشنز" و"بانزر" في قسم تقديم الطعام الساخن في استراحة على طريق بلفاست–دبلن السريع. جلسا متقاربين جدًّا لدرجة أن رأسيهما يكادان يتلامسان. نظر "بانزر" خلف "راكشنز" وركل رجله تحت الطاولة، فسأله "راكشنز":

– ما الأمر؟

– "تايني مردوخ" و"كول كولمان" ورجلان ضخمان.

– ماذا يفعلون؟

قال "بانزر":

– تبًّا! لقد رأونا، وهم قادمون إلينا.

"روبرت مردوخ" مشهور باسم "تايني"، طوله 198 سم، وله جسد مصارع محترف، إنه يعمل في المقر العام للجيش الجمهوري الأيرلندي. بتوقيع اتفاقية "جود فرايدي" في 1998، تخلى هذا الجيش عن الصراع المسلح كوسيلة لتحقيق هدفه بتوحيد أيرلندا. اقتنع المعلِّقون السياسيون أن الجيش الجمهوري كُسِرَت شوكته، لكن "راكشنز" و"بانزر" وكل عالم الجريمة يعرفون أن الحقيقة عكس ذلك تمامًا.

بينما جلس "مردوخ" بجانب "بانزر"، جلس "كولمان" بجانب "راكشنز"، أما الرجلان الضخمان فجلسا على طاولةٍ قريبة.

دخلت المطعم سيدة في منتصف العمر تربط شعرها الأشيب كذيل حصان وترتدي نظارة، ثم جلست على مسافة عدة طاولاتٍ من الرجلين الضخمين، فتحت حقيبتها وأخرجت محفظتها، لكن قبل ذلك ضغطت زرًّا لتشغيل كاميرا صغيرة مخفية في جانب الحقيبة.

قال "مردوخ" وهو يكبش البطاطس المحمرة من طبق "بانزر" بأصابعه الضخمة:

- ما الأخبار يا شباب؟

قال "بانزر" باسترخاء:

- بخير يا "تايني"، خذ ما شئت من البطاطس، سمعت أنها لذيذة هنا.

قال "مردوخ" وهو يلتهم ما تبقى من البطاطس:

- هذا لطفٌ منك يا "بانزر".

ثم سحب الصينية كلها نحوه وقال:

- يا إلهي! لقد فقدت وزنًا كبيرًا يا "بانزر".

- أحاول التقليل من الوجبات السريعة يا "تايني".

ضحك "مردوخ" وقال:

- فكرةٌ جيدة.

مد "كولم كولمان" يده إلى بطاطس "راكشنز"، فقبض على معصمه بقوة بأصابعه الطويلة، حاول "كولمان" أن يسحب يده لكن قبضة "راكشنز" كانت أقوى منه.

قال "مردوخ":

- ألم أخبرك يا "كولم"؟ انظر إليه، إنه شرس ككلاب الـ"روتفايلر"، يمكنه أن يطلق النار على رأسك ثم على رأسي بكل بساطة.

ترك "راكشنز" معصم "كولمان" وقال وهو يشير إلى الطعام:

- تفضل.

فرك "كولمان" يده وقال شاعرًا بالإهانة:

- أتفضل؟ ستكون محظوظًا إن لم أجعلك أنا "تتفضل" عندي.

دوى صدى بعض الكلمات في عقل "راكشنز"، إنها نصيحة من "ذا ديفيل": "لا تسمح لأعدائك برؤية غضبك أبدًا".

أخذ "مردوخ" ساندويتش البرجر بالجبن الخاص بـ"بانزر" وحشره في فمه، فبالكاد استطاع التحدث.

- هل تقومون بأي أعمالٍ حاليًّا؟

رد "بانزر":

- لا. بصراحة يا "تايني" لم أرَ الأوضاع بهذه الصعوبة من قبل، ماذا عنك؟

أنهى "مردوخ" ساندويتش "بانزر" ومسح فمه بمنديلٍ وقال:

- إنه شهي.

ثم تجشأ وقال:

- ماذا قلت؟

- قلت إنه ليس لدينا أعمال جارية حاليًّا.

- العمل صعب هذه الأيام، أعترف بذلك، إنها فترةٌ صعبة، أليس كذلك يا "كولم"؟

- نعم يا "تايني"، إنه وقتٌ بائس.

نظر "كولمان" إلى ساندويتش البرجر بالجبن الخاص بـ"راكشنز" وسأل "مردوخ":

- ما رأيك في هذا الساندويتش؟

- ممتاز.

- ما رأيك يا "راكشنز"؟ هل ترشحه لي؟

- سمعت أنهم يعدون أشهى ساندويتش برجر بالجبن هنا.

ضحك "كولمان" ثم تبعه "مردوخ" و"بانزر" و"راكشنز". قال "كولمان":

- هذا مضحك، أليس هذا مضحكًا يا "تايني"؟

رد "مردوخ":

- صديقنا "راكشنز" رجلٌ مرح، إنه مثل "شارلي شابلن".

توقف الضحك وأخذ "كولمان" ساندويتش "راكشنز" وبدأ يأكل.

على عكس "مردوخ"، مضغ "كولمان" ببطء وقال:

- لذيذ وطري.

ثم رفع الساندويتش نحو "مردوخ" وقال:

- علينا تناول هذا باستمرار يا "تايني"؛ إنه شهي لدرجة لا تُصدق.

نقر "مردوخ" صدر "راكشنز" بإصبعه وقال:

- من الصعب قتل هذا الفتى، لقد حاولنا ثلاث مرات.

سأله "كولمان":

- لماذا ما زال على قيد الحياة إذًا؟

- لأنه اشترى حريته.

- كيف؟ ماذا فعل؟

لوح "مردوخ" بيده وقال:

- أثناء فترة وقف إطلاق النار، كانت المفاوضات في مرحلةٍ حرجة وكان علينا وقف نشاطنا، لكننا كنا بحاجةٍ للتخلص من أحد أعدائنا، وهذا الرجل - المحترف في تفادي الرصاص- قتله لنا.

نظر "راكشنز" عبر النافذة، لكن "مردوخ" وضع يده على رأسه وأدار وجهه إليه وقال:

- لقد قلت للتو إنك قاتل.

تثاءب "راكشنز" ولم يحاول إخفاء ضيقه.

قال "مردوخ" بصوتٍ عالٍ وهو يشير إلى "راكشنز":

- هناك قاتلٌ لعين في استراحة الطريق السريع، تابعوا آخر الأخبار.

قال "كولمان":

- ما السر يا "راكشنز"؟ ما الذي تخطط له مع العجوز "بانزر"؟

قال "راكنشز" لنفسه: "حتى لو معي مدير بنك إنجلترا في شنطة سيارتي، فستكون آخر من يعلم يا "كولم".

هز "راكشنز" كتفيه ولوح بيديه بعدم رغبته في الكلام.

نظر "مردوخ" لوجه "بانزر" بتمعن وسأله:

- هل كنت ستخبرني إن كان لديك عملية؟ لا أظن.

يعرف "بانزر" أنه إن أجاب بنعم، فستكون كذبةً واضحة، لذلك لجأ إلى الصراحة.

- أنت محق، لن أفعل. ولماذا قد أخبرك يا "تايني"؟ لكي تسرق الغنيمة مني؟

- ما كنت لأفعل ذلك.

نظر "بانزر" إلى طبقه الفارغ وابتسم قائلًا بسخرية:

- هذا واضح.

همس "مردوخ" في أذن "بانزر":

- لن تبخل عليّ بساندويتش برجر، أليس كذلك؟

- بالطبع لا.

- أتمنى ذلك بالفعل. والآن يمكنكما الإنكار بقدر ما شئتما، لكنني أعلم أنكما خلف عملية المليون جنيه إسترليني الخاصة بشحنة السجائر في قرية "بالكو" في يناير.

هتف "بانزر" باستنكار:

- تبًّا يا "تايني"! لا تعكس الحقائق، أنتم من فعل ذلك.

رد "مردوخ" وهو يشير إلى "راكشنز":

- لا أظن ذلك، نحن فقط تلقينا اللوم كالعادة، أنت وهذا المحترف في تفادي الرصاص قمتما بالعملية.

- أنت مخطئ يا "تايني".

فتح "مردوخ" الغطاء البلاستيكي لكوب الصودا الخاص بـ"بانزر" وشرب السائل دفعةً واحدة، ثم قال:

- "كولم".

- نعم يا "تايني".

- هل حصلنا على ضريبة مقابل عملية "بالكو"؟

- ولا قرش.

- الامتناع عن دفع الضرائب يؤدي إلى السجن.
قال "كولمان":
- بعض الناس يُقتَلون بسبب هذا.
قال "بانزر":
- أقسم أننا لم نفعلها يا "تايني".
وضع "مردوخ" يده على ذراع "بانزر" وقال:
- سأتغاضى عن هذه المرة لأنك تعجبني يا "بانزر"، فأنت قدمت لنا بعض الخدمات في الماضي.
ثم أشار إلى "راكشنز" وقال:
- لكنه لا يعجبني.
وضع "مردوخ" إصبعيه على رأسه بشكل مسدسٍ وقال لـ"راكشنز":
- أنت تتمنى قتلي، أليس كذلك؟
بدا "راكشنز" غير مبالٍ ولم يرد.
قال "مردوخ" بانزعاج:
- أترى يا "كولم"؟ أترى؟ هذا الحقير لا يتمتع حتى بالكياسة لإنكار الأمر.
ظل ينظر إلى "راكشنز" في انتظار إنكارٍ لن يأتي أبدًا. استدار إلى "بانزر" وقال:
- لو سمعت أنك..
قاطعه "بانزر" قائلًا:
- لن تسمع شيئًا.
قال "مردوخ":
- اصمت حين أتحدث.
صمت قليلًا ليرى إن كان "بانزر" سيعارضه، ثم قال:
- لو سمعت أنك قمت بعملية ولم أحصل على ضرائبي منها فسآتي إليك، فهمت؟
- بالتأكيد.

عاد "مردوخ" ينظر إلى "راكشنز". نظر الرجلان إلى بعضهما بتحدٍّ صامت، أبعد "مردوخ" نظره أولًا، نظر إلى النافذة ثم نظر إلى "راكشنز" مجددًا وقال لــ"كولم":

- هل يتبعنا أحد يا "كولم"؟

- لا أظن.

دار "مردوخ" بعينيه في المكان ليرى إن كان هناك كاميرات مراقبة لكنها لا تبث خارج المكان الموجودة فيه. نعم، هناك. فهم أحد الرجلين الضخمين زعيمه ومد يده إلى حزامه وكأنه سيخرج مسدسًا.

- نظر "راكشنز" إلى أنف "مردوخ" وقال في سره: "سأحطم منقارك هذا قبل أن يطلق كلبك النار علي أيها القذر".

دخل رجلا شرطة إلى قسم التسوق، فهز "مردوخ" رأسه نفيًا وأبعد الرجل يده عن حزامه.

نقر "مردوخ" خد "راكشنز" وقال:

- "بانزر"، من الأفضل أن تجعل كلبك الــ"روتفايلر" يخضع لي وإلا فعلت أنا.

نهض "مردوخ" وابتعد ثم استدار وفرك بطنه وقال:

- شكرًا على هذه الوجبة الخفيفة، جاءت في وقتها.

تبع "راكشنز" "مردوخ" ورجاله بنظره حتى وصلوا إلى السيارة، ركبوا بجانب النافذة ثم توقفوا ونظر "مردوخ" إليه وهو يجلس في مقعد الراكب ثم أشار للسائق بالابتعاد.

قال "بانزر":

- يجب ألا تضايقه، هذا ليس في صالح الأعمال.

- هو من يغضب بسرعة، أنا لم أقل كلمة.

- كان يمكن أن تكون أكثر دبلوماسية.

- هل تريدني أن أخضع له؟

جفل "بانزر" وقال:

- علينا فعل ذلك يا "راكشنز".

احمر وجه "راكشنز" وكأنه على وشك الانفجار، وقال:

- أنا لا أتذلل لأمثال ذلك الوغد يا "بانزر"، وبالمناسبة، تبًّا له ولضرائبه، من يظن نفسه حتى يجمع منا ضرائب؟ سوف..

صاح "بانزر":

- حسنًا! سمعتك!

تراجع "راكشنز" خلف حاجز الصمت مجددًا بينما يكمل "بانزر" كلامه بصوت أهدأ:

- اسمع يا "راكشنز"، سأدفع ربع مليون جنيه إسترليني قبل أن أربح شيئًا من العملية.

ثم رفع إصبعه وواصل:

- أي قبل أن أكسب جنيهًا واحدًا، لذلك أريدك أن تكون معي مئة بالمئة، إن لم تكن كذلك فانهي هذا الأمر قبل أن أهدر مالي.

شعر "راكشنز" بالندم وقال:

- أنا معك للنهاية يا "بانزر"، اعتمد عليَّ.

جذب "بانزر" خد "راكشنز" وقرب وجهه منه وقال:

- يا بني، إن كان علينا أن نتذلل، فسنفعل ذلك معًا، ليس لأننا نخاف الجيش الجمهوري، بل لأن هذه الخطة في صالحنا.

صمت "راكشنز" مجددًا، إنه لا يعرف كيف يتذلل.

- لكنك محق في شيءٍ واحد.

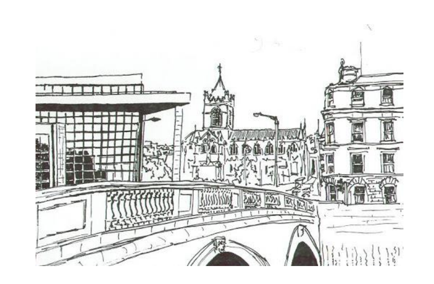
- حقًّا؟

- نعم، نحن لا ندفع ضرائب لأحد، تبًّا لهؤلاء الأوغاد الجشعين.

ابتسم "راكشنز" وقال:

- أنا جائع بشدة، هل تريد ساندويتش برجر؟

6



في دبلن، جلس "فينبار" على حافة النافذة الخشبية ونظر إلى حديقةٍ خلفية واسعة محاطة بأشجار الصنوبر. يعزف "إنيو موريكوني" في الراديو أغنية "Gabriel Oboe" من فيلم "The Mission". استند "بينزو مولينز" على فرو حيوان يزين ظهر أريكة فاتحة اللون، وأراح قدميه على كرسي صغير مطابق للأريكة. أغلق تاجر المخدرات عينيه وأخذ يلوح بيده مع الموسيقى، جلس بجانبه "إيان مكلور" الشهير بـ"توينتي بيليز" ينظف رشاشه نصف الآلي بقطعة قماش.

تساءل "فينبار" إن كان "بينزو" قد أُصيب بموسٍ حاد في جانبي فمه فأصبح له هذا الجرح الشبيه بابتسامة. لاحظ أن الندبة التي على طرف جانبي فمه طولها بوصة، حك فمه بسبابته وإبهامه لا شعوريًّا.

لا يتعاطى "جيك أوريلي" المخدرات، لكنه يعرف أن "فينبار" خبير في الكوكايين، لذلك دعاه ليجرب عيناتٍ من البضاعة. اقترب "فينبار" من الطاولة الزجاجية الصغيرة وانحنى، أخرج ورقة من فئة عشرة يورو ولفها ليستخدمها كأنبوب لاستنشاق الكوكايين، ثم أرجع رأسه للوراء.

سأله "جيك":

- ما رأيك؟

تحولت الابتسامة العادية التي على وجه "فينبار" إلى ضحكة كبيرة وهو يقول:

- إنها بضاعة فاخرة.

وقف "بينزو" وسار نحو "جيك" ثم وضع يده على كتفه وأشار إلى المطبخ وقال:
- تلك "الناقلة" تحمل الكثير من صنف "تشارلي"، الآن أخبرني أنك ستعتني بها، لأنه منذ خروجها من هنا ستصبح مسؤوليتك هي والصنف.
قال "جيك":
- لا تقلق.
- كيف ستوصلهما إلى بلفاست؟
- هذا شأني.
قال له بلطف:
- أرحني وأخبرني.
- كما قلت لك؛ تهريب "تشارلي" إلى بلفاست هو شأني.
أومأ "بينزو" ونهض "توينتي بيليز" حاملًا رشاشه.
- حسنًا، لكننا سنتفق على الشروط.
قال "جيك":
- بالطبع.
- سأمنحك مهلة شهرًا واحدًا للدفع.
- لا مشكلة.
- تبًّا!
لم يتأثر "جيك" بانفعال "بينزو" المفاجئ، وسأله بهدوء:
- ما الأمر؟
- أكره تلك الكلمات اللعينة! كلما أخبرني قذرٌ ما أنه لا يوجد مشكلة، تحدث مشكلة لعينة.
هتف "جيك" بغضب:
- مهلًا! أنا لست قذرًا!
- لم أقصد أن..

- عندما تدعوني بالقذر، فأنت تدعو زعيمي بالقذر، وهو لا يتهاون أبدًا مع تلك الإهانة.

أومأ "بينزو" ببطءٍ وقال:

- لم أقصد قلة احترامٍ يا "جيك"، أنت لست قذرًا، ولا صديقي العزيز "بانزر".

قال "جيك" وعيناه تلمعان بتهديد لأنه ذكر اسم زعيمه:

- يا له من اسمٍ غريب! لا أعرف أحدًا بهذا الاسم أبدًا.

لم يخف "بينزو" من التوتر الذي ساد المحادثة فجأة، وحك الندبة التي على خده الأيمن وقال:

- لديك طريقتك ولديَّ طريقتي، ويجب احترام العمل. أريد مئتي ألف بعد شهرٍ واحد، لا أعذار أو حجج، حتى إن مت أنت وزعيمك، سأحصل على مالي، وإن تم مصادرة البضاعة، سأحصل على مالي أيضًا.

سأله "جيك":

- هل انتهيت؟

همس "بينزو" في أذن "جيك":

- قال الچنرال ذات مرة: "الألفة الزائدة هي أسرع خطوة نحو الحُكم الخاطئ". عندما أقوم بالتحذير، لا أحد يمكنه القول بأنه لم يكن يعرف العواقب إن اضطررت إلى إرسال رجالي للقضاء عليه.

قال "جيك":

- يقول زعيمي: "لا توجه تهديدات، بل احفظ وعودك". فتح "فينبار" فمه من الدهشة وأخذ ينظر إلى "جيك" و"بينزو". سمع صوتًا بداخله يقول: "ذلك الوغد! من الذي سيقضي عليه؟ رجالك؟! أنا؟ أبي؟ "راكشنز"؟ وماذا سنفعل نحن في رأيك؟ هل سنقف نشاهده مكتوفي الأيدي؟".

قرر "بينزو" ألا يُزيد الوضع سوءًا بكلامه، فقال:

- زعيمك يحافظ على وعوده يا "جيك"، وأنا أحترمه.

- إنه كذلك بالفعل، "فينبار"، اذهب لترى "الناقلة".

- حسنًا.

ذهب "فينبار" إلى الحمام حيث توجد "بياتريس"، إنها إحدى صديقات "بيتيريس"، كانت تلف حزام الكوكايين حول خصرها.

قالت وهي تضبط الحزام لوضعية مريحة:

- إنه ثقيل.

قال "فينبار":

- ثبتيه جيدًا يا "بي"، خذي وقتكِ.

ارتدت "بياتريس" فستانها ومعطفها، ثم نظر إليها "فينبار" بتمعنٍ وقال:

- حسنًا، لا شيء يبدو مريبًا، ابقي هنا.

عاد إلى غرفة المعيشة وقال:

- نحن مستعدان للمغادرة.

قال "بينزو":

- انتظرا.

أخرج هاتفه واتصل بامرأة تلف في المنطقة بسيارة لتتأكد من عدم وجود الشرطة. سألها:

- هل يوجد أحد؟

- لا.

قال "بينزو" لهما:

- لا يوجد شرطة.

ثم مد يده لـ"جيك" وقال:

- ولا يوجد بيننا ضغائن كما أتمنى، أليس كذلك؟

- لا، يجب احترام العمل كما تقول.

- أبلغ زعيمك تحياتي.

- سأفعل.

- أخبره أيضًا أنه يسعدني العمل معه.

- بالتأكيد. "فينبار"، غادر مع "الناقلة" أولًا.

تشارك "بانزر" و"راكشنز" طاولة مع بعض مشجعي منتخب فرنسا في حديقة مقهى "ذا باث باب" بجانب إستاد "لانسدون رود" في دبلن، بجانبهم على الأرض هناك حوض ماء تم تحويله إلى حوض زهور، وخلفهم على الممر المؤدي إلى مدخل المقهى، هناك جماعة من مشجعي منتخب أيرلندا يغنون النشيد الوطني.

ومن بين حشد مشجعي الرجبي، خرج صوتٌ صاخب وخشن ينادي:

- "راكشنز"! "راكشنز"!

استدار "راكشنز" ليرى من يناديه، رأى "سيرجي" يقترب وهو يرتدي وشاحًا بألوان المنتخب الفرنسي ويبتسم بود، مد "راكشنز" ذراعيه إلى "سيرجي" وعانقه.

قال "سيرجي" بسعادةٍ بالفرنسية:

- صباح الخير يا صديقي.

رد "راكشنز" باللغة نفسها وهو ما زال يعانقه:

- صباح الخير يا "سيرجي"، تبدو بأحسن حال.

- شكرًا يا "راكشنز".

- أنا جاد، الأمر محيِّر؛ تبدو أصغر بعشرين سنة من عمرك الحقيقي.

ضحك "سيرجي" وقال وهو يدير جانب وجهه لـ"راكشنز" ليراه:

- لقد أجريت عملية "بوتوكس" يا صديقي الأيرلندي.

اقترب مجموعة من مشجعي أيرلندا ووضع أحدهم ذراعه على كتف "سيرجي"، انضم "سيرجي" و"راكشنز" إلى مشجعي أيرلندا في غناء النشيد الوطني الأيرلندي، "أغنية الجندي"، ثم هتف "راكشنز" بتشجيعٍ حماسي:

- تقدمي يا أيرلندا!

هتف "سيرجي" بالفرنسية بتشجيع ودي:

- تحيا أيرلندا!

فقابله "راكشنز" بالمثل قائلًا:

- تحيا فرنسا!

اصطدم أحد مشجعي فرنسا بـ"بانزر" الذي كان يقترب ومعه كوبان من البيرة الأيرلندية، لحسن الحظ لم ينسكب الكوبان، اعتذر الطرفان لبعضهما، أعطى "بانزر" أحد الكوبين إلى "سيرجي" وهو يبتسم وقال:

- فكرت في أنك قد تريد واحدًا أيها العجوز.

نظر "سيرجي" إلى محدثه قبل أن يدرك أنه "بانزر"، لقد انصدم من وزنه الناقص ووجهه الشاحب، لكنه تجاوز الصدمة سريعًا وابتسم في وجه صديقه القديم وقال:

- ها! بالتأكيد أنا عجوز! لكنك أكبر مني!

أخذ منه الكوب وشرب ببطء، فقال "بانزر":

- لقد ألهبت حنجرتك بالتشجيع أيها الفرنسي! اشرب جرعةً كبيرة.

ابتلع "سيرجي" الكوب كله وقال بالفرنسية وهو يضع الكوب على الطاولة:

- إنه لذيذ أيها الأيرلندي.

تعانق هو و"بانزر" بودٍّ شديد.

دخلوا الإستاد لكن "بانزر" جاءته مكالمة فتخلف وراء "راكشنز" و"سيرجي"، توقف "سيرجي" ليربط حذاءه، ونظر إلى الأعلى ليسأل "راكشنز":

- هل يمكنني سؤالك عن شيء ما يا "راكشنز"؟ كم تتوقع أن يكون مكسب العملية؟

- من الصعب التحديد، لكن بالتخمين يمكن القول من ثلاثين إلى خمسين.

وقف "سيرجي" وقال بصدمةٍ واضحة:

- مليون؟

أومأ "راكشنز".

- يا إلهي!

- هل يمكنك أن تتولى أمر هذا المبلغ؟
تردد "سيرجي" قبل أن يرد قائلًا:
- نعم يمكنني، لكن فلتعلم أن غسيل مبلغٍ كهذا سيكون مكلفًا جدًّا.
- إلى أي مدى؟
- لا أعرف بعد، لكن قد تصل التكلفة إلى خمسين أو ستين بالمئة.
وضع "راكشنز" يديه على جانبيه وركز في كل كلمة وكل ردة فعل من "سيرجي"، ثم قال:
- يا إلهي! هذا كثير. واو!
ثم وضع يديه في جيوبه الخلفية وقال:
- بصراحة يا "سيرجي" لم أتوقع هذا.
هز "سيرجي" كتفيه ورفع كفه قائلًا:
- قد لا تكون هذه النسبة أو.. أو قد تكون أكثر، لا أعرف بعد، أعترف أنني لم أتعامل مع هذا المبلغ من قبل.
ثم أضاف بحيرة:
- سأضطر إلى السؤال والبحث.
عاد "بانزر"، وقال "راكشنز":
- سنتحدث بعد المباراة.
قال "بانزر" وهو يضع ذراعيه حول كتفيهما:
- ما الأمر يا رفاق؟ أخبراني بالأحداث.
قال "راكشنز":
- أيرلندا تكتسح فرنسا. هيا يا أيرلندا!
هتف "بانزر":
- تحيا أيرلندا للأبد!

عاد "بانزر" إلى الفندق بعد المباراة، ألقى سيجارة من بلكونة الفندق بعدما دخن نصفها، ظلت تدور وتلف في الهواء حتى سقطت على السطح الصلب لمدخل الفندق وقفزت بضع مرات حتى سكنت تمامًا، جلس ورفع ولاعته الذهبية بسبابته وإبهامه وقلبها في يده بضع مرات، إنه لا يفهم لعبة الرجبي حقًّا، لكنه يحب الحركة فيها، يحب اندفاع اللاعبين المستميت من أجل اللعبة. طرق أحدهم على الباب فقطع أفكاره.

نظر "بانزر" عبر العين السحرية ثم تراجع ونظر مجددًا. أيًّا كان الطارق - سواء رجل أو امرأة- فهو يرتدي معطفًا جلديًّا طويلًا أسود اللون وقبعة سوداء، وينظر في الاتجاه المعاكس للباب، لكن عندما استدار اتضح أنه "فينبار". فتح "بانزر" الباب ودخل "فينبار" الغرفة.

قال "بانزر" بانفعال:

- يا إلهي! لوهلة ظننت أن الشيطان بنفسه جاء ليقبض روحي.

قال "فينبار":

- إنه أنا وحسب.

سار إلى البار الصغير وأخرج زجاجة ويسكي صغيرة وضعها على فمه وقال ببساطة وهو يشرب:

- تم تسوية المسألة الأخرى.

رفع "بانزر" صوت التليفزيون وأشار لـ"فينبار" بدخول البلكونة، ثم أغلق الباب الزجاجي خلفهما وجلس إلى الطاولة وسأل:

- تم نقل "شارلي" إذًا؟

أومأ "فينبار".

- وأين "جيك"؟

- مع "تشارلي".

- ظننتك ستعود معه إلى بلفاست.

- لا، سأقابل بعض الأصدقاء لنشرب معًا.

- حسنًا.

انفتح باب البلكونة المجاورة وخرج "راكشنز".
رفع "فينبار" قبعته بتحية وهو يقول:
- أهلًا "راكشنز".
ضحك وهو يقول:
- يعجبني الزي، إنه مخيف.
- هكذا يخبرني الجميع.
سأل "بانزر":
- ما موعد حجزنا في المطعم؟
رد "راكشنز":
- في الثامنة.
ثم دخل ليستحم.
وقف "بانزر" واستند إلى حاجز البلكونة بيديه، ثم قال دون أن يستدير:
- ذكرني، كم سيكون صافي ربحنا بعدما يحصل "بينزو" على المئتي ألف؟
- ثلاثمئة ألف.
- هل أنت واثق من قدرتك على توزيع البضاعة؟
- لا مشكلة أبدًا، أعرف أشخاصًا مستعدين لقتلنا في سبيل الحصول على الصنف. وبمناسبة البضائع يا أبي، أظننا نستطيع نقل حاويةٍ أخرى من السجائر على الأقل كل أسبوع، وربما اثنان. أعرف أشخاصًا يعملون في ميناء "داندالك"، سيغضون نظرهم عنا مقابل السعر المناسب.
قال "بانزر":
- فكرة لا بأس بها.
- وعاجلًا أو آجلًا سيترك الجيش الجمهوري مجال تهريب الوقود.
- لماذا تظن هذا؟

سياسة عملية السلام ستطلب هذا، وبمجرد خروجهم من الصورة، سيتركون سوق تهريب الديزل المربح، عندها سنستولي عليه. علينا أن نبدأ بالبحث عن مكان نقوم فيه بــ"غسيل الوقود" بأنفسنا، بالإضافة إلى توسيع قاعدة عملائنا.

- يبدو أنك كنت مشغولًا بالتفكير.

- ليس حقًّا، الأمر فقط..

- لماذا تظن أن الجيش الجمهوري سيتخلى عن تجارة تربحه ملايين سنويًّا؟

- لا خيار آخر أمامهم إذا كانوا يريدون دخول المجال السياسي.

- قد تكون محقًّا من الناحية السياسية البحتة، لكن بعض أعضاء الجيش الجمهوري قد يفكرون في دخول سوق تهريب الوقود بشكلٍ شخصي منفرد، سيرون الأمر فرصة، مثلك.

- أظن أن السوق سيتسع للجميع.

قال "بانزر" وهو يرفع إصبعه محذرًا:

- هذا مفهومٌ خطير، عاجلًا أو آجلًا سيصاب رجلٌ ما بالجشع ويقنع نفسه بأنه لا يحتاج إلى منافسةٍ معه، عندها يرفع الجميع الأسلحة ونجد الجثث تملأ الشوارع.

- ذلك الاحتمال ينطبق على كل مجالات العمل.

قال "بانزر":

- هذا ليس صحيحًا تمامًا، لكنه احتمالٌ قويٌّ في عملنا؛ في عالم الجريمة.

وضع "بانزر" يده على كتف "فينبار" وقال:

- يا بني، ستأخذ مكاني قريبًا، وعليك بالبحث عن مجال عملٍ شرعي للتغطية، مثل مجال العقارات؛ إنه في قمة الازدهار حاليًّا.

رد "فينبار":

- بالتأكيد.

عبس "بانزر" عندما لاحظ لا مبالاة ابنه الواضحة.

تنحنح "فينبار" وقال:

- هناك شيءٌ يزعجني يا أبي.

قال "بانزر" باستسلام:

- يا إلهي! ما الأمر؟

- لماذا قمت بصفقة مخدرات مع "بينزو"؟ ظننتك تكره تجارة المخدرات.

اختار "بانزر" كلماته بحذرٍ وهو يقول:

- صحيح، لكنني سأنفق الكثير من المال في عملية البنك التي أخبرتك عنها، تلك التي سننفذها مع "راكشنز".

- نعم.

- أحاول تجنب المخاطرة، عدها بوليصة تأمين ضد أي خسارة محتملة، إنها صفقةٌ فريدة، تحدُث لمرةٍ واحدة.

- فهمت.

- لقد أخبرتك من قبل وسأقولها مجددًا؛ إياك أن تخبره بأنني قلت لك شيئًا عن هذه العملية؛ إنه لا يحبك.

- إنه وغدٌ غيور، لا يطيق أن أحصل على المزرعة والأعمال وهو لا.

جلس "سيرجي" و"بانزر" و"راكشنز" في مطعم الفندق، أحضر لهم النادل زجاجة من النبيذ وقدم البطاقة التعريفية إلى "سيرجي" وهو يقول:

- نبيذ "شاتو دي كيم" الفاخر من منطقة "سوتيرن" الفرنسية يا سيدي.

أومأ "سيرجي" وشم الغطاء الفلين للزجاجة وقال:

- رائحة مميزة.

صب النادل النبيذ لهم ثم غادر.

قال "سيرجي":

- كان اللحم شهيًا، أليس كذلك؟

قال "راكشنز":

- نعم، كان لذيذًا.

رفع "سيرجي" كأسه وأدارها ليحرك النبيذ فيها وقال:

- لو سمحتم يا سادة، أود القول إن هذا المشروع يعتمد على الطموح الشديد.

قال "راكشنز":

- سينجح يا "سيرجي"، أعرف ذلك.

صمت "سيرجي" دليلًا على تحفظه تجاه الأمر، ثم قال:

- وماذا عنك يا "جوني"؟ هل أنت واثقٌ من نجاحه؟

تردد "بانزر" قليلًا ثم قال:

- يمكنك القول إنني متفائل.

قال "سيرجي":

- في رأيي، إن التفاؤل شعور مبالغٌ فيه.

- ربما، لكنني تناقشت مع "راكشنز" ولم أجد غلطة في خطته، سنحتاج بعض الحظ بالطبع، لكن المرء لا يستغنى أبدًا عن المال، صحيح؟ إنه أكثر ما يستحق المخاطرة من أجله.

قال "سيرجي":

- أتمنى ذلك.

قال "بانزر":

- "راكشنز" لم يخذلني قط.

شرب "سيرجي" النبيذ وقال:

- أعرف، لكن ما ستقومان به أمرٌ فريد لم يحدث من قبل.

قال "بانزر":

- نعرف.

- لن يمكنك غسيل المال في أيرلندا أو إنجلترا.

قال "راكشنز" ببساطة:

- لهذا دعوناك إلى هذا العشاء الفاخر يا سيدي.

أومأ "سيرجي" بعظمة ونظر إلى "راكشنز" بحيرةٍ وقال:

- شكرًا.

ثم تبادل النظرات مع "بانزر" قبل أن يعود إلى حديثه مع "راكشنز":

- هل سأكون قاسيًا لو واصلت النقاش معكما؟
- لم أتوقع أقل من هذا منك.
- لنغامر ونفترض أن الخطة نجحت وحصلتما على "البضاعة".
قال "راكشنز":
- حسنًا.
- لنفترض أيضًا أنكما تجنبتما السلطات.
- نعم؟
- سيظل لديكما مشكلة نقل "البضاعة" خارج البلد، وبالطبع سيكون الطيران خارج الحسبان نظرًا لسهولة مراقبته ومتابعته. هل توافقاني الرأي؟
- نعم.
- كيف تنويان نقل "البضاعة" إذًا؟
لوح "راكشنز" بيده باستهانة، فقال "سيرجي":
- سؤالي منطقي، لا أظن أن الشرطة ستستغرق وقتًا طويلًا قبل أن تكتشف الفاعل.
قال "راكشنز":
- هذا محتمل لكن ليس أكيدًا.
- ستدرك الشرطة أن القليل من الـ... لنقُل الجهات.. يمكنها النجاح في عمليةٍ كهذه، سيقومون بالاستبعاد وتضييق دائرة الاشتباه حتى يصلوا إلى النتيجة الصحيحة. ألا تظن ذلك؟
قال "بانزر":
- العملية موزعة على مجموعاتٍ مختلفة لا يعرف أفرادها بعضهم بعضًا.
- ربما، لكن العقول المدبرة للعملية واضحة كالشمس.
قال "راكشنز":
- سيُلقى اللوم على أفراد الجيش الجمهوري.
رد "سيرجي":
- في البداية بالتأكيد.

ثم شرب بعض النبيذ وقال لـ"بانزر" بتركيز:

– لكن ألم تخترق الشرطة والمخابرات صفوف الجيش الجمهوري بالفعل؟

قال "راكشنز":

– إلى حدٍّ ما، لكن ليس تمامًا، هناك عناصر لا تعمل مع الشرطة أو المخابرات.

نظر "سيرجي" إلى زجاجة النبيذ وقال:

– لم أقتنع، كل ما أفهمه من هذا هو أن العناصر التي لا تعمل مع الشرطة لم تميِّز الصديق من العدو بعد. أممم.. هل يمكنني أن أسأل من سينفذ العملية أم لا؟

قال "بانزر":

– هذا حقك، إنهم أعضاء سابقون في الجيش الجمهوري، ثوار متقاعدون، يعملون لصالح أنفسهم الآن، إنهم حذرون جدًّا ولا يتركون أدلةً خلفهم، لقد استخدمناهم من قبل دون حدوث أي مشكلات.

أشار "راكشنز" إلى نفسه وإلى "بانزر" وهو يقول:

– اثنان منهم فقط يعرفان بوجودي أنا و"بانزر" في العملية، وكلٌّ منهما لا يعرف أن الآخر مشتركٌ معنا.

أضاف "بانزر":

– ومن مصلحتهما أن يلزما الحذر.

بدا "سيرجي" وكأنه يعد على أصابعه ثم قال:

– يعجبني هذا، أظن أنه من غير الحكمة أن أواصل أسئلتي؛ لن أسأل عن موعد العملية بالضبط، لكنك تُقدر أن لديَّ التزامات، لذلك أحتاج موعدًا تقريبيًّا إن كان هذا لا يزعجك.

قال "راكشنز":

– سننفذ قريبًا جدًّا، سأخبرك عندما نحدد.

قال "سيرجي":

– لم يبق ما يقال إذًا.

ثم رفع كأسه وأضاف:

– في نخب العمل.

7



خرج "فينبار" من ملهى ليلي في منطقة "تمبل بار" الصاخبة في دبلن. امتلأت الشوارع بالأشخاص المستمتعين بوقتهم، دوت موسيقى شعبية أيرلندية في بار "تمبل بار" المحاط بسكارى صاخبين، فاحت رائحة تبغٍ وحشيش قوية في هواء ديسمبر البارد، شرب رجل متنكر في زي جني قزم كوب بيرة، بينما يشاهد أربعة رجال وثلاث نساء يتشاجرون عند مدخل البار، أنهى الرجل المتنكر البيرة ووضع الكوب الفارغ على برميل بيرة، ثم خلع قبعة القزم المضحكة والأذنين المدببتين ووضعهما في جيبه، تنفس بعمقٍ ثم انضم للشجار، لكنه ظهر بعد دقائق بأنفٍ ينزف. رفع أحد المتشاجرين قبضته ليضربه، وصاح أحدهم:

- إنه قزم! إنهم يضربون القزم!

انضم المزيد من الناس إلى الشجار، انفجر شجارٌ عنيف وتطايرت كرات الثلج لتصطدم بالوجوه والرؤوس، فجأة انتهى الشجار بسرعةٍ كما بدأ عندما تفرق الأطراف ليحتموا من قذائف الثلج، علق "فينبار" قائلًا إن الأيرلنديين لا يحبون أن يبتلّوا أثناء القتال العنيف. وقف عند أحد المداخل حتى انتهاء القتال، ثم سار إلى الجراج، ركب المصعد وضغط زر الطابق الرابع، قبل إغلاق الباب مباشرةً ركب معه رجلان، أحدهما في العشرينات والآخر في الأربعينات.

خرج "فينبار" من المصعد وذهب إلى سيارته، شغل الراديو بمجرد أن ركب، ودوت في السيارة أغنية "Knocking on Heaven's Door" لـ"بوب ديلان"، نظر "فينبار" حوله ولم يجد أحدًا، فوضع ملعقة من الكوكايين في كيسٍ بلاستيكي واستنشق بعضه، هز رأسه ومرر إصبعه على أنفه، انفتح باب الراكب فجأة ودخل الرجل الأكبر سنًّا الذي كان معه في المصعد، إنه رجلٌ قصير وبدين، يرتدي بذلةً زرقاء، وله شعرٌ رمادي يربطه على شكل ذيل حصانٍ قصير ويرشه بمثبتٍ للشعر. أخرج الرجل مسدسًا وغرزه في صدر "فينبار" الذي تفاجأ.

- ما الذي..؟!

زمجر الرجل بلهجة أهل دبلن الصارمة:

- اخرس.

جذب مفاتيح السيارة وقال:

- هل تعرف من أنا يا "فينبار"؟ نعم أم لا؟

- لا.

قال بهدوء:

- أنا من الجيش الجمهوري، وأنت رهن الاعتقال. لا تتحدث إلا حين آمرك وسوف تكون بخير.

أخرج نظارة شمسية وأعطاها لـ"فينبار" وقال:

- ضع هذه.

ارتدى "فينبار" النظارة فوجد أن عدساتها مغطاة من الداخل بشريطٍ لاصقٍ أسود. فتش الرجل "فينبار" بحثًا عن أسلحة ثم قال:

- أحسنت أيها الشاب، والآن افتح الباب واخرج.

عندما خرج "فينبار"، أخذه الرجل الأصغر سنًّا وجذبه من ذراعه ليضعه في مؤخرة سيارةٍ أخرى ثم ركب بجانبه، ركب الرجل الأكبر سنًّا في مقعد السائق وقاد.

في مكتب المحقق "جيري رولاندز" بمركز الشرطة في بلفاست، هناك شاشةٌ ضخمة معروض عليها صورة كبيرة لــ"مردوخ" و"كولمان" والرجلين الضخمين وهم في السيارة، هناك أيضًا على نفس الشاشة صورة لــ"مردوخ" و"كولمان" و"بانزر" و"راكشنز" وهم حول الطاولة في الاستراحة التي على جانب طريق بلفاست-دبلن السريع.

جلس أربعة ضباط خبراء وموظف لكتابة الملاحظات حول طاولةٍ مستديرة. اشتهر المحقق "رولاندز" بين زملائه باسم "بوكسي" بسبب وجهه المليء بالبثور والنقرات، إنه رجلٌ مجتهد في عمله ويُعتمد عليه، كما يعرف حدود قدراته. وقف إلى جانب الشاشة ممسكًا بعصا طويلة، طرقت سكرتيرته الباب ودخلت الغرفة لتحضر شايًا وبسكويتًا، وضعت الصينية على الطاولة وغادرت.

على عكس "رولاندر"، فإن رئيس المحققين "دانيال كلارك" لديه طموحٌ كبير؛ يريد أن يصبح الرئيس العام لشرطة أيرلندا الشمالية، إنه أصلع ووجهه ممتلئ وعيناه واسعتان. "كلارك" ليس وسيمًا أبدًا، لكنه يعد نفسه كذلك. مد يده ووضع مكعبين من السكر في كوبه ثم قلب الشاي، ثبتَتْ عيناه على الشاشة وقال:

- "مردوخ" يعمل الآن في المقر العام للجيش الجمهوري، أليس كذلك؟

أجاب "رولانزدر":

- نعم يا سيدي، منذ سنة.

رفع "كلارك" كوبه ثم توقف وقال:

- لماذا كان مجتمعًا باثنين من أشهر لصوص البنوك؟

- من الصعب الإجابة يا سيدي. تقول الاستخبارات إن اللقاء مجرد مصادفة.

رجع بالتسجيل إلى اللحظة التي انضم فيها "مردوخ" و"كولمان" إلى "بانزر" و"راكشنز"، ثم أضاف:

– كما نرى هنا، لقد جلس "مردوخ" إلى الطاولة وهو يأخذ بطاطس "بانزر أوهاري" ثم التهم الساندويتش الخاص به. هذه ليست تصرفاتٍ ودية، بل هي أشبه بالتنمر.

أضافت ضابطة:

– النظرة التي على وجه "بانزر" تؤكد ذلك.

قال "كلارك":

– عدم ارتياح "بانزر" لهذه الصحبة واضح.

قام "رولاندر" بتقديم الشريط إلى المشهد الذي قبض فيه "راكشنز" على يد "كولمان" عندما حاول أخذ البطاطس منه، وقال:

– هذا هو "جيمس أوهاري" الشهير بـ"راكشنز"، ابن أخ "بانزر".

قال "كلارك":

– نعم، إنه يبدو منزعجًا جدًّا، أليس كذلك؟

واصل المشاهدة وأضاف:

– إنه لا يتحدث كثيرًا، صحيح؟

قال ضابطٌ آخر:

– لغة جسده تبوح بالكثير، من الواضح جدًا أنه لا يحب "مردوخ" و"كولمان"، وهو ليس خائفًا من إظهار ذلك.

قال "رولاندز":

– نحن نظن أن "راكشنز" هو العقل المدبر وراء سرقة شحنة السجائر في "بالكو" في يناير، وسرقة "باليمينا ألستر" في إبريل.

قال "كلارك":

– أتساءل إن كان "بانزر" لم يدفع لهم مقابل آخر عمليتين. هل يمكن أن يكون هذا هو سبب التصرف العدائي بينهم؟

قال "رولاندز":

- لن أندهش لو كان هذا هو السبب، لا نعرف إن كان قد دفع أم لا، لكن بالتأكيد ستكون مشكلة إن لم يدفع.

قلب "كلارك" الشاي وقال:

- عملية بنك "باليمينا" كانت عملية ناجحة بحق، صحيح؟

- نعم يا سيدي، لقد احتجزوا زوجة المدير وطفليه لليلة، وأجبروه على إحضار محتويات الخزنة في اليوم التالي.

- كم كانت غنيمتهم؟

- ثمانمئة ألفٍ بأوراقٍ غير مُعلم أرقامها يا سيدي.

نقر "كلارك"على ذقنه وقال:

- إذًا لدينا لصوص بنوك محترفون مع إرهابيين محترفين.

ثم لوح بيده وأضاف:

- وتظن الاستخبارات أن هذا الاجتماع مصادفة، صحيح يا "جيري"؟

قال "رولاندز":

- نعم يا سيدي، فـ"مردوخ" لا يسرق البنوك.

- الجيش الجمهوري يفعل. وعلى كل حال، لصوص البنوك المحترفون لا يسرقون بأنفسهم، بل يستأجرون رجال عصابات.

- معك حق يا سيدي.

سأل "كلارك":

- لماذا لا يوجد صوت مع التسجيل؟ أتمنى ألا يكون أصدقاؤنا في المخابرات يخفون عنا المعلومات مجددًا.

- سألت الضابط المسؤول فقال إن هناك تشويشًا أعاق الصوت.

سأل "كلارك":

- وهل تصدقه؟

هز "رولاندز" كتفيه.

قال "كلارك":

- الجو خانقٌ هنا.

فتح نافذة وأخرج رأسه ونظر إلى جانب المبنى، ثم استدار وسأل:

- منذ متى يعمل "كولم كولمان" مع الجيش الجمهوري؟

- منذ ثمانية أعوام يا سيدي.

- يبدو أنه ترقى في الرتب بسرعة، صحيح؟

قال "رولاندز":

- نعم يا سيدي، نقطة قوته -إن جاز هذا الوصف- هي سرقة البنوك. نحن نقدر تورطه في عشر سرقاتٍ كبرى مع عصابة "فرانكي داوني" قبل أن ينتقل "داوني" للعيش في إسبانيا. مع رحيل "داوني" اغتنم "مردوخ" الفرصة وقام بتجنيد "كولمان"، ويستخدمه الآن كمحصلٍ للضرائب.

قال "كلارك":

- "كولم كولمان"، محصل ضرائب للجيش الجمهوري؟ يا له من عالمٍ صغير! أليس كذلك؟

قال "رولاندز":

- في الواقع أظن أن تجنيد "كولمان" كانت خطوةً بارعة من "مردوخ".

قال "كلارك":

- أوافقك، خسارة أنه لا يمكننا تجنيد "مردوخ"، وإلا لكانت هذه عملية ناجحة بحق.

- يقول "سي ثري" إنه يفيدنا أكثر بوضعه الحالي. من الواضح أنه الداعم الرئيسي لخطة السلام التي يتبعها الجيش الجمهوري حاليًّا.

- ويمكن الافتراض أن "كولمان" مهمٌّ لـ"مردوخ" لأنه يعرف كل المجرمين من غير الإرهابيين وأساليبهم، صحيح؟

- بالضبط يا سيدي.

سار "كلارك" إلى الشاشة ثم تمشى ذهابًا وإيابًا وقال:

- أيها السادة، هذا الاجتماع مهم.

ثم استدار إلى "رولاندز" وقال:
- هل من شيءٍ آخر يا "جيري"؟
- لا يا سيدي.
- أبقوني على اطلاعٍ بكل جديد.

الساعة 1:55 صباحًا. انطلقت سيارة الـ"لاند روفر" الخاصة بـ"بانزر" على الأرض المتعرجة للميناء المهجور، توقف ولمع ضوء سيارته على سيارة "تويوتا" رمادية، مال للأمام فأطل عليه وجهان من النافذة المشبرة للمقعد الخلفي، أبقى "بانزر" ضوء سيارته مسلطًا على الـ"تويوتا". هناك رجلٌ شاب وامرأة شعرها أشعث، انتفضا وخرجا وهما يعدلان ملابسهما، ضاقت عينا الرجل ووضع يده أمام وجهه ليتجنب ضوء سيارة "بانزر" المسلط نحوه، تقدم خطوةً نحو الضوء ثم أعاد التفكير وعاد إلى المرأة في السيارة الـ"تويوتا" ثم قاد بعيدًا.

أطفأ "بانزر" محرك سيارته، إنه معتادٌ على الظلام في الريف، لكن هذا الظلام حالكٌ جدًّا. فتح نافذة سيارته وأنصت السمع، فلم يجد شيئًا. قال "بانزر" في سره: "أنت هنا، أعرف ذلك، أشعر بعينيك تراقبانني". اقتربت من خلفه سيارة أنوارها مطفأة، انفتح باب السائق وخرج شخصٌ ما، وزفر "بانزر".

جلس "تايني مردوخ" في مقعد الراكب في الـ"لاند روفر"، نظر "بانزر" أمامه وسأله "مردوخ":
- هل أنت بخير؟
لم يكن "بانزر" في مزاجٍ يسمح بالمحادثات الودية، فقال:
- ما الأمر يا "تايني"؟ لماذا أخرجتني من سريري في هذا الوقت المتأخر؟
تجاهل "مردوخ" فظاظة "بانزر" وقال:
- أفكر في شراء "لاند روفر"، هل تنصحني بها؟
- إنها.. شديدة التحمل.
- شديدة التحمل، سأتذكر ذلك.

ثم مد له يده وقال:

- هاتفك.

ناوله "بانزر" هاتفه، فأخذه ثم ربت على كتفه وقال:

- فلنركب الآن سيارتي.

سأله "بانزر":

- لماذا؟

- لأن سيارتك قد يكون بها أجهزة تنصت.

- ليس بها.

- هذا ما تقوله.

- ليس بها بالفعل. بأي حال، كيف أتأكد أنا أن سيارتك ليس بها أجهزة تنصت؟

قال "مردوخ" وهو يخرج:

- لأنها ليست سيارتي.

بينما يقترب "بانزر" من السيارة التي لا تخص "مردوخ" -كما قال- خرج من الظلام رجلٌ يرتدي سترةً مموهة ونظارة للرؤية الليلية، تكلم "مردوخ" مع الرجل همسًا بالأيرلندية قبل أن يعود ليختفي بسرعةٍ في الظلام مجددًا.

جلسا بصمتٍ في السيارة -التي ليست سيارة "مردوخ"- وأخذ عقل "بانزر" يستوعب الموقف، قال لنفسه: "رجل بسترةٍ مموهة، ونظارة رؤية ليلية، ومحادثة بالأيرلندية.. من قد تظنه يراقبك بحق الجحيم يا "تايني"؟ قوات مقاومة "فيت كونج" الفيتنامية اللعينة؟ حركة "طالبان"؟ أنت تتصرف بأسلوبٍ درامي لعين أيها الفتى، كيف تحضرني إلى هذا المكان المهجور في منتصف الليل؟!". ثم قال له:

- ما الأمر يا "تايني"؟

استدار "مردوخ" خلفه ونادى:

- "باري".

لم يلحظ "بانزر" أي شخصٍ في مقعد السيارة الخلفي عندما دخل، لذلك تفاجأ عندما مال للأمام شابٌ حليق يرتدي نظارة وأعطى لاب توب مفتوحًا لـ"مردوخ" الذي أشار إلى شاشته.

تُظهِر الشاشة "فينبار" وهو عارٍ ومقيد إلى كرسي في ركن حجرة، عينه متورمة وجسده مليء بآثار ضربٍ بالعصا، كانت أسنانه تصطك وهو ينظر إلى الكاميرا، هناك رجلٌ يرتدي قناعًا ويمسك بمسدسٍ ويصوبه إلى صدغ "فينبار" ويصيح:

- أنت مغتصب أطفال قذر وحقير، أليس كذلك؟

أومأ "فينبار"، فقال الرجل:

- قلها أيها الوغد!

- أنا مغتصب أطفال قذر وحقير.

أغلق "مردوخ" اللاب توب وقال:

- لقد أخذناه من دبلن.

قال "بانزر" بتحدٍّ:

- لماذا؟ ماذا فعل ضد الجيش الجمهوري؟

نظر "مردوخ" إلى ساعة السيارة ثم استدار لينظر من النافذة وقال:

- ابنك حيوان يا "بانزر".

ثنى "بانزر" رقبته وسعل بتوترٍ وهو يفكر: "هذا خطيرٌ جدًّا"، ثم قال:

- أي اعترافٍ أدلى به كان بسببِ الضرب المبرح وأنت تعرف ذلك، انظر إليه، لقد عذبتموه.

- إنه جزءٌ من جماعة لاغتصاب الأطفال نحقق بشأنها منذ شهور.

قال "بانزر":

- هراء! لا أصدق حرفًا مما تقول.

- لا يهمني إن كنت تصدق أم لا، إنه لدينا، ونعرف ماذا فعل وماذا يمكنه أن يفعل.

- إنه ابني.

استدار "مردوخ" بحدةٍ وقال:
- وما علاقة هذا بذاك؟!
- لا حق لك في أن تؤذيه.
رفع "مردوخ" إصبعه في وجه "بانزر" وقال:
- لا حق لي في أذيته؟! هل أنت جاد أيها الغبي؟ نحن نعرف بشأن ابنك المنحرف، ونعرف بأن لديه شريكًا من لاتفيا اسمه... ما اسمه يا "باري"؟
رد "باري":
- "بيتيريس إدجارز".
واصل "مردوخ":
- "إدجارز" وابنك وآخرون يغتصبون الأطفال، منهم أطفال بعمر الثامنة!
- لو أنه خالف القانون فـ...
سحب "مردوخ" مسدسًا من حزامه وصوبه إلى عنق "بانزر" وقال:
- إياك والتظاهر بالاستقامة أمامي أيها الأحمق الوضيع! أنا القانون! الجيش الجمهوري هو القانون!
قال "بانزر" وهم يزم شفتيه:
- حسنًا! حسنًا يا "تايني"، لم أقصد الإساءة، أنا فقط...
دلك "بانزر" ضلوعه وعبس قائلًا:
- أنا والدٌ قلق على ابنه، هذا كل شيء.
ألصق "مردوخ" فوهة المسدس في أنف "بانزر" فدفع رأسه إلى الوراء وقال:
- إياك أن تحاول التذاكي معي مجددًا.
- نعم، أقصد لا، لن أفعل، لا تقلق، لا تقلق.
أمضى "مردوخ" عمره يجرب ردود فعله على مواقف معينة، إنه يعرف أن أي موقف يدور حول السيطرة، ويعرف أنه ما إن صوبت مسدسك إلى وجه شخصٍ ما، حينها ستكون أنت المسيطر، وهكذا أعاد المسدس إلى حزامه.
قال "بانزر" بصوتٍ شديد الخفوت لكيلا يحسبه "مردوخ" إساءة:

- هل ستؤذيه؟
بما أن "بانزر" انهار نفسيًّا تمامًا، قال "مردوخ" بلين:
- المشكلة يا "بانزر" فيما نتحدث الآن..
- ماذا؟
- إنه في سيارة مع اثنين من وحدة الأمن الداخلي.
- لا!
- سيأخذانه إلى منطقةٍ هادئة على الحدود..
- لا يا "تايني"! إلا هذا!
- لقد اتخذ المجلس العسكري قراره يا "بانزر"، ولعلمك، كنت معارضًا له.
- لكن يمكنك تغيير القرار يا "تايني"! يمكنك وقف التنفيذ، أليس كذلك؟
ربت "مردوخ" على ركبة "بانزر" وقال:
- "بانزر"، أتمنى لو أستطيع، أنا لم أنسَ بعد كيف ساعدتني عندما وصلت شحنات الأسلحة من ليبيا.
شبك "بانزر" يديه وكأنه يدعو وقال:
- لقد أخفيت طنًّا من الأسلحة والمتفجرات من أجلك لأربعة أشهر، أربعة أشهرٍ يا "تايني"، لقد ساعدتك في وقت شدتك.
وضع "مردوخ" يده على فمه وكأنه يخنق كلماته وهو يقول:
- أعرف، أعرف، ما كان عليَّ القدوم إلى هنا، كنت أعرف أنه خطأ.
- لماذا؟
زفر "مردوخ" وقال بحزن:
- أنا آسف يا "بانزر"، أتيت احترامًا لك لأخبرك بأن ابنك "فينبار" على وشك أن يُعدم قتلًا بالرصاص، لستُ مضطرًا إلى ذلك، لكنني أفعله بسبب مساعدتك لرجالي في الماضي.
"سيعدمون ابني "فينبار" بالرصاص!"، تخيل "بانزر" المشهد في عقله؛ سيارة أنوارها مطفأة وباب الراكب مفتوح والسائق خلف المقود يراقب، يدا

"فينبار" مربوطتان خلف ظهره وهو راكعٌ على العشب الرطب في منطقةٍ ريفية نائية، تخيل منفذ الحكم وهو يضع فوهة المسدس خلف رأسه ويطلق الرصاصة المميتة، تخيل "فينبار" وهو يسقط للأمام ميتًا ووجهه على الأرض.

نقر "بانزر" بأصابعه على صدغه بتوتر، أخذ يرتجف ويهتز، ثم نظر مباشرةً إلى "مردوخ" وقال بشفتين مرتجفتين:

- "تايني"، يمكننا تسوية الأمر، أليس كذلك؟

ثم رفع سبابته التي ترتجف وكأنها تضغط على جرحٍ مفتوح، وأشار إلى نفسه وإلى "مردوخ" وقال:

- أنت وأنا نجيد تسوية الأمور، يمكننا تسوية ذلك.

- أود مساعدتك أيها العجوز، لكن..

- المال، لديَّ مال، كم تريد؟

نظر "مردوخ" إلى ساعة السيارة وقال:

- الأمر ليس بهذه البساطة، حتى لو عقدنا صفقة، فالأوان ربما فات بالفعل.

- ما الذي يتطلبه الأمر؟

حك "مردوخ" ذقنه بتفكيرٍ ونظر إلى "بانزر" بثباتٍ وقال:

- لا أعرف، أنت لا تعرف خطورة ما تطلبه مني.

زفر "بانزر" ببطءٍ وقال:

- أعرف، أعرف، أعرف.

قال "مردوخ":

- قد أتورط في مشكلات خطيرة إذا تدخلت في قرار المجلس العسكري، وبخاصة أن جريمة ابنك ليست بسيطة.

- أرجوك يا "تايني"، أرجوك، يمكنك إصلاح الأمر، ما الذي يتطلبه؟

أخفض "مردوخ" رأسه على صدره ثم رفعها وكأنه اتخذ قرارًا، وقال:

- ما الذي يتطلبه؟ كل شيءٍ يا "بانزر"، كل شيء.

8



يقولون إن "أوهاري" الكبير الملقب بـ"ذا ديفيل" كان مراهنًا. يقولون إنه كان مقامرًا. وإنه من تولى بناء بيته الذي أسماه "البيت الكبير" عام 1953 حجرًا بحجر، وخدع عمال المحارة والكهرباء والنقاشة بإعطائهم نصف الأجر المتفق عليه فقط. يقولون إنه اشترى كل مواد البناء الموجودة في السوق السوداء، لكن لم يجرؤ أحد على قول شيء إلا بعد وفاته.

قبل ثلاثة أشهرٍ من انتهاء البناء، كان "ذا ديفيل" وزوجته "ماري" يجلسان في بلكونة منزلهما الحجري القديم يشربان قهوة أيرلندية، أخبرت "ماري" زوجها أنها لا تريد زراعة أشجار تفاح في أرضهما، عندما سألها عن السبب قالت: "التفاح رمز الغواية، لا تفاح يعني لا إغواء، ودون إغواء لا يوجد شيطان، وبلا شيطان لن توجد خطايا".

بعدما انتهت "ماري" من تدخين غليونها، قالت إنها تريد تسمية المزرعة "حديقة عدن"، وقد كان. في أمور الدين والآخرة، اقتنع "ذا ديفيل" تمامًا أن زوجته تفهم حكمة الرب المعقدة ومسائل الجنة والنار الصعبة أفضل من بابا الفاتيكان.

💰💰💰

توقف "راكشنز" في الساحة وخرج من سيارته، المنظر ليس باهرًا خارج "البيت الكبير" بجدرانه البيضاء المرصعة بالحصا وبابه الأملس المزدوج، خلف باب البيت يوجد باب أمان صلب يتم إغلاقه بإحكامٍ في المساء بقضبان حديدية

ثقيلة. هناك شيءٌ مشابه خلف كل النوافذ، لكن "ماري أوهاري" لم يكفها كل هذه الاحتياطات، وأضافت على الأرض في الصالة صورة بالفسيفساء للملاك "ميخائيل" وهو يفرد جناحيه ويمسك بسيفه ويضع قدمه على رأس الشيطان، وعلى العواميد الرخام الإيطالية للمدافئ الموجودة في غرف الاستقبال الأربع، وضعت ملائكة تنفخ في أبواقٍ تمجيدًا للرب، لكن على الرغم من مظاهر التقوى التي أوضحتها "ماري"، لا وجود للإيمان في هذا البيت أبدًا.

فـ"بانزر" يسكنه، إنه في المطبخ يخلط بعض الأكل العادي مع طعام الكلاب المعلب في طبقين معدنيين من أجل كلبيه من نوع "جيرمن شيبرد"، "باباي" و"بلوتو". ارتفعت آذانهما المدببة وهما يدوران في الساحة الخلفية بينما يراقبان كل حركةٍ من "بانزر".

هناك موضوعٌ يشغل عقل "راكشنز" منذ فترة، وأخيرًا قرر البوح به.

- هل أنت مريضٌ يا زعيم؟ لا أستطيع تجاهل فقدانك للوزن مؤخرًا.

تنهد "بانزر" وقال:

- هذا واضحٌ على ما يبدو، إنها ثاني مرة تذكر فيها هذا الموضوع، هل خطر لك أن الأطباء ربما نصحوني بالامتناع عن الطعام الدسم لأقلل نسبة الكوليسترول في دمي؟ ربما قد نسيت أن قلبي ضعيف.

قال "راكشنز" وهو يأخذ الغلاية ليعد بعض الشاي:

- نعم، صحيح.

قال "بانزر":

- معذرة، لم أقصد تأنيبك.

ترك السكين التي كان يخلط بها الطعام ثم اتخذ وضعية الملاكمة ودفع أطراف أصابعه في خد "راكشنز" وقال:

- ما زال يمكنني التغلب على ضعيفٍ مثلك! فلنتصارع أيها البطل.

ثم دفع أطراف أصابعه نحوه مجددًا، لكن "راكشنز" تفادى الهجوم هذه المرة ووجه ضربةً خفيفة بطرف إصبعه نحو أنف "بانزر" الذي لم ينزعج وحاصر "راكشنز" بسؤاله:

- ما وضع "إلينور"؟

- مفيدة.

توقف "بانزر" وأمال رأسه وقال:

- مفيدة؟ هل تعني من الناحية العملية؟

- يا إلهي! أرح بالك قليلًا.

ابتسم "بانزر" وسأله:

- هل نحن جاهزون إذًا؟

- نعم.

توقف "بانزر" عن قتاله وأخذ الطبقين المليئين بالطعام إلى الكلبين في الساحة، التهم الكلبان الطعام، وخرج "راكشنز" ممسكًا بكوبين من الشاي، دخل مع عمه إلى كوخٍ في الساحة وجلسا بجانب طاولة صغيرة عليها أدوات.

قال "راكشنز" وهو يشرب الشاي الساخن باستمتاع:

- يا إلهي! البرد قارصٌ هنا، المهم، نحن جاهزون للبدء صباح الاثنين، سيكون هناك أربعة وأربعون مليونًا جاهزة للحصاد.

صفر "بانزر" إعجابًا بالمبلغ فيما واصل "راكشنز":

- سيكون هناك الموظفان المسؤولان عن مفاتيح الخزنة، علاوة على ذلك سيقوم البنك بتحديث نظامه الأمني في اليوم التالي، في الوقت الحالي يحمل الموظفان المفاتيح الرئيسية التي تسمح لهما بدخول كل المناطق، يوم الثلاثاء سيتم سحب المفاتيح منهما، مما يعني أن المهمة يجب أن تتم يوم الاثنين وإلا ستضيع الفرصة للأبد.

حاول "بانزر" أن يتخيل كمية المال هذه مجمعة في مكانٍ واحد لكنه لم يستطع، شعر بحماسٍ لم يحسه من قبل، قال بهدوء:

- هل "إلينور" واثقة من هذه المعلومات؟

- نعم.

- ألا يوجد أي احتمالٍ لخداعها لنا؟

عدَّ "راكشنز" تساؤل "بانزر" المستمر عن ولاء "إلينور" بمثابة إضعافٍ لمكانته، لكنه افترض أن أسلوبه الحذر المستفز غرضه التأكيد على زعامته للعملية وليس التشكيك في حكمه. أجاب "راكشنز":

- لا، هذا كل شيء.

- هل كل شيءٍ جاهز وكل شخصٍ مستعد؟

- كل ما علي فعله هو.. عذرًا، أعني أن كل ما عليك أنت فعله هو إعطاء إشارة البدء.

مد "بانزر" يده وصافحه، على الرغم من العدائية التي تظهر أحيانًا على السطح، فإن الرجلين يحترمان بعضهما ويعتمدان على بعضهما.

فجأة دخل "فينبار" الكوخ، كانت عينه متورمة، تجاهل "راكشنز" ونظر إلى الأرض وقال بخفوت:

- هل يمكنني مساعدتك في شيءٍ يا أبي؟

قال "بانزر":

- بعدما أنتهي هنا، أريدك أن..

قطع "بانزر" جملته وانهار وأمسك صدره واحمر وجهه، مد يده المرتعشة إلى جيب سترته وأخرج علبة أقراص، أسرع "راكشنز" إلى المطبخ وأحضر كوب ماء بينما وضع "فينبار" قرصين على لسان "بانزر". عاد "راكشنز" وشرب "بانزر" الماء بلهفة.

قال "راكشنز":

- تنفس بعمق، أحسنت.

قال "فينبار":

- على مهلك يا أبي، تنفس بعمق.

أخذ يربت على ظهر أبيه بينما بدأ "بانزر" يستعيد أنفاسه تدريجيًّا. أخيرًا زفر بهدوء وقال بإجهاد:

- إنها غلطتي، كان عليَّ تناول الأقراص منذ ساعتين، لكنني كنت منشغلًا بمراجعة بعض الأوراق. أكره الأعمال المكتبية.

قال "راكشنز" بلمحةٍ من المرح:

- أتعلم يا زعيم؟ من الأفضل ألا تموت الآن.

قال "بانزر":

- أعلم ذلك.

ثم لمس ذراع "فينبار" وقال:

- أصبحت بخيرٍ يا بني.

- هل أنت واثقٌ يا أبي؟ هل أحضر لك..؟

- أنا بخير، اتركنا بضع دقائق فقط، ممكن؟

- حسنًا، كما تريد.

بمجرد أن وصل "فينبار" لباب الكوخ، استدار وغمز لـ"راكشنز" بعينه السليمة.

عندما انغلق الباب، قال "راكشنز":

- إنه وغدُ مغرور.

قال "بانزر" وهو يلوح بيده:

- إنه ما زال شابًّا، هذا كل شيء، إن كنت قد نسيت، فأنت أيضًا كنت وغدًا مغرورًا في سنه.

وضع "راكشنز" يده على كتف "بانزر" وقال:

- هل أنت بخيرٍ حقًّا؟

أومأ "بانزر" وقال:

- أمرٌ بسيط.

ثم زفر وحرك كتفيه وكأنه سينفض المرض عنه. قال:

- أريد أن أقف.

استند إلى الطاولة المليئة بالأدوات ودفع نفسه بينما يمسكه "راكشنز" من تحت ذراعيه. خرج من الكوخ ببطء وسار عند طرف الحديقة، ثم قال:

- أتعلم يا "راكشنز"؟ لقد انتظرت حياتي كلها من أجل عمليةٍ كهذه، انتظرت حياتي كلها من أجلها، وها قد أتت.

عض على شفته وقال:

- ماذا سيحدث بعد العملية؟

- لنفكر بذلك وقتها.

- سأضطر إلى إخبار "فينبار" بشأن العملية.

قال "راكشنز" في سره: "هل جننت؟"، ثم قال له:

- لدينا اتفاق.

- أعلم، لكن..

- لا أريد إخباره بالأمر.

- ماذا لو حدث شيءٌ لي؟

- لن يحدث لك شيء.

- لا يمكنك أن تعرف ذلك يقينًا، ماذا لو حدث؟ ماذا لو مت؟ عندها هل...؟

- مهلًا! مهلًا يا "بانزر"، هل تعرف شيئًا أجهله؟

- أنا فقط أفكر في كل الاحتمالات، هل تعدني بأن يحصل "فينبار" على حصتي؟

- لا أريد التحدث عن الأمر.

نظر "بانزر" إلى "راكشنز" وقال:

- لكنني أريد.

قال "راكشنز" في سره: "أنت لا تعلم حتى أنه مغتصب أطفال، أليس كذلك يا "بانزر"؟ هل عليَّ إخبارك؟ هل سيصنع ذلك أي فرق؟ أشك في ذلك". قال:

- أنا أعمل معك يا "بانزر"، وأنت لن يحدث لك شيء من الآن وحتى الأسبوع القادم، بعد العملية يمكنك إعطاء نصف حصتك لمن تريد.

- هل يمكنك أن تتأكد من حصول "فينبار" على حصتي كلها إذا توفيت؟ نعم أم لا؟

- نعم، لكن يجب ألا يعرف شيئًا عن العملية قبل التنفيذ. موافق أم لا؟

أومأ "بانزر" وقال:

- حسنًا.

سارا إلى المطبخ حيث فتح الرجل العجوز زجاجةً من نبيذ العنب وصب كأسين، وقال:

- نخبنا، أنت وأنا، سوف ننجح، أليس كذلك؟

- بالتأكيد.

لامسا كأسيهما وشربا النبيذ، ثم قال "راكشنز":

- اسمع يا "بانزر"، إنها ثالث مرة تلجأ فيها للأقراص فور إصابتك بنوبة، أنت تغامر بحياتك، يجب أن تتوقف عن هذا.

بدأ "بانزر" يطرف بعينيه، وهي دلالةٌ على ضيقه كما يعرف "راكشنز"، لكنه عانده وقال:

- ما الأمر يا زعيم؟ هيا أخبرني.

- لماذا لم تسألني أبدًا عن سبب شرائي لنصيب أبيك من المزرعة؟

شعر "راكشنز" بالدم يصعد إلى وجهه وهو يرد:

- لأن هذا ليس من شأني.

- لكن لو أن أخي لم يبع لي نصيبه، لكنت الآن شريكي.

قال "راكشنز":

- "بوبي" كان يفكر في نفسه فقط، لا شيء ولا شخص كان أهم عنده من نفسه.

- لم أرد شراء نصيبه يا "راكشنز"، لكنني اضطررت؛ لقد هددني ببيع نصف المزرعة لمن يدفع أكثر، لم أستطع السماح بترك المزرعة تضيع من يد العائلة.

قال "راكشنز" لنفسه: "هل تريدني أن أريح ضميرك يا "بانزر"؟ حسنًا، يمكنني فعل ذلك". ثم قال له:

- اسمع يا "بانزر"، لقد فعل أبي ما فعل، لقد كان مدمن كحول، لا تشعر بالذنب.
- أنا لا أشعر بالذنب أبدًا.
- جيد.
- لقد حاولت إقناعه بتغيير رأيه في الواقع.
- لا بأس.
- فكرت فقط أنه عليك أن تعرف الحقيقة.
- حسنًا.

وقف "بانزر" وسار إلى الساحة، توقف المطر لكن الجو ما زال باردًا، أخذ خرطوم الماء ورش فضلات الكلبين ليدفعها إلى المجاري، نظر إليه الكلبان من بيتهما، نقر "بانزر" على رجله، فأسرع الكلبان إليه وربت عليهما.

نظر "راكشنز" من نافذة المطبخ إلى هذا المشهد الذي يمكنه أسر مخيلة فنان مثل "رامبرانت" أو "فيرمير"؛ مالك الكلاب العجوز المبتسم يرتدي قميصًا أسود مفتوح الياقة وسترة حمراء قصيرة وبنطالًا جينزًا سميكًا ومبقعًا ويشمر أكمامه وهو يربت على رأس كلبيه بأصابعه البدينة القصيرة. ماذا كان سيسمي الفنانان هذه اللوحة؟ بالتأكيد سيختاران اسمًا بسيطًا مثل "الرجل والكلاب".

يتساءل "راكشنز" كثيرًا عن سبب استمرار "بانزر" في سرقة البنوك، إنه مليونير بالفعل. سأله "راكشنز" ذات مرة لكن الجواب لم يكن واضحًا، لقد قال: "لأن هذا العمل يشغل تفكيري". خمن "راكشنز" أن فكرة التقاعد مرتبطة بالتقدم في العمر بالنسبة إلى تفكير "بانزر"، وربما هو ليس مستعدًا بعد للانضمام إلى نادي المتقاعدين. من عادة "بانزر" أن يشغل يديه بفعل أي

شيء عندما يناقش عملًا مهمًّا، ليس لأنه غير قادرٍ على استيعاب التفاصيل، بل لأنه يشعر بالسيطرة أكثر حين يقوم بعملٍ جانبي.

استدعى "بانزر" "راكشنز" لكي ينضم إليه في الساحة وقال:

- هناك شيءٌ واحد يزعجني، لو نجحنا، هل تـ...

- سننجح.

ترك "بانزر" الخرطوم وأكمل جملته:

- هل تثق في "سيرجي" لدرجة تسليمه كل هذا المال؟

- أنا..

- كيف تضمن أنه لن يبيعنا؟

- لقد تولى أمر مبالغ كبيرة لنا في الماضي ولم يخدعنا أبدًا.

- نعم، لكن الوضع مختلف هذه المرة، هناك ثروة على المحك، إنها غنيمة من العيار الثقيل، كيف تضمن ولاءه؟

- لا أعرف بالضبط لكنني أأتمنه على حياتي، إنه رجلٌ شريف.

لم يحاول "بانزر" إخفاء قلقه وهو يقول:

- رجلٌ شريف؟ هل أنت جاد؟ إنه لص، مثلنا جميعًا! أعترف أنه أرقى قليلًا لكنه ما زال لصًّا في الأساس!

- إنه لصٌ شريفٌ إذًا.

- سلالة نادرة.

قال "راكشنز":

- لو خدعنا سأقتله بنفسي.

- هل يعرف ذلك؟

- هذا منطقي ولا يحتاج إلى القول.

ضاقت عينا "بانزر" وقال:

- لا، بل عليك قول ذلك مباشرةً له، يجب أن يعرف "سيرجي" أننا سنطارده لأقاصي الأرض إن خدعنا.

- لن يحب ذلك.
- هذه مشكلته.

رن هاتف "راكشنز"، إنه "شايموس مكان"، ابتعد عن "بانزر" وسار نحو البيت وهو يرد:

- نعم؟
- علينا أن نتحدث، هل وقتك يسمح الآن؟
- نعم، سآتي إليك.

أغلق "راكشنز" الخط واستدار لـ"بانزر" الذي سأله وهو يدقق في تعابير وجهه:

- هل كل شيءٍ على ما يرام؟

قال "راكشنز" في سره: "علام تبحث في وجهي يا "بانزر"؟ هل تنتظر دلالةً على.. ماذا؟". ثم كذب قائلًا:

- إنها "ماريا".

فتح "بيلي كيلي" باب منزل أخته الموجود في منطقة السوق في بلفاست، ثم أدخل زميله السابق في الجيش الجمهوري؛ "أمبروز بيبولز"، إنه فتى ضخم في الثامنة عشر من عمره، مدمن على تدخين المخدرات، له شعر مموج وناعم وسوالف، ولديه لحية طويلة، بمجرد أن دخل "أمبروز"، أطل "بيلي" برأسه يمينًا ويسارًا في الشارع ليتأكد من ألا يوجد أحد يراقبه، صعد "بيلي" و"أمبروز" السلم ودخلا غرفة نومٍ بها ثلاثة من رجال العصابات، مصدر الضوء الوحيد في الغرفة هو مصباحٌ صغير. كان رجال العصابة الثلاثة يتكئون على السرير. ارتدى "بيلي" قفازًا طبيًّا لمنع البصمات ثم فتح حقيبة كبيرة وأعطى لكلٍّ منهم مسدسًا وهاتفًا بنظام الكارت، تفحص رجال العصابة المسدسات فورًا وأزالوا خزانات الرصاص وتأكدوا من أن غرف البيت خالية من خزاناتٍ إضافية.

قال "بيلي":

- لقد قمنا ببروفة مرتين وراجعنا الخطة أكثر من عشر مرات، لذلك لن أسمح بفشل العملية. والآن قبل أن أبدأ، هل لديكم أسئلة؟

قال "أمبروز":

- أظن أنه لا فائدة من سؤالك عن هوية من نعمل لحسابه.

رد "بيلي":

- أنتم تعملون لحسابي، هل من أسئلةٍ أخرى؟

لم يسأل أحد. انتبه "بيلي" لصوت سيارة تتوقف في الخارج، فاختلس النظر عبر الستارة الشيش، رأى سيارة "رينو كليو" زرقاء مركونة أمام المنزل، والسائق الشاب يستخدم هاتفه، بدا غاضبًا، وتأكد ذلك عندما أغلق هاتفه وضرب لوحة العدادات بيده ثم اندفع إلى بيت السيدة "دوفي" المجاور. عندما اطمأن "بيلي" لعدم وجود مشكلات لهم، استدار وقال:

- رقمي هو الوحيد المسجل في هواتفكم، لا تتصلوا بأي شخصٍ غيري، وهذا في الحالات الطارئة فقط، مما يعني ألا تتصلوا بزوجاتكم أو حبيباتكم أو طبيب أسنانكم، لا أحد غيري، مفهوم؟

أومأ الجميع.

- ولا تجيبوا على أي اتصالٍ إلا مني، سأتصل فقط في الحالات الطارئة.

سأله "أمبروز":

- ماذا لو واجهتنا مشكلة؟

- لقد رأيت الهدف، ولا أتوقع أي متاعب منه، لكن إن أزعجنا افعلوا المعتاد؛ هددوه بقتل والدته، هذه الحيلة تنفع دائمًا.

قال "أمبروز":

- صحيح.

قال "بيلي":

- سنبدأ التنفيذ في العاشرة مساءً هذه الليلة. "أمبروز"، أحضر أوراق اللعب.

قال "أمبروز" وهو يخرج أوراق اللعب من جيب معطفه ويخلطها:

- هل سنلعب بنظام "dealer's choice"؟

قال "بيلي":

- نعم.

- بلا حد للمراهنة؟

- لنجعل حد الرهان بسيطًا، خمسة جنيه إسترليني على الورقة الواحدة، لا أريد أن تدينوا لي بأجوركم قبل أن تقبضوها.

علِق "شايموس مكان" في القيادة خلف جرار في طريق بلفاست خارج "داون باتريك"، زاد السرعة فأخذ يهتز في مقعده بشدةٍ حتى شعر أن مؤخرته تفتتت وحمل النمل بقاياها بعيدًا، جلس "راكشنز" بجانبه في مقعد الراكب.

قال "شايموس":

- يا إلهي يا "راكشنز"! لقد قام الرجال بأربع بروفات سخيفة، وهم يراقبون المنزل منذ شهر حتى أصبحوا يعرفون عائلة "دايفر" أفضل مما تعرف العائلة بعضها.

تجاهل "راكشنز" تعليقات "شايموس"، وقال:

- أخبرني عن "ليام".

- "ليام أنتوني دايفر"، مدير فرع البنك، في الرابعة والثلاثين من عمره، طوله 178 سم وشعره أشيب وناعم، يقود سيارة "مرسيدس" طراز "سي كلاس"، يشرب "هاينيكن" ونبيذًا أحمر، لكن في البيت فقط وليس في البارات العامة، يذهب إلى عمله في البنك الوطني في بلفاست كل صباح في الساعة السابعة، ويعود ما بين السابعة والسابعة والنصف من كل مساء، ينظر من خلف الستارة قبل أن يذهب إلى السرير لكي يتأكد من أنه لا أحد يراقبه في الخارج.

- وزوجته؟

- "ستيفاني كارول دايفر"، طولها 162.5 سم، شعرها أشقر وغالبًا ما تجمعه وتلفه فوق رأسها، تحب ارتداء نظاراتٍ داكنة، تعمل مشرفة ومدرسة في المدرسة الابتدائية الحكومية.

قال "راكشنز":

- هذا يكفي.

قال "شايموس" وعيناه تنظران إلى مرآة الرؤية الخلفية وإلى المرآة الجانبية:

- حقًّا؟ هل أنت واثق؟

ركز "راكشنز" نظره على الطريق أمامه بينما يشخر "شايموس" مثل ثورٍ يستعد للاندفاع نحو مصارع الثيران. كافح عضو الجيش الجمهوري السابق ليستعيد السيطرة على نفسه، أرخى قبضتيه التي ابيضت مفاصلهما، وتصنَّع ابتسامةً وقال بغيظٍ مكتوم:

- هل تظن أنني لا أعرف ماذا أفعل؟

أخذ "شايموس" يميل بجسده خارج النافذة لينظر إن كان هناك سيارات قادمة في الاتجاه المعاكس أم لا.

قال "راكشنز":

- ماذا تقول؟ أنا لم أقل ذلك.

- ليس عليك ذلك، أنت تظن أنني سأخرب العملية، أليس كذلك؟

استدار "راكشنز" إلى "شايموس" بدهشةٍ وقال:

- ولم قد أظن ذلك؟ لقد قمت بهذه الأعمال من قبل وأثبت جدارتك، أنا... ماذا حدث لك يا "شايموس"؟

انحرف "شايموس" بالسيارة ليتجاوز الجرار، فتفاجأ بشاحنة بيضاء تندفع نحوهما من الاتجاه الآخر، ضغط قائد الشاحنة بغضبٍ على البوق، وانعطف "شايموس" بحدةٍ إلى اليسار وكاد يفقد السيطرة على السيارة وهو يعود خلف الجرار مجددًا.

صرخ "راكشنز":

- تبًّا! هل تحاول قتلنا؟

مال "شايموس" بجسده مجددًا ليرى إن كان هناك سياراتٌ قادمة، ثم انعطف بالسيارة وتجاوز الجرار بنجاحٍ هذه المرة.

نقر "راكشنز" بسبابته على فمه بتفكيرٍ وقال:

- إذًا؟

- إذًا ماذا؟

- متى آخر مرة كنت فيها مع امرأة في السرير؟

- ما هذا السؤال؟!

- هل مضى وقتٌ طويل لذلك أنت عصبي؟

أخذ "شايموس" عصير برتقال وشرب منه ثم زفر وقال:

- لعلمك، لقد فعلت ذلك بالأمس.

- يسعدني سماع ذلك، والآن..

- اسمع يا "راكشنز"، أنا في هذا العمل منذ مدةٍ طويلة، وقدت رجالًا في عملياتٍ أخطر من هذه، لكنك تستخف بي بتدقيقك في كل التفاصيل.

قال "راكشنز":

- لقد أوضحت وجهة نظري بنفسك يا "شايموس"، أنت بالذات دون غيرك تعرف أهمية التفاصيل، إنها الخط الفاصل بين الحرية والسجن.

قال "شايموس" بارتياح:

- فهمتك.

قال "راكشنز":

- حسنًا، قلنا ما يكفي.

وصلا أطلال "إنش آبي" التي كانت سابقًا ديرًا كاثوليكيًّا بندكتيًّا، ذهب "راكشنز" إلى هناك عدة مراتٍ مع "إلينور". هذه الأطلال بمثابة مخبأ يلجأ إليه من يخونون أحباءهم سرًّا. خرجا من السيارة وسارا نحو الدير.

قال "راكشنز":

- لنذهب إلى النهر.

منظر نهر" كويل" من عند دير "إنش آبي" يجعله يبدو مثل بحيرةٍ خيالية. لم يشعر "راكشنز" بأي عجلةٍ للتحدث عن العمل، يمكنه الانتظار. قال لنفسه: "هدئ النار ليستوي الطبخ جيدًا". نظر في الدليل السياحي وقال:

- مكتوبٌ هنا أن الفايكينج "سيتربنج" ملك الدنمارك أبحر في نهر "كويل" عام 1002، ونهب سكن الرهبان في دير "إنش".

- إنه فايكينج قذر.

- أنت لا تحب الغرباء يا "شايموس".

- أنت الاستثناء الوحيد.

ربت "راكشنز" على ظهره وضحك بملء قلبه وهو يقول:

- ليس كل من لم ينضم للجيش الجمهوري يعد غريبًا يا "شايموس".



9



كل شخصٍ سيتذكر أين كان في العاشرة مساءً من يوم الأحد. خارج بيت عائلة "دايفر" في منطقة "لوجشور" بمقاطعة "داون"، خرج "شايموس" ورجل آخر من سيارة تشبه سيارات الشرطة، وهم متنكرين في زي ضابطين. "تايني مردوخ" و"كولم كولمان" يمشِّيان كلبيهما حول مقبرة "ميل تاون"، أما رئيس المفتشين "دانيال كلارك" يوزع هدايا الكريسماس على زملائه في مقر الشرطة العام في بلفاست. "إلينور بروكتور" في منزل صديقتها "ستايسي" في "نيوتاوناردز رود" في بلفاست، تتظاهر بالاستماع إلى ثرثرة صديقتها لكنها في الواقع كانت تفكر في الهروب مع "راكشنز". تحزم "ماريا" حقائبها. يتمشى "سيرجي ميرسير" على ضفاف بحيرة "جنيف" وهو يفكر إذا كان عليه استئجار ثلاثة من غاسلي الأموال بدلًا من الاثنين المعتادين. يجلس "بانزر" وحده في إحدى غرف الجلوس في بيته يشرب نبيذًا أحمر، إنه ليس مسرفًا في الشرب لكنه يتلذذ بنبيذ الـ"بورجوندي"، أما "راكشنز" فخارج بيت "باتلر" في "ريفرديل كلوز" غرب بلفاست.

في الوقت الراهن في بيت "باتلر" غرب بلفاست، الأجواء هادئة ومستقرة، سقطت خصلات من شعر "ديكلان باتلر" على وجهه السمين وكادت تخفي ندبة أنفه التي أصيب بها عندما هاجمه أحد الأشخاص غدرًا بزجاجة خارج ملهى ليلي في بلفاست. موظف البنك الهادئ ذو الخمسة والعشرين عامًا يجلس أمام التليفزيون بجانب المدفأة ويحاول مقاومة النوم بصعوبة.

يشجع "ديكلان" فريق "أستون فيلا" لكرة القدم، لقد عاد من ملعب "فيلا بارك" في الظهيرة بعدما شاهد فريقه يخسر أمام "برمنجهام سيتي" بنتيجة 2 مقابل 1. أثناء عودته إلى البيت في طريق بلفاست، لم يلاحظ الـ"فولفو" الزرقاء من نوع "واجن" التي كانت تتبع سيارة الأجرة التي يركبها، والسبب أنه لم يخطر بباله أصلًا أن أحدًا قد يريد تتبعه، على الرغم من أنه واحد من تسعة مشرفين معهم مفتاح رئيسي لتجاوز كل أنظمة الأمن الداخلية ويُسمح لهم بدخول كل أقسام البنك بما فيها الخزنة. يدرك الخبراء في البنك أن "ديكلان" موظفٌ موهوب ومؤهَّل ليصبح ذا شأنٍ كبير ويستحق متابعته وتشجيعه، ورجال العملية أيضًا يدركون أهمية "ديكلانً" ويعرفون أهمية متابعته.

في هذه الأثناء يجلس "أليك" والد "ديكلان" في كرسيه الجلدي الأخضر بجانب المدفأة، يقرب قدميه العاريتين من النار ثم يبعدهما كل حينٍ لتبردا. وجهه البدين الأحمر يجعله يبدو مثل أثرياء الريف، لكنه في الواقع يعيش في قلب بلفاست. رفع كوب الشاي بيديه الاثنتين وشرب، هناك طبق من الـ"دونات" على ذراع كرسيه وتبدو شهيةً جدًّا، أخذ واحدة وقضمها فشعر بسعادةٍ فورية من لذتها المسَكرة. هناك عاصفة في الخارج بينما الجو شديد الحرارة داخل المنزل. في الطابق العلوي هناك "كوليت" زوجة "أليك" و"كايت" ابنته تنظفان الغرفة الإضافية. البيت هادئ ومستقر.

سمعوا طرقة قوية على الباب، فنظر "أليك" إلى "ديكلان". في أيرلندا لا يفتح الآباء الباب في عز الشتاء عندما يكون لديهم أبناء كبار ليفعلوا ذلك بدلًا منهم. يعرف "ديكلان" ما عليه فعله.



في "لوجشور" بمقاطعة "داون"، دوت طرقة قوية أخرى على أحد الأبواب، كانت "ستيفاني دايفر" جالسة في غرفة المعيشة، ضغطت على قناة كاميرا الأمن في التليفزيون لترى من بالباب، ثم فتحته، رأت ضابطي شرطة، فقالت:

- مرحبًا أيها الشرطي.
قال "شايموس مكان":
- مساء الخير يا سيدتي.
- مساء الخير.
- هل أنتِ السيدة "دايفر"؟
- نعم.
- السيدة "ستيفاني دايفر"؟
- نعم، ما الأمر؟
- أممم.. أنا آسفٌ جدًّا يا سيدتي.
فتحت "ستيفاني" فمها بصدمة، ووضعت يدها على خدها وهي تقول:
- يا إلهي! لديك أخبارٌ سيئة، أليس كذلك؟
- أخشى ذلك. هل يمكننا الدخول؟
تنحت "ستيفاني" جانبًا وقالت:
- تفضلا.

دخل الشرطيان المتنكران بيت "دايفر". بمجرد أن أغلقت "ستيفاني" الباب، أمسكها "مكان" من خصرها بإحدى يديه، وباليد الأخرى غطى فمها، خلع زميله قبعة الشرطة وارتدى قناعًا وسحب مسدسه. قال "مكان":

- إن لم تفعلي كما أقول سأقتل "ليام". هل تفهمين؟

جحظت عينا "ستيفاني" برعبٍ وأومأت بطاعة، ارتدى "مكان" قناعه ودفع "ستيفاني" إلى زاوية الغرفة، خرج "ليام" إلى الصالة وهو يرتدي روب حمام ويجفف شعره بمنشفة.

ألصق "مكان" المسدس برأس "ستيفاني" وقال:
- اركع على ركبتيك يا "ليام".
ركع "ليام"، ثم قال "مكان" بقسوة:

- الحياة أم الموت؟ اختر بسرعة!
قال "ليام" بسرعة:
- الحياة، الحياة.
ألصق "مكان" المسدس بصدغ "ليام" وقال:
- الحياة أم الموت يا "ستيفاني"؟
- الحياة.
- اختيارٌ حكيم.



أخذ عامود الكهرباء العمومي خارج بيت عائلة "باتلر" يهتز وكأن عملاقًا خفيًّا يحركه. وسط العاصفة القاسية تأرجح بعنفٍ حذاء تنس مربوط في أحد كابلات الهواتف المعلقة. طار كيسٌ بلاستيكي أبيض وأخذ يدور مع التيار الشديد. تسربت قطرات ماء من ماسورة مجاري وسقطت على الرصيف الحجري، فصنعت صوت دقٍّ بتتابع سريع مثل الطبل. ظَل "شادو" -كلب جارهم- ينبح طوال الليل. العاصفة متنوعة هذه المرة، هناك أمطار وأمطار متجمدة وثلج؛ من الأفضل أن يلزم كل شخصٍ بيته في ليلةٍ كهذه، إن استطاع، مع ذلك هناك بعض الأشخاص الذين خرجوا، أحدهم يُدعى "بيلي كيلي"، أطبق قبعة البيسبول على رأسه جيدًا، وارتدى نظارته ذات العدسات الشفافة السميكة، ومشط شعره الأبيض المستعار، ورفع ياقة معطفه. وضع أحد أفراد العصابة ذراعه على ظهر رفيقه، وتظاهرا بالضحك على دعابة، بالغا في التظاهر بالضحك وكأنهما سمعا أظرف دعابة في الوجود، أتقنا هذه الحيلة مع الوقت لتفادي شكوك الجيران الفضوليين.

فتح "ديكلان" الباب، فرأى ثلاثة أشخاصٍ لا يعرفهم؛ شعر بشيءٍ مريب، هناك خطأٌ ما، وكأن هؤلاء الثلاثة لا يريدونه أن يحفظ ملامحهم، وكأنهم يختبئون خلف وجوهٍ أخرى. أمامه اثنان يضعان شعرًا مستعارًا وشاربًا

مستعارًا، وواحد لديه لحية شعثاء. الاثنان ذوو الشاربين يرتديان قبعة بيسبول، أما الثالث فيضع قبعة فرو شتوية تخفي معظم وجهه ويحمل حقيبةً على كتفه. مستحيل أن تكون مصادفة أن الثلاثة يرتدون نظاراتٍ سميكة. مهلًا، هل يرتدون قفازاتٍ طبية؟ رأى "ديكلان" في أعينهم الجشع والطمع والشر. هرب الدم من وجه "ديكلان" وهو يحاول عبثًا التماسك، بدا له أنهم ينوون فعل ما يحلو لهم تمامًا بغض النظر عن رأيه، إلا أنه سألهم بتلعثم:

- هل يمكنني مساعدتكما يا رفاق؟

فتح "بيلي كيلي" معطفه وسحب مسدسًا من حزامه وأنزل يده إلى جانب جسده ثم قال:

- بالتأكيد يمكنك يا "ديك".

سيتذكر "ديكلان" هذه الكلمات المرعبة لباقي حياته. بدأ الشك والريبة يتلاعبان به، إلا أنه لم يرغب في تصديق الموقف الذي يتعرض له. ظهرت دهشةٌ مصطنعة على وجهه وهو يقول بمرح:

- أنتم تمزحون.

دارت عيناه بين وجوههم في انتظار أن يضحك أحدهم ليعرف أنها مجرد مزحة، سيرضى حتى بابتسامةٍ ساخرة، أو ربما غمزة عين، أو أن ينقر أحدهم على أنفه، لكن بلا فائدة. لا أحد يضحك أو يبتسم أو يغمز أو ينقر أنفه.

دفع "بيلي" مسدسه في صدر "ديكلان" وقال:

- تراجع ببطءٍ وهدوء وابق يديك إلى جانبيك.

تراجع "ديكلان" إلى داخل المنزل وتبعه الخاطفون الثلاثة، أغلق أحد رجال العصابة الباب.

اعتاد "ديكلان" أن يشعر بالتوتر أثناء التشجيع في المباريات، وذلك النوع من التوتر لا بأس به، أما هذا التوتر فينهش لحمه مثل أسماك البيرانا بشهيةٍ كشهية الحوت. قال:

- يا رجال، ألا يمكن أن..؟

قال "بيلي":

- يمكنك أن تنفذ أوامرنا بالضبط.

- لكن..

قال "بيلي" وهو يجذب "ديكلان" من ذراعه ويعصرها:

- اخرس واسمع، لو ضغطت زر إنذار سأقتل عائلتك، لو ضغطوا زر إنذار سأقتلهم، لو لم تتعاون معنا سأقتلهم، هل تفهم؟

- نعم، تمامًا.

- لنقابل عائلة "باتلر" إذًا.

تولى "شايموس مكان" عائلة "دايفر"، ثم أجرى اتصالًا وقال بالشفرة:

- تم بيع الجرو.

قال "راكشنز":

- جيد، سأكون معك قريبًا.

ثم قال لنفسه مهنئًا: "لقد بدأنا أخيرًا، اخترقنا المنزلين بنجاح دون فوضى. كل شيء يسير حسب الخطة يا "راكشنز".

كان يجلس في سيارة أجرة سوداء على طراز سيارات أجرة لندن، على بعد خمسين ياردة من بيت عائلة "باتلر". فتح "راكشنز" النافذة، لم يرَ أي شرطي في الجوار، لكن هذا لا يعني شيئًا، فرجال الشرطة يجيدون التخفي حين يريدون. أنصت السمع وهو فاتحٌ فمه، لم يسمع شيئًا، لا يوجد هليكوبتر، وضع علكةً في

فمه وأخذ يدندن المقطع الأخير من أغنية "William Tell Overture" لـ"روسيني"، لفتت انتباهه سيارة فضية قادمة ببطء. تمتم قائلًا:

- ابتعدي أيتها السيارة الفضية.

مال "فينبار" داخل السيارة الفضية ونظر عبر الزجاج إلى أرقام الأبواب، تجاوز سيارة الأجرة السوداء ثم أبطأ أمام بيت "باتلر" ونظر إليه طويلًا ثم واصل القيادة إلى نهاية الشارع وتوقف قليلًا ليستنشق بعض الهيروين، رن هاتفه، المتصل هو "بينزو مولينز"، يعرف أنه ما كان عليه الرد، لكن الفضول مثل المخدر، و"فينبار" مدمن مخدرات. ظل متوقفًا في آخر الشارع ورد:

- مرحبًا.

قال "بينزو":

- كنت أحاول الاتصال بصديقنا الذي كان معك عندي.

قال "فينبار" لنفسه: "يقصد "جيك". إما أنه يشرب بيرة أو أنه لا يزعج نفسه بالكلام مع "بينزو" أصلًا". قال:

- حقًا؟

- إنه لا يجيب على هاتفه.

- هذا غريب!

قال "بينزو" بريبة:

- حقًّا؟ ما الغريب فيه؟

- لا تسألني.

- لكنك قلت للتو إنه شيءٌ غريب، لهذا أسألك عن السبب.

- كان تعليقًا عابرًا فقط.

- عندما قلت إنه شيءٌ غريب، ظننت فورًا أن صديقنا يتجاهلني، من الطبيعي أن أظن ذلك، صحيح؟

- أظن.

- إذًا هل الأمر غريبٌ أم لا؟

- لا أعرف.
ابتعد صوت "بينزو" فجأة وهو يقول:
- "أرسل إليه أربعة".
قال "فينبار":
- لا أفهمك، أرسل إليه أربعة من ماذا؟
- قال "بينزو":
- لم أكن أتحدث إليك.
من الواضح أنه يتحدث مع شخصٍ بجانبه. واصل:
- "يكفيه أربعة، إن احتاج المزيد يعرف أين يجدنا".
ثم عاد بانتباهه إلى "فينبار":
- هل يفكر والدك في خداعي؟
- كفى حماقة.
- هل قلت لي "كفى حماقة"؟
- لم أقصد أن..
- سألتك سؤالًا، هل قلت لي "كفى حماقة"؟
- لم أقصد إهانتك، صدقني.
صمت "بينزو" قليلًا ثم قال:
- لماذا لا يرد صديقنا على اتصالاتي؟
قال "فينبار" في سره: "تبًّا، لأنه أذكى مني، ما كنت لأرد عليك لو عرفت أنك ستكلمني هكذا أيها الوغد". ثم قال:
- لا أعرف، ربما ترك هاتفه في المنزل.
- أممم.. ربما.
سمعه "فينبار" يصفر ثم يقول:
- أريدك أن تتصل به.
- يمكنني ذلك.
- أريدك أن تخبره بأن عليه تسديد بعض المال الثلاثاء المقبل.
قال "فينبار" بمرح:
- نعم، لا تقلق؛ لقد جهزت ذلك بالفعل يا "بـ...

- لا تقُل أسماء!
طفح كيل "فينبار" العصبي ونال كفايته من كلام الرجل، فصاح:
- أنت! يا لك من..
- ماذا؟
- تبًّا لك، اذهب إلى الجحيم! أنا "فينبار أوهاري" ابن
"بانزر أوهاري"، لا تجرؤ على التحدث إليَّ بهذه الطريقة!
بادله "بينزو" الصياح:
- لا أهتم حتى إن كنت "فينبار بن لادن" ابن
"بانزر بن لادن"! أعد لي مالي اللعين يوم الثلاثاء وإلا سأرسل أربعة شياطين من الجحيم إلى بلفاست.
هتف "فينبار" بسخرية:
- أربعة يا "بينزو"؟ "بينزو" اللعين؟ هذا هو اسمك، صحيح؟ "بينزو" اللعين؟ أنت تهددني بأربعة شياطين فقط؟ حسنًا، اسمعها مني إذًا أيها المغفل، هذه هي بلفاست، وستنقلب على رؤوس شياطين الجحيم! لدينا مئات الأوغاد المجرمين! لدينا..

أغلق "بينزو" الخط.

شعر "فينبار" بشخصٍ ما يحاول فتح باب الراكب، استدار فرأى وجه "راكشنز" ينظر إليه بحدةٍ وتتكثف أنفاسه على الزجاج بسبب البرودة، تحرك "فينبار" وتمطأ في مقعده حتى كاد رأسه يلمس السقف. "لا، لا!".

حاول "راكشنز" أن يفتح باب الراكب لسيارة "فينبار"، لكن بلا فائدة، أشار إلى قفل الباب، لكن "فينبار" هز رأسه وأشار بيده وداعًا ثم انطلق بالسيارة.

شاهد "راكشنز" سيارة "فينبار" تبتعد وتختفي، قال في سره: "إذًا لقد خنتني يا "بانزر"، أيها الوغد العجوز. أخبرت ابنك الخنزير الشهواني بأهم أسرارنا على الرغم من أننا اتفقنا بألا يعلم بشأن السرقة، لماذا؟ لماذا خاطرت بالعملية والمشاركين فيها؟". نظر حوله إلى النوافذ العالية للبيوت المقابلة، لا يوجد شيء. كلما فكر في خيانة "بانزر"، أدرك أن الابن سر أبيه، نفس الدم والقلب والشر

الحقيقي. سار إلى سيارته ببساطة وأخرج هاتفه، اتصل بـ"بانزر" لكنه وجد الخط مشغولًا، توقع ذلك. "بالتأكيد اتصل به "فينبار" قبلي. كيف ستفسر لي ذلك يا "بانزر"؟ يثير اهتمامي ما ستقوله لي حين أواجهك".

بمجرد أن ركب سيارته، اتصل بـ"بانزر" مجددًا، وهذه المرة رد.

قال "بانزر" فورًا:

- مهلًا لحظة.

وضع الهاتف على مسند الكرسي ونقر بأصابعه على المسند الآخر، شعر بأن ذهنه مشوشٌ. "سينتقم "راكشنز" مني لأنني خدعته، سيعد وجود "فينبار" عند بيت "باتلر" دون علمه بمثابة طعنةٍ في الظهر، والأسوأ أنه سيظنني أخطط للنصب عليه وأخذ حصته من الغنيمة". لهث "بانزر" وشعر وكأنه يغرق، ثم نظر إلى الهاتف وبدأت أنفاسه تنتظم مجددًا، التقطه على مضضٍ وقال:

- هل يمكنك القدوم إلي؟

- لا.

- يمكنني الشرح.

- أشك.

- يمكننا تسوية الأمور.

أغلق "راكشنز" الخط وأغمض عينيه قليلًا، تساءل في نفسه: "ماذا حدث لشرف اللصوص؟ من العجيب أن الأحمق الذي اخترع هذه المقولة المبتذلة لم يخترع قسم شرف للمجرمين واللصوص".

رن هاتفه، إنها "ماريا"، قال لها:

- سأتصل بكِ بعد قليل.

قالت "ماريا":

- لا، لن تفعل.

هناك شيءٌ غير مريح في صوتها، شيءٌ يخبره أن يستمع إليها. قال:

- "ماريا"، أنا مشغولٌ الآن، ما الأمر؟

- وداعًا يا "راكشنز".

10



أراد "راكشنز" أن يقول: "ما الأمر بحق الجحيم؟"، لكنه قال بتهذيب:

- عذرًا؟!

ثم تردد قليلًا وسأل:

- أين أنتِ يا "ماريا"؟

- سأغادر، أحزم أمتعتي الآن، سأبقى فترةً في بيتي ثم سأسافر إلى أمريكا الجنوبية.

لم يجب "راكشنز"، فقالت "ماريا":

- "راكشنز"، هل ما زلت على الخط؟

- نعم.

- لقد انتهت علاقتنا يا "راكشنز" وكلانا يعلم ذلك.

- لا أعرف ماذا أقول يا "ماريا".

- لا تقل شيئًا، كل شيء لديه تاريخ صلاحية، ويبدو أن وقتنا حان، يسعدني أننا سنفترق كأصدقاء.

- سنكون دومًا أصدقاء يا "ماريا"، اعتني بنفسكِ، اتصلي بي إن احتجتِ شيئًا أو واجهتِ متاعب، سأدفع كفالة إخراجك من السجن لو قُبِض عليكِ يومًا.

ضحكت "ماريا" وقالت:

- شكرًا يا "راكشنز"، أتمنى ألا تصل الأمور إلى هذا الحد، الكلام نفسه لك إذًا، أخبرني إن احتجت شيئًا، يمكنك الاتصال بي من خلال أبي.

- حظًّا سعيدًا يا "ماريا"، أتعلمين؟ أظنكِ ستنقذين الغابات المطيرة بالفعل.
ضحكت "ماريا" وقالت:
- مع السلامة يا "راكشنز".

في بيت "باتلر" دخلت أخت "ديكلان" إلى المطبخ حاملةً مكنسةً كهربائية، رأت أخاها يتحدث همسًا مع ثلاثة رجال والتوتر يخيم على الغرفة، وهناك ابتسامة "بيلي كيلي" المصطنعة. "هؤلاء الرجال الثلاثة شكلهم غريب! لماذا يرتدون قبعات داخل المنزل؟ كل واحد منهم لديه شعرٌ في وجهه، إما ذقن أو شارب، ذلك يبدو شعرًا مستعارًا. مهلًا، لماذا يرتدي ذلك الرجل قفازات طبية؟".

رآها "ديكلان" فقال:
- امنحيني بضع دقائق من فضلك يا "كايت".
- ماذا؟
- امنحيني دقيقة، أرجوكِ.
سألته وهي تضع المكنسة الكهربائية جانبًا:
- ماذا يحدث هنا يا "ديك"؟
ثم أشارت إلى "بيلي" وسألت:
- لماذا يرتدي هذا الرجل القفازات؟ ولماذا هم متنكرون؟

ثم غطت فمها بيدها حين استوعبت أنهم هنا لأن "ديكلان" يعمل في البنك الوطني وهم يريدون سرقته. أشارت إلى الباب وقالت بلهجةٍ آمرة:
- اخرجوا، اخرجوا من بيتنا الآن وإلا سأتصل بالشرطة.
قال "بيلي" وهو يناول "كايت" الهاتف:
- هيا، افعلي، خذي الهاتف واتصلي بالشرطة، لن أوقفكِ.
نظرت "كايت" إلى الهاتف ثم هزت رأسها.
قال "بيلي":

- متأكدة؟
سمع همهمة خافتة منها، فأمال أذنه نحو فمها وقال:
- لم أسمع.
- لا.
- أهنئكِ يا "كايت".
- لماذا؟ ماذا فعلت؟
مال "بيلي" نحو "كايت" وقال:
- لقد قيمتِ الموقف وتصرفتِ حسب ما يقتضيه. أحسنتِ عملًا.
- لا تخدعني أيها الـ..
تظاهر "بيلي" بالصدمة وقاطعها وقال لـ"ديكلان":
- "ديك"، أختك ستشتمني، هل تصدق ذلك؟
قال "ديكلان" ليهدئ الموقف:
- لا تشتميه يا "كايت"، لا تفعلي ذلك.
وضع "بيلي" يده على صدره وتظاهر بالغضب وهو يقول:
- لا أشعر بالود منكِ يا "كايت"، هل تريدين حقًّا أن تشعريني بعدم الترحيب في هذا المنزل؟ لو صحيح، قولي "أنا لا أريدك هنا"، عندها سنختفي أنا ورفاقي مع صديقنا الجديد "ديك"، "سنختفي" تمامًا، هذه الكلمة خطيرة جدًّا يا "كايت" ومدلولها أخطر.
نظر "بيلي" إلى ساعته، واختفت نبرة المرح من صوته بسرعة كما ظهرت بسرعة. قال:
- اسمعي يا فتاة، لا تجرُئين على الغضب في وجهي، ولا حتى لثانية. اذهبي واجلسي في الركن إلى أن أناديكِ.
ذهبت "كايت" لتجلس في الركن.
قال "بيلي" وهو يلف إصبعه:
- استديري وواجهي الجدار.
حانت الخطوة التالية. قال "بيلي" لـ"ديكلان":

- سنأخذك لمدة أربعٍ وعشرين ساعة.
- إلى أين؟
استدارت "كايت" وقالت:
- إلى أين ستأخذون أخي؟
قال "بيلي":
- واجهي الجدار يا "كايت".
ثم قال لـ"ديكلان" بالأيرلندية:
- ستذهب إلى "أرض الشباب الأبدي" يا بني.
اندهش "ديكلان" من إجادة "بيلي" للأيرلندية، رد عليه باللغة نفسها:
- حقًّا؟ لم أذهب إلى هناك أبدًا.
قال "بيلي" بالأيرلندية مجددًا:
- في هذه الحالة يسعدني أن أقوم أنا بإرسالك.

قال "ديكلان" لنفسه: "إذًا هل سأذهب إلى العالم الآخر؟ إلى الآخرة لأعيش إلى الأبد؟ سيقتلني مجرم حقير قطع من وقته ليتعلم اللغة الأيرلندية والأساطير الغيلية؟". لا يعرف "ديكلان" إن كان عليه الانبهار بالسهولة التي ينتقل بها "بيلي" بين الإنجليزية والأيرلندية أم لا، وظل يراقب ذلك الدخيل من رأسه حتى قدميه بنظرات احتقار.

لاحظ "بيلي" احتقار "ديكلان" وقال:

- هل تنظر إإلي شزرًا يا فتى؟ قل إنك لا تحتقرني وإلا أقسم بأني سألكمك حتى تبتلع أسنانك.

هز "ديكلان" رأسه بخوف، إنه مصدوم، لقد تعلم الأيرلندية في المدرسة وفي "جيلتاخت" في "جويدور"، وهي منطقة تتحدث اللغة الأيرلندية في مقاطعة "دونجال"، لكن أين تعلمها ذلك المختطف الشرس؟ إنه لا يعرف أن "بيلي" من عائلة تتحدث الأيرلندية كلغةٍ أساسية. يعرف "ديكلان" بعض المجرمين والخارجين على القانون، معظم الناس يعرفون البعض منهم، قد يكون أحدهم ابن جارك الذي تشك

في أنه يخطط لسرقة سيارتك كلما مر بجانبها، أو -لا قدر الله- يكون جارك نفسه الذي يراقبك في انتظار أن تنسى نافذةً مفتوحة فيقتحم بيتك، لكن لم يعرف "ديكلان" أي خارجٍ على القانون اهتم بتعلم اللغة الأيرلندية، إنهم بالكاد يتحدثون الإنجليزية، قاموسهم محدود ببضعة آلاف كلمة لا تتغير. "من الذي أتعامل معهم الآن؟ هل هذه عملية تابعة للجيش الجمهوري؟ هل أسألهم؟ قد لا يعجبهم هذا، ولن يخبروني بالحقيقة على كل حال، أظن أنهم من الجيش الجمهوري". أمعن النظر في الرجال الثلاث ثم واصل حديثه مع نفسه. "يكفي النظر إليهم لأعرف، يبدون واثقين جدًّا من أنفسهم، ولا يشعرون بذرةٍ من الخوف أو الارتباك، أما قائدهم فيبدو مستمتعًا تمامًا بوقته، إنهم من الجيش الجمهوري بالتأكيد يا "ديكلان". عليَّ التزام الحذر".

اختفت ملامح الاحتقار من على وجه "ديكلان" عندما انهارت مقاومته، إدراكه بأن هؤلاء الرجال قد يكونون من الجيش الجمهوري زلزل كيانه. تحرك في مكانه بتوترٍ ثم أدخل يديه في جيوبه وأخرجهما مجددًا، ابتلع ريقه وقال لنفسه: "لا تنهار، لا تنهار".

آخر ما يريده "بيلي" هو أن ينهار الرجل، يريده أن يكون خائفًا لكن ليس لدرجة العجز عن تنفيذ المطلوب. أمسك ذقن "ديكلان" وقال:

- توقف عن النحيب.

أخذت حنجرة "ديكلان" تتحرك وتنتفخ وهو يبتلع ريقه بتوترٍ مثل سمكة تندفع في نهرٍ شديد التيار.

قال "بيلي":

- لا أحد مضطرٌ إلى الموت هنا يا "ديك". هل تسمعني؟

أومأ "ديكلان".

- إن نفذت أنت وعائلتك أوامرنا حرفيًّا، سيكون كل شيءٍ على ما يرام.

- لن أسبب مشكلات أيها السيد.

ترك "بيلي" ذقن "ديكلان" وقال:

- أحسنت، هذا ما أردت سماعه، الأمر يعتمد عليكم، لكن عليك أنت بالأخص، شارك في اللعبة ونفذ التعليمات، ولن نضطر إلى قتل عائلتك. الأمر بسيط.

ثم ربت على ظهره وأضاف:

- لكن إن أخطأت أو حاولت التذاكي، سنقتلهم، هل تفهم؟

بالكاد استطاع "ديكلان" أن يرسم ابتسامةً ضعيفةً على وجهه وهو يقول:

- نعم أفهم، لا تقلق؛ سأفعل ما تأمر.

- جيد، الآن ستغادر خلال..

نظر إلى ساعته وأكمل:

- .. عشر دقائق. أريد التحدث إلى عائلتك. "كايت"..

استدارت "كايت".

- تعالي يا "كايت".

شعر "أليك" بالشك والخوف حين دخل "ديكلان" و"كايت" والرجال الثلاث غرفة المعيشة، شعر كأن روحًا شريرة غزت المكان وامتصت كل الخير والطيبة منه. أغلق أحد رجال العصابة الستائر ووقف بجانب "ديكلان" في منتصف الغرفة، أما الآخر بقي عند الباب. جلست "كايت" على كرسي في ركن الغرفة وشبكت ذراعيها. والدة "ديكلان" جلست على الكرسي المقابل لزوجها.

قال "ديكلان" آمرًا:

- اجلس على الأريكة يا "ديكلان".

جلس "ديكلان" على طرف الأريكة مقابل والده تمامًا.

قال "بيلي":

- لا، هذا مكاني أنا.

تحرك "ديكلان" لمكانٍ آخر. نظر "أليك" و"كوليت" إلى بعضهما بقلق بينما جلس "بيلي" بفظاظةٍ على الأريكة مقابل "أليك"، نفش بعض الوسائد ووضعها خلفه تمامًا، بعد ذلك استرخى وسند إليها ومد رجليه أمامه ووضع يديه خلف عنقه، نظر إلى "أليك" وتثاءب، لاحظ أن ضوء لمبة الإنذار الحمراء الموضوعة في

تجويفٍ صغير في الجدار أسفل لوحة "قلب يسوع المقدس" مطفأة، لاحظ "أليك" ذلك أيضًا، وهو لا يحتاج إلى إشارةٍ من السماء لتنذره بوجود خطأٍ ما. من الواضح على سلوك "بيلي" أنه يعد نفسه سيد المنزل وليس "أليك".

سأله "أليك":

- من أنت بحق الجحيم؟

فتح "بيلي" معطفه ليظهر مسدسه المعلق في حزامه، وقال:

- أنا الزعيم هنا، أنا من يقتل الناس بالرصاص.

نظر "أليك" إلى المسدس وقال:

- كما تريد.

رن هاتف "بيلي"، رفعه ليراه "أليك" ثم أشار له بالصمت وأجاب، كان المتصل هو "راكشنز" ليطمئن على سير الأمور. أجاب "بيلي":

- رائعة، سأتصل بك بعد قليل.

ثم أغلق الخط.

بدأت "كوليت" تنتحب بخفوت وقالت بصوتٍ مرتجف:

- أنا خائفة يا "أليك".

قال "أليك":

- حبيبتي "كوليت"، ستكون الأمور بخير، لا تقلقي.

قال "ديكلان" وهو يتحرك ليمسك يد والدته:

- أبي محقٌّ يا أمي، سوف..

- لكن يا بني، إنهم..

أمر "بيلي" بصرامة:

- اجلس.

نظر "ديكلان" ببرودٍ إلى "بيلي".

- قلت اجلس.

نفذ "ديكلان" الأمر.

قال "بيلي" باستخفاف:

- أكره النساء الباكيات.

أخرج كيس مناديل من جيب معطفه وناوله لـ"كوليت" التي أخذته واستخدمت منديلًا. قال "بيلي":

- حسنًا يا رفاق، إليكم الاتفاق؛ إن نفذتم أوامري ستعيشون، إن عصيتموني ستموتون جميعًا. هذا كل شيء. هل سمعتم جميعًا بوضوح؟

- نظر "بيلي" إلى كل فردٍ في العائلة، وأومؤوا جميعًا برؤوسهم، لكن يبدو أن الطبيعة قررت تذكيره أنه لا يسيطر على كل شيء، فهطلت الأمطار وعصفت الريح بشدة وطرقت النافذة. قال "بيلي":

- ليلة صعبة. لا فكرة لديك عن اليوم الشاق الذي عانيته، أقسم أنني سأسعد كثيرًا حين ينتهي.

تثاءب مجددًا وبدا فمه مثل حفرةٍ عميقة، ثم قال:

- ما الأخبار يا "أليك"؟

لم يكن "أليك" في حاجةٍ إلى دردشة ودية، لذلك لم يجب. أضاف "بيلي":

- أتعرف؟ كنت أتطلع لرؤيتكم بفارغ الصبر. أظنك تفهم ماذا يحدث هنا، صحيح؟

- أعلم أنه من الحماقة أن أتحدث بفظاظةٍ مع من يحمل سلاحًا.

ابتسم "بيلي" وقال:

- "حماقة"، أحب هذه الكلمة، أحسنت القول، والآن سأتحدث عنك؛ اسمك "أليكساندر سياران باتلر"، مولود في 12 ديسمبر 1944، والدك هو "أليكساندر باتريك باتلر"، اسم والدتك قبل الزواج هو "برناديت باتريشيا ميلر"، تزوجت "كوليت دافي" يوم السبت 17 مايو 1969، أقمتما الزفاف في نادي "ويست بلفاست" الاجتماعي على طريق "فولز رود"، عشتما مع والدَي "برناديت" قبل أن تحصلا على بيتكما الخاص في حي "بيتشماونت"، كنت مثل والدك؛ عاملًا في ميناء بحري حتى حدث تسريح للعمالة عام 1970. بعدما فُصلتَ من العمل في الميناء، عملت في ورشة "كوري" لتصنيع الخشب في طريق "سبرينج فيلد" حتى..

قاطعه "أليك":

- فهمنا أنك تعرف كل شيءٍ عني، والآن ما اسمك لكي أخبره للشرطة حين يستجوبونني؟

مرر "بيلي" على مقبض مسدسه وقال:

- لماذا تظن أنك ستبقى حيًّا إلى أن تتحدث مع الشرطة؟

رفع "أليك" يده باعتذارٍ وقال:

- مهلًا يا رجل، لم أكن أحاول إهانتك.

- بدت إهانةً لي.

ثم مرر لسانه على أسنانه وأضاف:

- ما رأيك في "مستر إكس"؟ يبدو جيدًا، صحيح؟

أومأ "أليك" بإيجاب.

قال "بيلي":

- "مستر إكس" الغامض المميت، يعجبني ذلك، يبدو مثيرًا، أليس كذلك؟

نظر "أليك" إلى ابنه، عندما تبادلا النظر أدرك كلٌّ منهما ما يفكر به الآخر. "هؤلاء مجرمون خطرون، مهما حدث، دعنا نجاريهم".

قال "أليك":

- أريد أن ينتهي هذا الأمر بأقل قدرٍ من الضرر.

قال "بيلي" وهو يمد يده إلى "أليك":

- وأنا أيضًا.

تردد "أليك" وهو ينظر إلى اليد الممدودة وكأنها ملوثة، ثم نظر إلى عينَي "بيلي"، عندها لاحظ فيهما الشر والغضب وقدرة لا نهائية على العنف، خمن "أليك" أن هذا الرجل لن يتردد لحظة في قتل عائلته إن ظن أن هذا ضروري، فاستسلم وصافحه.

قال "بيلي":

- يا لها من مصافحة قوية! يعجبني هذا. لقد قلت إنك ستكون عاقلًا، أخبرتهم أن الجميع سيخرجون من هذا الموقف راضين، أشعر بذلك. ماذا عنك يا "ديك"؟

ابتسم "ديك" باستسلام.

صفع "بيلي" رجل "ديك" وهو يقول:

- ابتهج قليلًا يا رجل، سيعتقد الجميع أنك ستخضع لعمليةٍ في أسنانك لذلك أنت حزين.

تمنى "ديكلان" لو أن كل مشكلاته كانت مجرد عملية في الأسنان.

قال "أليك" بسخريةٍ جافة:

- "كايت"، أعدي الشايَ من أجل ضيوفنا، ماذا تحب أن تتناول يا "مستر إكس"؟ بسكويت أم كيك أم بعض الساندويتشات؟

قال "بيلي":

- نحن بخير، شكرًا لك، لقد أحضرنا أكوابنا والشاي الخاص بنا.

نظر إليه "أليك" وسأله:

- هل تخشى من ترك آثارٍ للحمض النووي؟

- شيءٌ من هذا القبيل. تصرفوا وكأننا لسنا هنا يا رفاق. "ديك"، علينا أن نتحدث.

نهضت "كوليت باتلر" من كرسيها وأمسكت ذراع "بيلي" وهو يقود "ديكلان" خارج الغرفة وقالت:

- لن تؤذي ابني، صحيح؟ لا تبدو كقاتل.

ربت "بيلي" على رأس "كوليت" وابتسم، استدارت إلى ابنها ولوحت بإصبعها في وجهه وهي تقول:

- "ديكلان"، افعل ما يطلبه هؤلاء السادة، هل تسمعني؟ الأمر يتعلق بالمال، لكنه ليس مالك.

قال "بيلي":

- كلماتكِ حكم يا "كوليت"، كلماتكِ حكم.

11



يعرف مدير البنك "ليام دايفر" نفسه جيدًا ليدرك أنه ليس بطلًا، لكنه رجلٌ ذكي، وتوقع أن يقتحم بعض المجرمين بيته يومًا ما. اتفق هو وزوجته "ستيفاني" أنه عند حدوث هذه الكارثة، سوف يتعاونون معهم كليًّا، لكن الواقع المؤلم هو أنه الآن مقيدٌ في سريره وهناك رجلٌ ملثم يصوب إليه مسدسًا، ما يقلقه أكثر هو معاملتهم لـ"ستيفاني"، صفعها أحد رجال العصابة ثلاث مراتٍ بالفعل، أراد "ليام" أن يصرخ في ذلك الحقير بأن يدعها وشأنها، وأن يهدده بأن يطارده بعد انتهاء كل هذا، وأن يقسم بقطع لسانه، لكنه عجز عن الكلام، إنه مدير بنك، ومديرو البنوك لا يجيدون أعمال البطولة.

جلست "ستيفاني دايفر" على أريكة غرفة المعيشة وهي ترتجف وتشبك يديها بقوةٍ في حجرها، أخرج "شايموس مكان" من حقيبته زي عمال يشبه "السولوبيت" وأعطاه لها وقال:

- ارتدي هذا.

نظرت إليه بعدم فهم.

- هل سمعتِني؟

فتحت "ستيفاني" فمها وأغلقته وهي ما زالت تنظر إليه، فأمرها "مكان" وهو يدفع إصبعه في رأسها:

- قلت ارتدي الزي اللعين وإلا ألبستكِ إياه بنفسي.

طرفت "ستيفاني" بعينيها بسرعة ثم سحبت نفسًا عميقًا وبدت كمن يستيقظ من غيبوبة، استدارت إلى "مكان" ببطء وأخذت الزي ثم ارتدته على ملابسها. إنه واسع.

ذهب "مكان" إلى غرفة النوم وجلس على السرير بجانب "ليام" وشمه.

قال "ليام" في سره: "أيها القذر، أنت تعاملنا كالحيوانات وتستمتع بذلك".

صفر "شايموس" وقال:

- أشم رائحة الخوف، نعم، جيد، ممتاز، خوفك هو ما سيُبقي "ستيفاني" على قيد الحياة يا "ليام"، لا أفعل هذا عادةً، لكنني سأنصحك لمرةٍ واحدة، حافظ على هذا الخوف إن أردت رؤية "ستيفاني" في نهاية الأمر، وإلا..

وضع "مكان" إصبعيه على صدغه بحركة المسدس وأضاف:

- وإلا سنقتلها.

حبس "ليام" أنفاسه خوفًا من أن يعدها الرجل مقاطعة لكلامه وإشارة على تمرده فيبدأ بالقتال.

- الآن تعرف ما سيحدث، سنأخذ "ستيفاني" إلى أن ينتهي كل هذا.

اتسعت عينا "ليام" وقال:

- أرجوك، خذني أنا، لا تأخذ "ستيفاني".

جذبه "مكان" من شعره وقال:

- أظنك تتذاكى، ربما استخففت بك.

- أنا..

- أخبرني، ماذا سنستفيد لو أخذناك رهينة وتركنا "ستيفاني"؟ إنها لا تعمل في البنك، لا يمكنها إحضار المال لنا، أنت فقط من يمكنه ذلك.

حاول "ليام" تحرير نفسه من قبضته بلا فائدة.

اشتدت قبضة "شايموس" على شعر "ليام" وقال:

- مهلًا، مهلًا! ماذا حدث لك بحق الجحيم؟

- سأتعاون معكم، لكن لا تؤذوا زوجتي، لا تأخذوها.

- أشعر بالفضول، ماذا كنت تتوقع أن يحدث؟ بالتأكيد لم تظن أننا سندعك تذهب إلى البنك وننتظر هنا مع "ستيفاني" حتى يمكنك إبلاغ الشرطة عنا، أليس كذلك؟ لا تتذاكى إلى هذه الدرجة.

- أنا آسف.

كان يتمنى أن يؤثر عليهم بالاعتذار بدلًا من الإقناع.

صفع "مكان" خد "ليام" ثم قال وهو يلوح بيده بلا مبالاة:

- احذر، إن أردت أن تذهب إلى البنك صباحًا وإبلاغ الشرطة عنا فافعل، لكن تذكر شيئين؛ أولًا، لن تجدنا حين تصل، ثانيًا، سنقتل "ستيف" إن شممنا رائحة شرطي يقترب. الآن أفترض أن وغدًا ذكيًّا مثلك سيرى العالم على حقيقته وليس كما يريده أن يكون.

لوى "مكان" عنقه بمرونةٍ شديدة وأضاف:

- "ليام"، أنت الآن رجلنا الخاص، فهمت؟ جاسوسنا الداخلي، اعتد ذلك يا رفيق.

ثم مرر يده على رأس "ليام" وغادر الغرفة.

في غرفة المعيشة أخذ "مكان" رجله المتنكر بزي شرطي وسحبه جانبًا ثم وضع يده على فمه وأمره بخفوت أن يتصل بأحد أفراد العصابة المسؤولين عن جزء الاختطاف في العملية، ثم جلس "مكان" بجانب "ستيفاني" وقال:

- هل أنتِ مستعدة للتحرك؟

تحولت "ستيفاني" تمامًا من حالة الانهيار التام إلى حالة الاستعداد للقتال وسألته بفظاظة:

- إلى أين ستأخذني؟

جذبها "مكان" من ذراعها وقادها إلى المطبخ وقال:

- ماذا قلتِ؟

قالت وهي تحاول تحرير ذراعها:

- هل سمعك ضعيف؟ قلت إنني أريد أن أعرف إلى أين ستأخذني؟ واترك ذراعي.

رفع "مكان" قبضته ليضرب "ستيفاني"، لكنها لم تغمض عينيها خوفًا، بل نظرت إليه بتحدٍّ، فأرخى قبضته وأنزل ذراعه بجانبه ثم ابتسم بشرٍّ وهمس في أذنها:

– سأقتله من أجلكِ، هل أفعل ذلك؟ هل تريدينني أن أقضي عليه؟ أظنكِ تريدين ذلك، أنتِ عصبية يا "ستيف"، لو كنت مكانكِ لكبحت نفسي قبل أن أتعرض للمزيد من المشكلات.

عارضته "ستيفاني":

– لا يمكنك قتله.

– لم لا؟

– لأنك لن تستطيع إخراج قرشٍ واحد من البنك من دونه.

زفر "مكان" ونظر إلى السقف وهو يفكر في كيفية التخلص من هذه المرأة المزعجة وهو يتمتم:

– ويظن الناس أن السرقة سهلة.

ثم قال لها:

– أنتِ محقة، هذا أكيد، لا يمكننا سحب المال من دون زوجكِ، لكنك نسيتِ أمرًا واحدًا؛ نحن لا نحتاجكِ لسرقة البنك، يمكنني أن آخذكِ من المنزل وأقتلكِ على الطريق.

هز "مكان" كتفيه ولوح بيده بلامبالاة وهو يضيف:

– لن يعلم "ليام" بذلك، سيطيع الأوامر لأنه سيظن أنك ما زلتِ حية، عندها لن نقتلكِ فقط، بل سنقتله أيضًا بعد السرقة، تذكري أنه سيتحرر منا عندما نقرر نحن ذلك.

صمت "مكان" قليلًا حتى تستوعب كلماته ثم أضاف:

– والآن أيتها الثرثارة، هل لديكِ ما تقولينه؟ تكلمي.

هزت "ستيفاني" رأسها.

– لا أسمعكِ.

– لن أفعل ما يهدد حياة زوجي.

– من الأفضل لكِ، وإلا ستموتان.

سمعوا طرقة على الباب ثم دخل رجلٌ نحيلٌ جدًّا، لم يكن تنكره مبتكرًا على الإطلاق، كان يرتدي معطفًا رماديًّا يصل إلى ركبتيه، وقبعة عليها الحروف الأولى من كلمة "نيويورك"، وشالًا أحمر، أما العلامة المميزة فيه هو أن كتفه الأيمن منخفض عن الأيسر، بمجرد أن رأته "ستيفاني" وصفته بأنه "خيال مآتة تحدث معه "مكان" همسًا". راقبتهما "ستيفاني" وهي تكتم احتقارها لهما. أعطى "مكان" مفاتيح سيارة "ستيفاني" للرجل النحيل، ثم استدار لها وقال:

– ستكونين معه في السيارة، أحد رجالي سيتبعكم، في حال قابلتما نقاط تفتيش تصرفي بطبيعية، وإذا لاحظ رجلي في السيارة الأخرى شيئًا مريبًا سيتصل بي وسأقتل "ليام". اتفقنا؟

– حسنًا.

أعطى "مكان" لـ"ستيفاني" قفازًا طبيًّا وأخبرها أن ترتديه. قادها إلى غرفة النوم حيث زوجها محجوز، نظرت "ستيفاني" إلى "ليام" المربوط على السرير، شمت رائحة بول، أراد أن يخبرها بأنه آسف على كل ما يحدث، لكن لسانه عجز عن النطق. تحركت "ستيفاني" لتقول بصمت: "أنا أحبك"، ثم دفعها "مكان" خارجًا. حان وقت أخذ "ستيفاني" إلى البيت الآمن.

ألصق الرجل النحيل شرائط رفيعة من اللاصق الشفاف على عينَي "ستيفاني" بطريقةٍ طولية، وذلك لسببين؛ الأول، لكي تكون رؤيتها مشوشة، والثاني، لكيلا يبدو شكلها مريبًا عن بعد إذا نظر شخصٌ ما إلى السيارة بلمحةٍ عابرة، فاللاصق الشفاف لن يظهر عن بعد. قال "مكان" لنفسه وهو يركب سيارته: "إنه مكسبٌ سهل، في المرة القادمة أنا من سيقوم بتوظيف وطرد الرجال، أنا من سيحصل على نصيب الأسد".

بداخل السيارة أخذت "ستيفاني" تنقر بأصابعها على رجلها، مد الرجل النحيل يده وربط حزام الأمان الخاص بها وسألها:

– هل أنتِ مرتاحة أم أضبط لكِ المقعد؟

ردت "ستيفاني":
- لا، أنا بخير.
- لا تقلقي يا سيدتي، أنتِ في أيدٍ أمينة، لن نقود طويلًا.
شمت "ستيفاني" منه رائحة نعناعٍ وتبغ، وهناك رائحة أخرى تشبه الصابون، ربما هي كولونيا الحلاقة. يبدو صوته ناضجًا، خمنت أنه في أواخر الأربعينات أو أوائل الخمسينات من عمره.
قال الرجل النحيل:
- آسفٌ على ما يحدث لكِ ولأسرتكِ الآن يا سيدتي، قد لا تصدقين هذا، لكنني كذلك بالفعل، الآن انظري أمامكِ إلى الطريق مباشرةً ولن نواجه مشكلات، تعرفين أن أحد رجالنا يتبعنا بسيارة، صحيح؟
- نعم.
- تعرفين ماذا سيحدث لـ"ليام" لو..
- أعلم، أخبرني زعيمك عندما كنت في المنزل.
- آسفٌ لهذا يا سيدتي.
قالت في سرها: "بالتأكيد أنت كذلك، وستعترف للقس في الكنيسة يوم السبت، أليس كذلك؟ تتظاهر بتأنيب الضمير!". بدا لـ"ستيفاني" أن الرجل النحيل يتحدث كما لو أنه ليس طرفًا في هذا الفعل الشرير، وكأن ضميره معارض لما يحدث لكن العصابة أجبرته على الاشتراك في هذه العملية الجهنمية. "ربما هذا الأحمق لم يدرك بعد أنه مذنب مثل الباقين، تبًّا له! أريد الانتهاء من هذا الأمر". أرادت "ستيفاني" أن تنزع بطاقة الماركة من زي العمال الذي ترتديه لأنها تحك رقبتها، لكنهم أمروها بعدم تحريك يديها مطلقًا، لا تستطيع الرؤية بوضوح بسبب اللاصق. لمحت ألوانًا متداخلة من الأزرق والأصفر ثم لم تر سوى الظلام.
رن هاتف، وأجاب الرجل النحيل:
- مرحبًا، نعم.. لا توجد مشكلات.. لا.. سلام.

"ديكلان" الآن على حافة الانهيار في غرب بلفاست، انتفض قلبه بينما ينغلق باب منزله من خلفه، على الرغم من هدير العاصفة والأمطار الثلجية، كان "ديكلان" يغرق في العرق واليأس، شعر وكأن روحه قد سُحبت منه، وكأنه لعبة يلعب بها بعض الإرهابيين السفاحين الغارقة أيديهم في دماء ضحاياهم، كما أقنع نفسه. ارتدى قفازًا طبيًّا وحمل حقيبة كبيرة فيها بذلة العمل التي يذهب بها إلى البنك، بجانبه "بيلي" الذي وضع يده على كتفه وكأنهما أعز صديقين. سار "بيلي" في الشارع بينما توجه "ديكلان" إلى سيارة الخاطفين.

أدخلوا "ديكلان" إلى المقعد الخلفي، استدار إليه سائق بدين غير حليق يضع شعرًا مستعارًا أشقر لا يناسبه، كان يمسك مسدسًا فضيًّا.

قال "أمبروز بيبولز" بنبرةٍ تبعث على الاطمئنان بدلًا من التهديد:

- ستبقى في السيارة لبعض الوقت، أريدك أن ترقد ووجهك للأسفل يا "ديكلان"، وحافظ على هدوئك.

أطاعه "ديكلان".

- أريدك أن تفكر في عائلتك، تذكر أنك وحدك من يمكنه جلب الخراب على نفسك إن تهورت، لذلك كن ذكيًّا وافعل الصواب، الأمر كله يتعلق بالمال، تبًّا لأي شيءٍ آخر، الأمر لا يستحق المخاطرة بحياة والدتك ووالدك. بالمناسبة، الرجل الذي خرج من البيت معك..

- "مستر إكس".

- إنه هو، سوف يتبعنا.

- نعم لقد أخبرني.

زفر "أمبروز" وقال:

- حسنًا، أنا أخبرك مجددًا، إنه في حال ارتكبت أي حماقة سوف يتصل برجاله في بيتك و.. أنت تعلم، لكنك لن تضطره إلى الاتصال، أليس كذلك؟

- لا يا سيدي.

استدار "أمبروز" ووضع المسدس عند قدميه وقال:

- أنت رجلٌ ذو أخلاق يا "ديكلان"، أحب هذا.

- شكرًا لك.

ضبط "أمبروز" مرآة السيارة لكي يرى المقعد الخلفي، وقال:

- سأخبرك نصيحة اقبلها أو ارفضها، حاول تسهيل الأمر على نفسك بقدر الإمكان، نفذ الأوامر حرفيًّا وسينتهي كل شيءٍ بسرعة.

ثم رفع إصبعين وأضاف:

- تذكر شيئين؛ أولًا، الخاسرون الوحيدون في هذه اللعبة هم المليارديرات أصحاب البنك الوطني، ثانيًا، الأبطال يموتون قبل أوانهم عادةً.

- حسنًا يا سيدي.

أراد "ديكلان" أن يغمض عينيه للهروب من المأزق البشع الذي وقع فيه، لكن هذا لن يوقف الصوت الذي ينهش في عقله: "هؤلاء المجرمون يجرؤون على النصح، لا بد أنهم في حياتهم العادية ناشطون اجتماعيون أو أختصاصيون اجتماعيون أو عمال خدمة اجتماعية. هل أنت ناشط اجتماعي أيها البدين؟ هل أنت من الجيش الجمهوري؟ هل تبتسم وتنشر الحكمة بين الناس طوال النهار ثم ترهب عائلات الموظفين الأبرياء أثناء الليل؟ هل تنصح نفسك كما تنصح الناس؟ ولو تفعل، هل تأخذ بنصيحتك؟".

قاد "أمبروز" ببطء وسأله:

- ما نوع الأغاني التي تحبها يا "ديكلان"؟

- أيرلندية غالبًا.

- تقليدية أم عصرية؟

- كلاهما.

- ماذا عن "كريستي مور"؟

- أحب "كريستي مور".

- سنشغلها إذًا.

دوت في السيارة أغنية "Ride On".

- هل كنت تعلم يا "ديكلان" أن هذه الأغنية كانت في الأصل لتأبين الحصان الشهير "شيرجار Shergar"؟ مسكين. لقد ربح ديربي "إبسوم" والديربي الأيرلندي عام 1981، وبعد عامين تم اختطافه وقتله على يد الجيش الجمهوري.

قال لنفسه: "أغنية تأبين للحصان "شيرجار"؟"، ثم رد عليه:

- لم أكن أعرف يا سيدي.

قال "أمبروز":

- بالتأكيد تتساءل عن السبب الذي يجعل الجيش الجمهوري يختطف حيوانًا رائعًا مثله، صحيح؟

قال "ديكلان":

- نعم.

ثم قال في سره: "هل تعلم ما الذي أتساءل عنه؟ أتساءل إذا ما كنت على نفس الكوكب اللعين الذي أعيش عليه. ألا تفهم أن "شيرجار" تم اختطافه لأجل المال، مثلي؟ لكنني لست "شيرجار"، أنا لست حصانًا ثائرًا، بل أنا خادم مطيع سأملأ لهم ثلاث حقائب بالمال".

قال "أمبروز":

- يقولون إنهم قتلوا الحصان لأنهم عجزوا عن السيطرة عليه.

- هذا كلامهم.

- من العجيب أن الجيش الجمهوري لم يضم خبراء خيول، صحيح؟

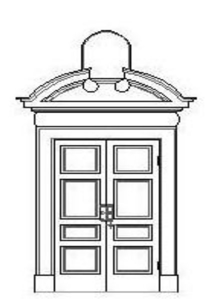
- نعم.

- هل أنت بخير؟

- نعم.

- اصنع لنفسك معروفًا ونم قليلًا؛ ستكون ليلتك طويلة ونهارك أطول.

12



قاد "راكشنز" إلى "البيت الكبير"، انفتح الباب الكبير وظهر "بانزر" على عتبته، كان متشنجًا من شدة المطر والثلج، والتصق قميصه الأبيض مفتوح الياقة بجسده بالفعل، خرج "راكشنز" من السيارة الشبيهة بسيارة الأجرة السوداء.

حمل "بانزر" كأسًا من النبيذ الأحمر ورفعها تحيةً لأفضل جنرالاته، امتزجت الأمطار بالنبيذ فورًا وقامت بتخفيفه. رفع الكأس هو مجرد إيماءة عادية من "بانزر"، وليست دليلًا على خضوعه، إنه يؤمن بأن الخضوع له مواقفه المناسبة، مثلًا أثناء الجلوس على كرسي الاعتراف، أو في إحدى جلسات علاج الإدمان، أو عندما يتوسل المجرم في المحكمة بأنه بريء، أو عند التوسل إلى محصل الضرائب، أو عندما تقابل أهل زوجتك المستقبلية لأول مرة، أو عندما يكون المفر الأخير لتفادي مصيبة.

سار "بانزر" نحو "راكشنز" وهو يمد يده الخالية بينما يقطر المطر من طرف أنفه وتطرف عيناه بجنون. نظر "راكشنز" إلى يد "بانزر" الممدودة كغصن زيتونٍ للسلام، مد يده وصافحه من باب الأدب وليس الاحترام، وضع "بانزر" ذراعه حول كتف "راكشنز" كبادرة محبة وقاده إلى البيت، فجأة أخذ الرعد يهدر بتتابع ولحقته صواعق من البرق تشق السماء. قال "بانزر":

- فلندخل بسرعة قبل أن نموت من البرد.

دخلا الصالة ذات الأرضية المنقوشة، وقف "بانزر" عند طرف سيف الملاك "ميخائيل" بينما تمشى "راكشنز" عند رأس الشيطان. قال "بانزر" وهو يتجه إلى الحمام:

- مهلًا، سأحضر منشفتين.

انفتح باب وعبر "فينبار" الصالة ليذهب إلى الغرفة البيضاء، وفي طريقه ابتسم إلى "راكشنز" بخبثٍ بمعنى "خدعتك"، فنظر "راكشنز" إلى ابن عمه بوجهٍ خالٍ من التعابير.

عاد "بانزر" وناول "راكشنز" منشفة ثم قال بحماسٍ مصطنع:

- الأمور تسير على ما يرام، أليس كذلك؟

سار إلى الغرفة البيضاء وهو يجفف شعره دون أن ينتظر إجابة، وتبعه "راكشنز". كرر "بانزر":

- سألتك إن كانت الأمور تسير على ما يرام.

لم يرد "راكشنز" مجددًا، وهذا الدليل على التحدي لم يَغِب عن ذهن "بانزر".

جلس "فينبار" على إحدى الأريكتين وفي يده زجاجة بيرة. ذهب "بانزر" إلى دولاب المشروبات وفتح زجاجة كريستالية وقدم مشروبًا لـ"راكشنز"، لكنه رفض.

صب "بانزر" لنفسه نبيذًا جديدًا بدلًا من الذي أفسده المطر، وقال:

- اجلس.

جلس "راكشنز" على كرسي بجانب الأريكة الأخرى ونظر إلى النار، ساد صمتٌ ثقيل على الغرفة، أخذت الساعة الموضوعة على رف المدفأة تدق بصوتٍ عالٍ وتلتهم الوقت بلا رحمة مثل رجلٍ شره لا يعرف متى يتوقف عن الأكل.

قرر "بانزر" أن يبادر بالكلام:

- أعلم أنك تتساءل عما كان يفعله "فينبار" عند..

قاطعه "راكشنز":

- "النقطة واحد".

- نعم، نعم، "النقطة واحد". لقد أرسلته لكي..

- يتجسس علي.

قال "فينبار":

- أتجسس عليك؟!

هتف "بانزر" وهو يحرك الحطب في النار بالسيخ:

- اخرس يا "فينبار".

ثم قال لـ"راكشنز":

- أخبرني، لماذا قد أريد التجسس عليك؟

- من العجيب أن تسألني عن ذلك لأن هذا هو ما كنت أسأله لنفسي بالضبط.

أعاد "بانزر" سيخ المدفأة إلى مكانه ثم سار إلى النافذة ونظر عبرها.

قال "راكشنز" لنفسه: "لا يريد "بانزر" أن أرى وجهه وهو يجيب".

- كنت أحمي ظهرك.

"هراءٌ تام". وصل صبر "راكشنز" لأقصى حدوده، أشار إلى "فينبار" وقال لـ"بانزر":

- أرسلته ليحمي ظهري أنا؟ هل هذا أفضل عذر استطعت اختلاقه يا "بانزر؟ هل هذا ما لديك؟

توقع "بانزر" هجوم "راكشنز"، لكنه مع ذلك اندهش من شراسته، استدار وقال:

- اهدأ يا "راكشنز"، اهدأ، لا حاجة لـ..

قاطعه "راكشنز":

- لا حاجة لماذا؟ ألم نتفق على عدم إخباره بالعملية؟ أم أنا مخطئ؟

ثم نظر إليه بحدةٍ وكرر:

- هل أنا مخطئ؟

نظر "بانزر" لـ"راكشنز" بتحذير وجلس على كرسي، أدار كأس النبيذ ثم رفعها أمام النار وشرب رشفةً وقال برزانة:

- تعرف أنك لست كذلك.

- إذًا لماذا أخبرته؟
- لأنه ابني.
شعر "راكشنز" بالصدمة وقال بدهشة:
- لأنه ابنك؟! هكذا ببساطة؟ ألهذا أخبرته؟
- نعم، هذا هو السبب، إنه ابني؛ من حقه أن يعرف.
- لأنه ابنك؟
- نعم، اللعنة، نعم!
- مَن أيضًا من حقه أن يعرف؟ "جيك"؟ عمال الإسطبل؟ الحلاب؟ "بيج تايني"؟ الأمن الوطني؟ المخابرات؟
أخفض "بانزر" صوته وقال:
- لا تقل كلامًا فارغًا، وعلى كل حال، من أخبرك؟
- لم يخنك أحد وأخبرني.
لاحظ "بانزر" تمامًا أن "راكشنز" توقف عن مناداته بـ"زعيم".
واصل "راكشنز" الكلام:
- إليك معلومة عني؛ أنا لا أخبر أي شخص أنني سأسرق بنكًا ما دام ليس ضروريًّا إخباره بذلك، هذا هو السر لنجاح عمليات سرقة البنوك.
احمر وجه "بانزر" ومال للأمام في مقعده وقال:
- ما هذا؟ تعاليم القديس "راكشنز"؟ هل ستعطيني مواعظ في سرقة البنوك؟
رفع "راكشنز" إصبعه وقال:
- ليست مواعظ، لكن إليك هذا، أنا أفكر بسحب "المزارعين".
- تفكر بسحب "المزارعين"؟ منذ متى وأنت تعطي الأوامر هنا؟
- ومنذ متى تظن أنك تستطيع خداعي؟ منذ متى تظن أنه من حقك إرسال..
أشار إلى "فينبار" وهو يواصل:
- .. مغتصب الأطفال هذا لمراقبتي؟

نهض "فينبار" وكسر زجاجة البيرة على رف المدفأة ولوح برقبة الزجاجة في وجه "راكشنز" وقال:

- ناديني بـ"مغتصب الأطفال" مجددًا وسأريك أيها الحثالة! هيا، ناديني بـ"مغتصب الأطفال" مجددًا!

نهض "راكشنز" وقال لـ"فينبار" بتحدٍ:

- أنت مغتصب أطفال.

قال "فينبار" وهو يرفع رقبة الزجاجة أمامه:

- هل تريد هذا؟

أشار له "راكشنز" بأصابعه وقال:

- تعال يا مغتصب الأطفال، أرني أفضل ما لديك.

فرك "بانزر" يديه الخشنتين وهو يفكر. "لو استمر هذا الشجار، فـ"راكشنز" قادرٌ على إيذاء "فينبار"، عندها سيوقف العملية بالتأكيد، لن يفوز أحد، لا مجال للخداع، لا خيار لديَّ".

- "فينبار"، أبعد هذه الزجاجة عن وجه الرجل واخرج من هنا.

ظل "فينبار" يلوح بالزجاجة وهو يلهث ويزفر ثم قال:

- لكنه يا أبي..

- قلت اتركنا.

- لا، مستحيل، لقد دعاني بـ...

صاح "بانزر":

- اخرج يا "فينبار"! الآن!

خرج "فينبار" بوجهٍ غاضب وهو يتمتم وينفخ ثم صفق الباب خلفه بعنف.

أشار "بانزر" لـ"راكشنز" بالجلوس بجانبه على الأريكة، ففعل. تنهد "بانزر" بعمقٍ ثم نظر للسقف وقال:

- أنا متعبٌ.

رأى "راكشنز" أنه يبدو كذلك بالفعل.

سأله "بانزر":

- هل شعرت بالتعب من قبل؟

أجاب "راكشنز":
- أحيانًا.
وضع "بانزر" يده على ذراعه وقال:
- مؤخرًا أصبحت أشعر بالتعب طوال الوقت. أريدك أن تسمعني، ممكن؟
أومأ "راكشنز"، فواصل "بانزر":
- جيد. فكر بحرصٍ يا "راكشنز" قبل أن تقول شيئًا تندم عليه.
نظر "بانزر" إلى عيني "راكشنز" ولاحظ أن الغضب ما زال يستعر فيهما. واصل:
- أنا وأنت خاطرنا بالكثير لأجل هذه العملية، وسنخسر كثيرًا إذا انهارت.
قال "راكشنز" في سره: "استمر أيها العجوز، أزح الحمل عن صدرك وانهِ الأمر".
أحنى "بانزر" رأسه وقال:
- أنا..
"تبًّا، إنه يستعد للاعتذار"!
- ما كان عليَّ إخبار "فينبار" عن العملية، لكنني أخبرته قبل أن نتفق على عدم إخباره.
أخفض "راكشنز" رأسه وهزها وهو يقول:
- كان يعرف طوال الوقت إذًا؟ لماذا لم تخبرني عندما كنا نلعب الجولف على الجبل؟
- لو أخبرتك لألغيت العملية.
هم "راكشنز" بالاعتراض قائلًا:
- كنت ســـ...
- كنت ستلغي العملية تمامًا.
- أنت محق.
فتح "بانزر" فمه ليستنشق هواءً كثيرًا وكأنه على وشك قول شيءٍ مخالف لطبيعته:
- أنا آسف يا "راكشنز"، ما كان عليِّ خداعك.
زفر "راكشنز" وقال:
- لا بأس يا زعيم. هل ما زلت تعرض عليَّ مشروبًا؟
قال "بانزر" في سره: "عاد يناديني بالزعيم أخيرًا"، ثم رد عليه:

- بالتأكيد.
وذهب إلى دولاب المشروبات.
قال "راكشنز" بحزم:
- يجب أن يبتعد "فينبار" عني وعن كل أفراد العملية.
ناوله "بانزر" كأس نبيذٍ وقال:
- لا بأس معي بذلك.
أخذ "راكشنز" رشفةً صغيرةً ثم كرر:
- أنا جاد يا "بانزر"، العملية لا تحتمل أي أخطاء، فالمخاطرة كبيرة.
- قلت لا بأس معي بذلك.
ترك "راكشنز" كأسه وخرج إلى الصالة، فتبعه "بانزر".
قال له "راكشنز":
- لقد سألتني سؤالًا سابقًا، وإليك الإجابة، نعم، الأمور تسير على ما يرام.
- ظننت هذا بالفعل.
- كان عليَّ إخبارك بأمرٍ ما سابقًا يا زعيم؛ بعد هذه العملية سأعتزل.
قال "بانزر" بدهشة:
- أنت لست جادًّا بالتأكيد.
- "بانزر"، بعد هذه العملية سنتقاعد جميعًا، لن تعود الأمور كسابق عهدها أبدًا، انتهى الأمر، لقد عشنا أيام نجاحنا وانتهت، حان أوان توقفنا وأنا سعيدٌ بذلك.
- أنت لا تصدق هذا الكلام حقًّا، صحيح؟
- لم يبق لنا مكان نسطو عليه، ولن يملأ أي بنك أعيننا بعد الآن. عليَّ الذهاب الآن أيها الوغد العجوز.
تظاهر "بانزر" بأنه يلكم "راكشنز" في معدته وهو يقول:
- من هو الوغد العجوز؟!

فتح "راكشنز" الباب وركض إلى السيارة الشبيهة بسيارة الأجرة السوداء، ثم استدار وأدى تحية عسكرية لـ"بانزر"، فبادله "بانزر" بالمثل، ابتعد "راكشنز" بالسيارة وفكر في أمرٍ ما؛ لم يسأله "بانزر" أبدًا عن سبب مناداته لـ"فينبار" بـ"مغتصب الأطفال"! قال في سره: "أنت تعرف حقيقته، أليس كذلك؟".

13



قال "أمبروز بيبولز" وهو يغلق هاتفه:

– سنصل إليك بعد قليل.

إنه يقود مع "ديكلان" منذ ساعة. لا يحب "أمبروز" القيادة مع رهينة في المناطق الريفية أثناء الليل، لن يرتاح إلا مع انتهاء هذا الجزء من العملية.

– حسنًا يا "ديكلان"، إليك ما سيحدث، ستنتقل إلى سيارةٍ ثانية، عندما تخرج من هذه السيارة اخفض رأسك واتجه إلى مقعد الراكب في السيارة الأخرى، بمجرد أن تصل ارفع رأسك وانظر أمامك. مهما حدث إياك والنظر إلى السائق يا "ديكلان"؛ إن رجال الريف ليسوا مثل رجال المدينة مثلنا، فهم عصبيون وقساة.

توقف على جانب الطريق بجانب السيارة الثانية وقال:

– اذهب. تذكر ما أخبرتك به وسينتهي الأمر بسلام. بالتوفيق يا فتى.

"ها أنا ذاهب". تقدم "ديكلان" خطوتين ثم دخل إلى مقعد الراكب في السيارة الأخرى، نظر إلى السائق تلقائيًّا دون قصد، فزمجر قائلًا:

– إلام تنظر؟ انظر بعينيك اللعينتين إلى الأمام، وابق يديك في جيبك.

شعر "ديكلان" أنه سمع لكنة هذا السائق سابقًا لكنه لم يستطع ربطها بمنطقة محددة. تحركت السيارة، تشنج ظهر "ديكلان" بسبب رقوده في السيارة الأولى، لكنه لن يجرؤ على حكه.

قال السائق:

- يا رقم 1.

ارتبك "ديكلان" وسأل نفسه: "هل يتحدث إليَّ؟"، ثم أدار رأسه قليلًا نحوه لكنه تلقى ضربةً على وجهه من يد السائق الذي قال:

- تبًّا لك! ألم أقل لك أن تنظر أمامك؟ هل أنت أصم؟ ألا تسمع يا "باتلر"؟

قال "ديكلان" بخوف:

- لا يا سيدي.

- لماذا تستمر بالنظر إليَّ إذًا؟

لم يعرف "ديكلان" ماذا يقول.

- لم أقصد أن..

- اخرس! اخرس أيها القذر وإلا أوقفت السيارة وحطمت وجهك بمفك الإطارات، هل تريد ذلك يا "باتلر"؟

- لا يا سيدي.

- إذًا، افعل كما تؤمر.

رد "ديكلان" بخوف:

- نعم يا سيدي.

تكونت حبات العرق على جبينه وشعر بصدره يضيق.

بدأ السائق بالدندنة، وانتبه "ديكلان" للنغمة المألوفة لديه، إنه لحن "ديبرا" من فيلم "Once Upon a Time in America". شعر بالأسف على مفارقته للرجل الأول الذي أدرك الآن أنه من نوع الخاطف الاجتماعي، حتى إنه تمنى له التوفيق. من المضحك أن تفتقد خاطفيك.

واصل السائق كلامه السابق:

- يا رقم 1، هل انتهيتم من أمر أجهزة الاستشعار في البيت؟

أجاب "شايموس" الذي اتضح أنه في المقعد الخلفي للسيارة:

- نعم.
ثم مال للأمام وأسند ذراعيه على رأس مقعد "ديكلان" وقال:
- أهلًا يا "ديكلان".
رد "ديكلان" بتلعثم:
- أهلًا يا سيدي.
- تسعدني مقابلتك أخيرًا. هل ستكون شابًّا مطيعًا؟
- نعم يا سيدي.
- ممتاز. والآن استرخِ، سنصل خلال دقائق.

شعر "ديكلان" بالفضول، لكن ليس لدرجة أن يستدير وينظر خلفه. لقد انتبه عند ذكر "أجهزة الاستشعار" و"المنزل"، "أي منزل"؟ خطر على باله أن الخاطفين ربما يأخذونه لبيت "ليام دايفر" في "لوجشور"، وبهذا يجمعون الرجلين اللذين يملكان مفاتيح الخزنة وسيذهبان إلى البنك غدًا. "يا للدهاء! لكن كيف عرفوا كل هذه التفاصيل"؟ كغيره من العاملين في مجال البنوك، يعلم "ديكلان" أن وجود مفتاحين منفصلين للخزنة هي طريقة فعالة لإعاقة خطط لصوص البنوك، بما أنه لا يمكن لأحد المفتاحين فتح الخزنة بمفرده، فهذا يعني أن اللصوص مضطرون إلى حجز عائلتين كرهائن لأجل إجبار الموظفَين الأمينين على المفاتيح على تسليم المال، وبهذا تتضاعف فرص القبض عليهم، لكن قبل الوصول إلى هذه المرحلة يحتاج اللصوص إلى معرفة أي اثنين من الموظفين التسعة المؤتمنين على المفاتيح سيذهبان إلى البنك في المناوبة نفسها. "كيف عرفا أنني و"ليام" سنعمل غدًا؟ هناك طريقةٌ واحدة، لقد توصلوا إلى جدول المناوبات الأسبوعي! بالتأكيد". شهق "ديكلان" ليسحب بعض الهواء لأنه أحس بأنه يختنق. "يا إلهي! لديهم جاسوس بيننا، ما داموا يعرفون مناوبات العمل، إذًا هم يعرفون كل شيءٍ آخر". جلس معتدلًا في السيارة ونظر أمامه مباشرةً بينما يشعر بالخوف على نفسه وعلى عائلته، لقد تحققت أسوأ مخاوف "ديكلان باتلر" الشاب، إنه يتعامل مع لصوص بنوك محترفين، لم يعد يشك

الآن في أنهم سيقتلون عائلته حقًّا إن لم يتعاون معهم. ماذا قالت أمه؟ "الأمر يتعلق بالمال، لكنه ليس مالك". عندما يشعر الإنسان باليأس، تراوده الأفكار اليائسة بالتأكيد. "ما هو المال؟ ورق، مجرد قصاصات ورق. ما يهم هم البشر الذين من لحمٍ ودم، سأنجو من هذا المأزق، أقسم بأن عائلتي ستنجو".

أما "ستيفاني دايفر" فلم تكن متأكدة من نجاتها، تحدثت مع نفسها وحاولت أن تكون إيجابية: "كما قال ذلك القذر في المنزل، إنهم لا يحتاجونني، سينجو "ليام"، لن يقتلوه، ليس لديهم خيارٌ آخر". شعرت "ستيفاني" بالدموع تتجمع في عينيها، وارتجف جسدها بتنهيدة عميقة.

دخلت السيارة في طريق زراعي ضيق، وأخذت تتقافز وترتج وهي تسير في الطريق المتعرج، ثم أخيرًا توقفت. خرج الرجل النحيل وفتح الباب لـ"ستيفاني" ثم أخرجها من السيارة، قادها إلى مبنى ثم أجلسها على أريكة جلدية قديمة فيها ثقوب في مسنديها، بعد ذلك أشعل مصباح غاز.

تربت "ستيفاني" في مزرعة، لذلك ميزت رائحة قشٍّ رطب وسماد طبيعي، قالت في سرها: "كان يوجد هنا أبقار". هناك أيضًا رائحة خفيفة لفضلات حصان، إنها في كوخٍ صغير. ارتدى الرجل النحيل قناعًا ثم أزال اللاصق عن عينيها، شعرت ببعض الألم ثم طرفت عينيها بضع مرات، ناولها قطعة قماش مبللة وقال:

- خذي يا سيدتي، امسحي عينيكِ بهذه.

- شكرًا.

ثم أخذت قطعة القماش ومسحت عينيها بينما تصطك أسنانها رغمًا عنها.

قال الرجل النحيل:

- أرجعي ظهرك للوراء وحاولي أن تسترخي يا سيدتي.

أرجعت ظهرها للخلف على الأريكة القديمة ولفت ذراعيها حول نفسها طلبًا للدفء، يبدو أنها في حظيرةٍ قديمة، رأت على الضوء الخفيف في الركن المقابل

لها جزءًا من السقف المتعرج ساقطًا على الأرض، وكانت خيوط العنكبوت وفضلات الطيور منتشرة عليه وكأنها تزينه.

هناك طاولة صغيرة أمام "ستيفاني"، وعليها ورقة ونوتة وظرف وقلم. قال الرجل النحيل:

- انقلي المكتوب في هذه الورقة بالضبط.

قرأت "ستيفاني" الورقة ثم رفعت القلم وبدأت تكتب، عندما انتهت أخبرها أن تكتب اسم "ليام" على الظرف. أخذ الرجل النحيل النوتة والقلم والظرف وقارن الرسالة الأصلية بما كتبته "ستيفاني". طوى الرسالة برضا ووضعها في الظرف ثم وضعه في جيب معطفه الداخلي، بعد ذلك ناول "ستيفاني" بطانية وقال:

- حاولي النوم يا سيدتي، فغدًا سيكون يومًا طويلًا عليكِ.

💰💰💰

النوم هو آخر ما كان يفكر فيه "بيلي كيلي" وهو يطرق على باب غرفة 705 في فندق "يوروبا" في بلفاست. أدخله "راكشنز" ثم سارا إلى غرفة النوم، هناك دستة من الهواتف على التسريحة.

قال "بيلي":

- سيطرنا على الجميع والأمور تسير على ما يرام.

قال "راكشنز":

- رائع يا "بيلي"، متى ستحضر "شاحنة السرقة"؟

ضحك "بيلي" وقال:

- "شاحنة السرقة"؟ يعجبني هذا التعبير. غدًا صباحًا.

- هل ستقودها بنفسك؟

- نعم، سأقودها عبر الحدود، لكن "بيج أمبروز" سيقود معظم الطريق بعد ذلك.

- لكنك ستكون معه، صحيح؟

- بالطبع.

- ممتاز، إن سار الأمر كما خططت، فمن المتوقع أن تقوم بثلاث نقلات.

صفر "بيلي" بانبهار وهو يقول لنفسه: "ثلاث نقلات من المال؟ ثلاث؟ أتساءل كم سيكون مقدار كل نقلة، بالتأكيد ما يكفي للدفع لنا جميعًا". ثم سأل:

- هل أنت جاد؟

- نعم.

ارتدى "راكشنز" معطفه وسار إلى الباب ثم قال:

- فكرت في أن هذا الخبر سيسعدك.

- المال دائمًا يسعدني، وكلما زاد، زادت سعادتي.

قال "راكشنز" وهو يمسك مقبض الباب:

- كلنا كذلك.

قال "بيلي":

- ما سر هذه العجلة؟

نظر إليه "راكشنز" وقال:

- عليَّ أن..

- انتظر يا "راكشنز".

اندهش "راكشنز" من نبرة "بيلي" الغريبة.

- لقد قابل "بانزر" "تايني مردوخ" في ميناء "ماكيلان" منذ بضعة ليالٍ.

- ماذا؟ من أخبرك بهذا؟

- "فلوتر دويل".

- وكيف عرف "فلوتر"؟

- ابن أخيه "جوزيف" كان هناك.

- في الاجتماع؟

- لا، "بانزر" و"تايني" كانا في سيارة "تايني"، لكن "جوزيف" كان يحوم بالقرب منهما.

- تبًّا.

عاد "راكشنز" إلى الغرفة وأمال رأسه وظهر الشك على وجهه. سار إلى النافذة ووضع يديه خلف ظهره.

- أعرف "جوزيف"، متى انضم إلى الجيش الجمهوري؟
- في العام الماضي. أخذه "تايني" تحت جناحه، إنه شابٌّ طيب.

استدار "راكشنز" وقال:

- هل تظن أن "بانزر" كان يخبر "تايني" عن عمليتنا؟

هز "بيلي" كتفيه وقال:

- لا أعرف، ما كان ليفعل هذا، ماذا سيستفيد؟
- "بيلي"، السؤال ليس "ماذا سيستفيد؟" بل "ماذا سيخسر؟". يفعل الناس الكثير من الأمور التي يكرهونها طوال الوقت، يعتمد الأمر على منظورك. الأشخاص الذين يساعدونا على سرقة البنك لا يريدون أن يكونوا طرفًا في السرقة أصلًا، لكنهم مجبرون على مساعدتنا لأننا نهددهم بما يهمهم أكثر من البنك. لكي تجبر شخصًا على طاعتك، كل ما عليك فعله هو أن تضغط على ما يهمهم.

قال "بيلي":

- أظنك على حق، لكن لا أظن أن "بانزر" أخبر "تايني" عن العملية. أعني، نحن نتحدث عن "بانزر أوهاري"، هذا ليس من طبعه.

نظر "راكشنز" إلى الأرض بتفكيرٍ عميق، ثم أومأ وقال:

- أنت محق على الأرجح. ربما.. ربما أحتاجك بعد إتمام العملية.

سأله "بيلي" بدهشة:

- بعد العملية؟! ما معنى هذا؟
- أنا ألتزم الحذر ليس إلا.
- أنت تشك في حدوث خدعة، أليس كذلك؟
- أنا لا أشك في أي شيء، لكنني أحب أن أكون مستعدًا لكل شيء.
- لذلك تتخذ بعض الاحتياطات.

أومأ "راكشنز" وقال:

- إن أعطيتك الأمر، تجهز بالأسلحة.

- سأحمي ظهرك كالمعتاد.
- اخرج خلفي بعد خمس دقائق.
أمسك "بيلي" مرفق "راكشنز" وسأله:
- هل "أمبروز" معنا أم لا؟
- سأبلغك حين أعرف.
- قلت إنك ستعتني بي، صحيح؟
توقع "راكشنز" هذه اللحظة، فابتسم ورد عليه:
- تمامًا.

توقفت السيارة التي تنقل "ديكلان" خارج بيت "ليام دايفر"، قال "شايموس مكان" لـ"ديكلان":
- هل تعرف من يسكن هنا؟
- نعم يا سيدي.
- إذًا فهمت ماذا يحدث الآن؟
- نعم يا سيدي.
- عندما تخرج من السيارة سر إلى باب المنزل، اخفض رأسك وضع يديك في جيبك.
- حسنًا يا سيدي.

خرج "ديكلان" من السيارة وذهب، بمجرد أن دخل البيت أداره أحد رجال العصابة وربط يديه خلف ظهره ثم قاده إلى غرفة نوم وأمره بالوقوف في الركن.

سمع "ديكلان" شخصًا يغادر الغرفة، لكنه لم يعرف إذا بقي فيها شخصٌ آخر أم لا. أخذ ينقل وزنه من قدمٍ لأخرى.
أمره صوتٌ من خلفه:
- قف ثابتًا.
- سيدي، أحتاج إلى دخول الحمام.
- لا.

تحمل "ديكلان" وصبر إلى أن انهار وتبول مكانه حيث يقف بينما تجمعت الدموع في عينيه المرهقتين.

قال له الرجل الذي خلفه:

- كفى نحيبًا.

قال "شايموس مكان" لرجل العصابة وهو يضبط القناع على وجهه:

- أحضره إلى هنا.

جذب رجل العصابة "ديكلان" من عنقه وأخذه إلى غرفة نومٍ أخرى ثم دفعه إلى سريرٍ بجانب "ليام دايفر".

قال "شايموس" وهو يخرج من الغرفة ويمر برجل عصابة يقف حارسًا:

- أخبره أن يتوقف عن التبول وإلا سيتأذى.

قال "ليام" بحدة:

- تمالك نفسك يا "ديكلان"!

تنفس "ديكلان" بعمق وبدأت تهدأ دموعه ثم قال:

- لقد سيطروا على بيتنا أيضًا يا "ليام"، لقد احتجزوا أمي وأبي..

- لقد أخذوا "ستيفاني" أيضًا.

- إلى أين؟

قال "ليام" بغضب:

- وكيف لي أن أعرف؟! سامحني يا "ديكلان" أنا فقط..

عاد "شايموس" وقال:

- اسمعا يا أولاد، سيأتي رجل ليتحدث إليكما، سيخبركما بما يريد أن تفعلاه، عليكما الاستماع جيدًا لأنها فرصتكما الوحيدة في النجاة، حياة عائلتيكما تعتمد على تنفيذكما لأوامره حرفيًّا، هل تفهماني؟ "ليام"؟

- فهمت.

- "ديكلان"؟

- فهمت يا سيدي.

قال "مكان":

- ممتاز. آسف بشأن الحمام يا "ديكلان"، ما كان يجب أن يحدث هذا. استرخيا، سيصل الرجل قريبًا.

14



نظر "راكشنز" وهو في سيارته إلى بيت "دايفر" الذي بدا شديد الهدوء، أغلق هاتفه ووضع حبة نعناعٍ في فمه قبل أن يرتدي قفازًا طبيًّا خفيفًا، خرج من السيارة وهو يحمل قناع "V for Vendetta" ثم سار إلى باب البيت وهو يخفض رأسه، بمجرد أن دخل البيت وضع "راكشنز" القناع على وجهه بخفة، واستقبل تحية "شايموس مكان" في الصالة.

سأله "راكشنز" همسًا:

- كيف هما؟

- خائفان، لكن سيصمدان. تعال.

أشار إليه بأن يتبعه إلى الغرفة لكن "راكشنز" وضع يده على ذراع "مكان" وهز رأسه نفيًا وهو يقول:

- سأدخل وحدي.

تراجع "مكان" بصدمة لكنه تمالك نفسه فورًا وقال:

- فهمت. إن كان هذا ما تريده.

ثم انحنى بشدة وهو يشير بيده إلى الغرفة بأسلوبٍ مسرحي لكي يدخل "راكشنز" وينتهي من الأمر.

أغلق "راكشنز" الباب خلفه ووضع كرسيًّا أمام الرجلين المحتجزين وجلس ينظر إليهما بتمعن. لم يشعر الرجلان بالراحة أمام نظرات قناع

"Vendetta"، فتلك الابتسامة الخبيثة الملتوية تخيف "ديكلان"، أما بالنسبة إلى "ليام"، فشعر أن نظرات صاحب القناع تقول: "لا يمكنك الاختباء مني، أستطيع قراءة أفكارك". وضع "راكشنز" يده في جيبه وأخرج رسالتين، فتح الأولى وفردها أمام "ليام" وقال:

– هل يمكنك أن تقرأها من فضلك؟

أومأ بطاعة.

عزيزي "ليام"..

لقد سمحوا لي بكتابة رسالةٍ قصيرةٍ لك يا حبيبي. أدعو لك في كل ثانية لكي تتماسك. "ليام"، أنا مقتنعة بأن محتجزينا صادقون فيما يخص سلامتنا في حال تنفيذك الأوامر، أصدقهم حين يقولون إن حياتي بين يديك، وإنهم سيقتلونني إن عصيتهم. أعلم أنك لن تعصيَهم وتخاطر بحياتي، كما أعلم أن حبنا سيساعدنا على تجاوز هذه المحنة، وسنكون أقوى من أي وقتٍ مضى.

أحبك للأبد.

"ستيفاني".

دق قلب "ليام" بعنف مثل الطبلة بينما يمسح دمعة فرت من عينه. أبعد نظره وقال:

– أين هي؟

قال "راكشنز":

– إنها بأمان.

– هل أنت الزعيم؟

– نعم.

نظر "ليام" إلى "راكشنز" مباشرةً وقال:

– أؤكد لك يا سيدي أنني سأخضع لك تمامًا.

قال "راكشنز" في سره: "تخضع؟ يا لها من كلمة قوية". صمت قليلًا ثم رد عليه:

- أعلم.

ارتبك "ليام" بسبب تعارض الصوت الهادئ مع هذا القناع الذي يرمز إلى التمرد، لقد أدرك فورًا أن هذا الرجل يحب المؤثرات البصرية والدرامية، على الأرجح لديه ميول مسرحية. "إنه بالتأكيد منتج ومؤلف هذا العرض، ليس هذا وحسب، بل إنه ليس عرضه الأول بالتأكيد".

أظهر "راكشنز" رسالة "ديكلان" أمامه وقال:

- اقرأ هذه من فضلك.

- نعم يا سيدي.

عزيزي "ديكلان"..

هذه هي أصعب رسالة أكتبها في حياتي، لأنني أعرف أنك في ورطةٍ كبيرة وتحت ضغطٍ رهيب، لا تقلق علينا يا بني؛ إنهم يحسنون معاملتنا. لقد هدأت أمك و"كايت"، إنهما في السرير، لكنني أشك في أنهما ستنامان. بني، لقد قلتها لك قبل مغادرتك وسأقولها مجددًا للتأكيد، نفذ أوامر هؤلاء السادة حرفيًّا، لا تتساءل ولا تعترض، افعل ما عليك فعله وحسب. نريدك أن تعود إلينا سالمًا، حياتك هي ما تهمنا.

عليَّ الانتهاء من الكتابة الآن يا بني. ارفع معنوياتك، نحن نفكر بك وندعو لك. كن قويًّا يا "ديكلان".

أحبك يا بني.

والدك.

طوى "راكشنز" الرسالتين وأعادهما إلى جيبه بينما بكى "ديكلان". شعر "راكشنز" بالشفقة نحو الشاب، قال في سره: "أفرغ ما بقلبك يا فتى، أحسنت، أفرغ كل انفعالك".

من وجهة نظر "ليام" و"ديكلان"، ستنفتح أبواب الجحيم وستعم الفوضى، لكن الحقيقة غير ذلك؛ إن كل صفعة أو لكمة أو إهانة غرضها السيطرة على استجابتهما وإجبارهما على طاعتهم دون تفكير، ليكونا مثل الجنود أثناء تأدية العرض العسكري.

قال "راكشنز":

- هل نبدأ؟ هل أنت بخير يا "ديكلان"؟

- نعم، نعم أنا بخير. شكرًا يا سيدي.

- حسنًا.

أخرج "راكشنز" هاتفين من جيبه وناول كلًّا منهما واحدًا ثم قال:

- الشخص الوحيد الذي يعرف رقم هذين الهاتفين هو أنا، سأتصل بكما وأراسلكما غدًا بينما تعملان. ناديانى باسم "جاك".

أومأ الاثنان.

- خلال مكالماتي أو رسائلي سأسألكما أسئلة، وستكون معظم إجاباتها بنعم أو لا. إن احتجتكما لشرح شيءٍ ما فتأكدا من أنه لا أحد يسمع المكالمة أو يقرأ الرسالة. كونا مبتسمين وسعيدين بينما تتحدثان معي، لا تكذبا عليَّ، لا تتصلا بأي شخص من هذين الهاتفين.

شعر "ليام" بانبهارٍ غريب نحو "راكشنز"، لكنه لم يعرف ما الذي بَهَره بالضبط. قال في سره: "أنت تجيد إعطاء الأوامر يا "جاك"، هذا أكيد، ومن الواضح أنك معتاد على الطاعة".

قال "راكشنز":

- هذا سهل، صحيح؟

رد "ليام":

- نعم.

أومأ "ديكلان".

- أظن أنكما بحاجةٍ إلى معرفة لمحة بسيطة عن مدى ذكائنا. أنتما من ضمن أمناء المفاتيح التسعة في المقر الرئيسي للبنك الوطني، هذا يعني أنكما بهذه المفاتيح تملكان حق الدخول لكل أقسام البنك، وبخاصة الخزنة. "ديكلان"، لم تكن مناوبتك غدًا، لكنك تبادلت مع زميلك لسوء حظك وحسن حظنا، بعد غد لن يكون هناك أمناء مفاتيح لأنه سيتم وضع نظام أمني جديد. وأنت يا "ليام"، لقد ولوك مسؤولية جمع كل المفاتيح، لكن عندها سيكون قد فات الأوان لخطتنا.

عبس "ديكلان" بينما يضربه كلام "راكشنز" كالقنبلة. "هذا الرجل لا يتحدث دون تفكير، لماذا قال لسوء حظي وليس لسوء حظنا نحن الاثنين؟ ما الذي يفهمه ولا أفهمه أنا؟ يا للهول! كيف فاتني ذلك؟ لأنني بادلت مناوبتي مع زميلي ستظن الشرطة أنني الجاسوس؛ انتهى أمري! سأدخل السجن بعد هذه العملية ولن أخرج أبدًا"!

وضع "ديكلان" يده على فمه، فقال "راكشنز":

- إياك أن تتقيأ عليَّ.

ارتجف "ديكلان" لكن لم يحدِث شيئًا، فسرعان ما هدأ وفتح فمه ليتكلم لكنه أغلقه مجددًا. لوح "راكشنز" بيده ليحثه على الكلام.

قال "ديكلان":

- الأمر فقط هو... إن سمحت لي بالسؤال... كيف عرفتم أنني تبادلت مناوبتي مع زميل؟

ابتسم "راكشنز" لأنه كان بانتظار هذا السؤال، ثم رد:

- بنفس الطريقة التي سأعرف بها كل تحركاتك في البنك غدًا.

قال "ليام":

- هل يمكنني أن أسأل سؤالًا؟

- تفضل.

- كيف ستخرجون المال؟

- هذا سهل، أنتما ستخرجانه لي.

بدأ "ديكلان" يحسب بالفعل المدة التي سيقضيها في السجن، افترض أنه كلما كبر مبلغ السرقة، طالت مدة سجنه. قال:

- هل لي بسؤالٍ أخير؟

- سؤال أخير فقط.

- كم المبلغ الذي تتوقع الحصول عليه؟

- كله.

استدار "ديكلان" إلى جانب السرير وأخذ سلة القمامة وتقيأ فيها.

عندما هدأ بما يكفي ليستعيد تركيزه، قال "راكشنز":

- والآن سنتحدث عن نظام الأمن الداخلي.

وضع "راكشنز" إصبعه على أنف القناع وقال:

- لنبدأ بالخط الساخن السري الخاص بالضحايا الواقعين تحت سيطرة لصوص البنوك. هشش! لا يجب أن يعرف الدخلاء هذه المعلومة. بعد ذلك سنتحدث عن التسعة عشر موظفًا الذين سيعملون غدًا، بعد ذلك سأخبركما كيف ستخرجان المال من خلال أبواب الأمن ثم منطقة التحميل. تبدو مندهشًا يا "ليام".

- بصراحة أنا مندهشٌ بالفعل يا "جاك".

- لا تكن إذًا. أنا أعرف كل شيء، أعرف أنك لن تستخدم ذلك الخط الساخن.

- أعدك بذلك.

- هذا في مصلحتي. بالمناسبة، عندما ذهبت لأخذ رسالة "ستيفاني" أخبرتني أن أبلغك بـ... لا أظنك تريد أن تعرف.

- بل أريد، من فضلك، ماذا قالت؟

لوح "راكشنز" بيده وكأنه يراجع نفسه قبل أن يقول:

- قالت: "أخبر زوجي أنني أحبه". إنها فتاة جميلة.

قال في سره: "إنها فتاة جميلة؟ تفكر في جمال زوجتي؟". اقشعر "ليام" من القوة الكامنة في كلام "راكشنز". قال:

- نعم إنها كذلك. هل هي بخير؟

- بدت أنها في خير حالٍ. ماذا عنك يا "ديكلان"؟

- لن أتصل بأحد يا سيدي.

غادر "راكشنز" منزل "دايفر" دون أن يقول وداعًا لـ"ليام" و"ديكلان"، وأيضًا لم يفعل ذلك "شايموس مكان" ورجاله عندما غادروا في السادسة إلا ربع وتركوا "ليام" و"ديكلان" خلفهم. قبل رحيلهم مسح رجال العصابة كل الشقة بمطهر ومنظف، حتى آثار أقدامهم وهم يغادرون. غادر "راكشنز" قبلهم بوقتٍ طويل.

في السابعة صباحًا ركب "ليام" و"ديكلان" في سيارة الأول وذهبا إلى العمل في وسط مدينة بلفاست. ضبط "ليام" مرآة الرؤية الخلفية ونظر فيها.

قال "ديكلان":

- آسفٌ على انهياري في البيت يا "ليام"، أنا فقط..

- لا داعي للشرح، كدت أنهار عدة مراتٍ أنا أيضًا.

- ذلك الرجل "جاك" يبدو ملمًّا بكل شيء.

- لقد صدمتني معرفته بنظام البنك الداخلي.

- وأنا أيضًا. أعلم أنه لص بنوك من النوع الذي يحتجز رهائن ليجبرك على تنفيذ مطالبه، لكنه بدا لي رجلًا محترمًا، أعني من النوع الذي يمكن أن تصاحبه وتخرج للشرب معه.

استدار "ليام" إلى "ديكلان" ببطءٍ والغضب بادٍ على وجهه ثم قال:

- النمور لا تظهِر أنيابها قبل الهجوم يا "ديكلان"، ذلك الحيوان قال إن "ستيفاني" جميلة جدًّا، ماذا تفهم من هذا؟

زعزعت نبرة "ليام" الثقة في "ديكلان". قال:

- لا أعرف.

- إنه تهديد، ألم تفهم؟

- ظننته يجامل "ستيفاني" وحسب.

- يجاملها؟ لماذا قد يجامل زوجتي أثناء قيامه بعملية خطف وسطو؟! لأنه يحبني مثلًا؟ لأنه يريد الخروج للشرب معي بعد انتهاء الموقف؟ ألم يخطر ببالك أن ذلك الوغد هو الزعيم الذي جلب هذه المصيبة علينا؟ هو ولا أحد غيره، ولا حتى هؤلاء الحمقى في البيت.

نظر "ليام" في مرآة الرؤية الخلفية مجددًا. لم تظهر سيارات خلفه بعد.

- إن رجاله يحتجزون عائلتك يا "ديكلان"، ما الذي يجعلك تظنه محترمًا؟

شعر "ديكلان" بالحرج، يعرف أنه يتعرض للتوبيخ الآن وهذا يؤلمه. قال:

- لا أظنه رجلًا لطيفًا..

- كدت أصدق ذلك.

- قلت فقط إنه يبدو محترمًا، لكن لم أقل إنه كذلك بالفعل.

- في هذه الحالة لا أرى الفرق بين أن يبدو كذلك أو أن يكون كذلك بالفعل.

لوهلةٍ فكر "ديكلان" في أن يرد على توبيخ "ليام" ويقول إنه لا يحق له تفسير كلامه على هواه، ويذكره بأنه ليس الوحيد الذي عائلته في خطر، لكنه غيَّر رأيه وقال:

- هل أخبرتك أن هؤلاء الملاعين في بيتي عرفوا اسم عائلة أمي قبل الزواج، وأن أول بيت عاشت فيه مع أبي كان في حي "بيتشماونت"؟ إنهم يعرفون أن أبي كان يعمل في الميناء قبل أن يعمل في ورشة "كوري" للأخشاب. لقد تحدث معه رئيس الرجال وكأنه صديقه العزيز.

قال "ليام" وهو يواصل النظر في المرآة الخلفية:

- هذا لا يفاجئني على الإطلاق، أصدق كلام "جاك" بخصوص مراقبته لنا. ربما أحد أصدقائنا في البنك جاسوسٌ له وسيبلغه بكل تحركاتنا، لن نعرف ذلك وقتها، لكن أؤكد لك أن "جاك" سيراقبنا وسيعرف إذا انهرنا.

قال "ديكلان":

- أخبرك الآن يا "ليام" أن الانهيار ليس خيارًا متاحًا لي، فنجاة عائلتي أهم من أموال البنك.

رد "ليام":

- يسعدني سماع ذلك منك.

- وأنا أيضًا.

تمتم "راكشنز" بالجملة الأخيرة وهو يتنصت على حديثهما، إنه يقود خلفهما بربع ميل، لقد اتصل بأداة التنصت التي زرعها "شايموس مكان" تحت كرسي السائق في سيارة "ليام".

قال "ليام":

- لا مجال للحزن والبكاء اليوم يا "ديكلان"؛ لدينا بنك لنسرقه.

ابتسم "راكشنز" وقال في سره: "مرحبًا بك في فريق "راكشنز" يا "ليام"".

💰💰💰

حل صباحٌ مشرق بسماءٍ صافية في جنيف، صب "سيرجي" لنفسه كأسًا من عصير البرتقال الطازج، ونظر عبر نافذة المطبخ، لمح طائرتين تلمعان في السماء ثم رن هاتفه ورأى على شاشته كلمة رقم مجهول، فقال في سره: "ها قد بدأنا!".

قال "راكشنز":

- صباح الخير.

قال "سيرجي":

- أظنك لم تنم أصلًا، صحيح؟

- كانت ليلتي حافلة يا صديقي. ما حال الجو عندك؟

- بارد لكن مشرق والسماء صافية، كما يجب أن تكون.

- يسعدني سماع ذلك، الجو هنا بارد وعاصف، كما يجب أن يكون أيضًا، لكن النشرة الجوية تقول إن الجو غدًا جميل.

هدأت أعصاب "ليام دايفر" قليلًا وهو يقود في أرجاء بلفاست وسط هذا المأزق الصعب. وفقًا لتعليمات "راكشنز"، توقف لينزل "ديكلان" قبل البنك بقليل. رن هاتف "ليام" بينما يخرج "ديكلان"، فأجاب بسرعة وأدخل "ديكلان" رأسه عبر النافذة ليسمع المكالمة.

تجاوزهما "راكشنز" بالسيارة وقال:

- جيد، أرى أن "ديكلان" يستمع إلى المكالمة أيضًا.

نظر "ليام" حوله، لكن لم يلمح "راكشنز".

قال "راكشنز":

- لا تنسَ، فليدخل "ديكلان" البنك أولًا؛ لا أريد لأي شخص أن يظنكما متآمرين على شيء.

- فهمت يا "جاك".

- هل تسمعني يا "ديكلان"؟

- نعم يا "جاك".

قال "راكشنز" قبل أن يغلق الخط:

- كونا لطيفين وهادئين، قوما بعملكما بصورةٍ عادية، لن يحدث شيء إلا لاحقًا.

أراح "ليام" مرفقيه على المقود وفرك رأسه ثم نظر إلى "ديكلان" وسأله:

- كيف رآك "جاك" وأنت تستمع إلى المكالمة؟

- لا أعرف.

بدأ "ليام" يبحث بين لوحة العدادات عن كاميرا خفية.

راقبهما "راكشنز" من سيارته، رأى "ديكلان" يرفع ياقة سترته ويدخل إلى البنك بتلقائية حاملًا على كتفه حقيبته الكبيرة تحمل شعار نادي "أستون فيلا"، ابتسم "راكشنز" وتساءل: "هل "ديك" يصفر؟ يا إلهي، إنه يصفر

بالفعل. يبدو مجرد رجل سعيد يصفر وهو في طريقه إلى العمل، أو في طريقه ليسحب مالًا كثيرًا. أنت فتى مطيع يا "ديكلان"".

المجرم المحترف "راكشنز" سعيد بمجريات الأمور، تسير العملية دون رصاص أو شبهات، وتأكد أيضًا أنه ليس مراقبًا من الجيش الجمهوري أو الشرطة. انتهت المرحلة الأولى على ما يرام، والمرحلة الثانية جارية الآن.

قاد "بيلي كيلي" الشاحنة التي سيحملون فيها الغنيمة عبر الطرق الجانبية باتجاه بلفاست، إنها شاحنة نقل مغلقة بيضاء من طراز "رينو"، حمولة سبعة طن ونصف. أظهر عداد السرعة أنه يقود بسرعة أربعين ميلًا في الساعة، وقف شرطي بجانب موتوسيكل وهو يوجه مقياس السرعة نحو السيارات القادمة نحوه. أرجع "بيلي" ظهره إلى الوراء ثم تجاوز اللجنة ولاحظ أن الشرطة لم تطارده، فارتاح نفسيًّا وتفاءل بشأن العملية.

سار "ديكلان" بقلق نحو مدخل البنك وهو يشعر بأن جسده خالٍ من الطاقة وساقيه تعجزان عن حمله. وقف عند الباب واستدار ونظر حوله، ثم رن هاتفه.

- مرحبًا.

رد "راكشنز":

- ما الأخبار؟

وقف "ديكلان" جانبًا وقال:

- لا شيء.

- هل تشعر بالتوتر؟

- بالرعب.

طمأنه "راكشنز" قائلًا:

- هذا ليس سيئًا، فقط قل لنفسك إنك ستعمل كالعادة. الأمر بسيط.

- أنا محطم يا سيدي، أشعر أنني سأذهب إلى السجن.

قال "راكشنز" لنفسه: "هذا صحيح، ستدخل السجن بسبب رغبتك في الحفاظ على حياة عائلتك". ثم قال له بهدوء:

- اسمع يا "ديك"، خذ نفسًا عميقًا وادخل البنك وكن سعيدًا، هذا كل ما عليك فعله، ستكون بخير.

- لكن لا أظنني سأكون كذلك.

"كنت أعرف أن هذا الحقير سينهار، كنت أعرف، حان وقت بعض الشدة".

- اسمع أيها المعتوه، التفكير ليس من اختصاصك، نفذ حرفيًّا ما أطلبه منك وقتما أطلبه وإلا سأرسل لك رأس والدك في طردٍ خاص. هل فهمت؟

- نعم يا سيدي.

- والآن تمالك نفسك.

- حسنًا يا سيدي.

- أنا أراقبك يا فتى، أراقب كل خطواتك أيها اللعين.

- أعلم يا سيدي.

- هل أنت مستعدٌ لذلك؟ من الأفضل أن تكون وإلا أقسم أن...

- أنا مستعد يا سيدي، أنا مستعد.

- ادخل البنك وافعل ما عليك فعله.

- كما تأمر يا سيدي.

قال "راكشنز" في سره: "بالضبط، كما آمر، أنت تدخل جحر الثعبان لإنقاذ عائلتك يا "ديك"، لا عيب في ذلك".

سعل "ديكلان" ونظف أنفه ثم سار بقوةٍ إلى البنك، عندما دخل ابتسم إلى موظفة الاستعلامات بينما يمر عبر الباب الأمني الخاص بمنطقة الموظفين.

بعد بضع دقائق وصل "ليام" حاملًا حقيبة أوراقه، قال وهو يسير إلى مكتبه:

- صباح الخير يا "ماريا"، صباح الخير يا "توم"، وأنت أيضًا يا "ديكلان".

رد "ديكلان" مبتسمًا:

- صباح الخير يا "ليام".

قال "ليام" بحدة:

- لا أعرف علام تبتسم يا "ديكلان".

انتفض قلب "ديكلان" وسأل نفسه: "تبًّا، ماذا يقصد بكلامه؟".

- تعرض فريقك للهزيمة على يد فريق "برمنجهام سيتي" بنتيجة 2 – 1. ألا يمكنك أن تشجع فريقًا قويًّا يا "ديكلان"؟ لا يشجع فريق "فيلا" إلا الحمقى.

- حاذر، فأبي يشجع "فيلا" أيضًا كما تعلم، نحن مخلصان للنهاية.

رد "ليام" في سره: "بالطبع أنت كذلك يا "ديكلان"، الإخلاص للعائلة هو ما سيساعدنا على الخروج من هذا الكابوس اللعين".

فتح "راكشنز" باب شقته ورمى نفسه على الأريكة، ثم أخذ هاتفه واتصل بـ"ليام".

- مرحبًا.

قال "راكشنز":

- إنه أنا، اطمئن وحسب. كيف حالك يا صديقنا الصغير؟

- عظيم.

- ذلك الموظف في مكتب استعلامات الطابق الأول، اسمه "روجر هول"؟

- ماذا؟

- إنه وغدٌ عابس، أليس كذلك؟ لا يجيد التعامل مع العملاء.

قال "ليام" في سره: "هذا يعني أنك كنت هنا، أليس كذلك يا "جاك"؟ وتعرف اسم "روجر" أيضًا؟ يا لكم من أوغاد بارعين!"، ثم رد عليه:

- أحيانًا يكون فظًّا.

- هذا ليس من شأني، لكن لو كنت مكانك لحاولت التخلص منه. كيف حال جاسوسي؟

- جاسوس؟ هل قلت جاسوس؟

قال "راكشنز" بالإيطالية:

- إلى اللقاء.

ثم خلع سترته الجلدية بإرهاقٍ شديد وخلع حذاءه بقدميه ثم أغمض عينيه ونام.

أغلق "ليام" الهاتف بعد مكالمة "راكشنز" ونظر إلى الموظفين عبر زجاج مكتبه. "لا بد أن "جاك" وضع جهاز تنصت في سيارتي". سارت "بيتي دين" أمامه وابتسمت له. "هل أنتِ الجاسوس يا "بيتي"؟ هل تعطين المعلومات لـ"جاك"؟ هل وعدك بعمولة كبيرة؟". يجلس "إيدي برانيف" على مكتبه المقابل لمكتب "ليام" ويتحدث في الهاتف. "مع من تتحدث يا "إيدي"؟ مع "جاك"؟ ما الذي تخبره به؟". استدار "روجر هول" ببطء ونظر إلى "ليام". "ما الذي تنظر إليه يا "روجر"؟ هل ترسل إليَّ رسالة تحذيرية؟ لم تكن أبدًا راضيًا بحالك هنا. هل وعدك "جاك" بمبلغٍ ضخم؟".

استيقظ "راكشنز" فزعًا. "ماذا؟ أين أنا؟". زفر بقوةٍ وفرك وجهه بيده، لقد أيقظه رنين هاتفه. رد بتعب:

- نعم؟

أجابه "بانزر":

- كان من المفترض أن نلتقي.

- حقًّا؟

- ما الأمر؟ هل أنت بخير؟

رد "راكشنز" وهو يتثاءب:

- بخير؟ نعم، نعم، لقد غفوت قليلًا وحسب. أعطني عشرين دقيقة، اتفقنا؟ أحتاج إلى أن أستفيق وأجهز.

- اجعلها ساعة؛ سأركض قليلًا.

- أراك لاحقًا.

أغلق "راكشنز" الخط وأغمض عينيه، يريد النوم لكن هناك بنكًا ليسرقه.

في كنيسة "أور سيفيور" في وسط بلفاست، جمع القس "روي سالترز" أوراقه وإنجيله وقال وداعًا لزميليه، ثم خرج ليوعظ الناس عسى أن ينقذ أرواحهم الضالة من الجحيم. إنه في عمر الثانية والستين، أصلع الرأس وعينه اليمنى بها حول. لم يعد يعرف الواعظ البارع كم عدد الأشخاص الذين تسبب في هدايتهم في مسيرته التبشيرية، لكنه يحسبهم بالآلاف. إنه أستاذ سابق في الجامعة. كاد "روي سالترز" نفسه أن يتعفن في الجحيم لولا ذلك اليوم المشهود، 18 مارس 1995، حين سمع وعظ القس "جون كالدروود" في طريق "ألبرت بريدج" في بلفاست. قرر اليوم أن يجرب حظه في وعظ الناس في المنطقة المحيطة بالبنك الوطني. الكريسماس يقترب، وبالتأكيد هناك الكثير من الأرواح الضالة في هذا المكان المليء بالأطماع الدنيوية.

أخفض "راكشنز" قبعته العريضة على وجهه ودخل إلى مقهى على طريق "أورمو" ثم قام ببعض الاتصالات.

دخل "بانزر" وطلب شيئًا ثم جلس إلى الطاولة مقابل "راكشنز" وسأله:

- كيف الوضع؟

- رائع.

- إلى هذا الحد؟

- بل أفضل.

قال "بانزر":

- تحدثت مع "إيمون" بعدما غادرت البيت ليلة أمس. إنه مشغول جدًّا.

"إيمون دي بوركا" هو قريب "بانزر"، ولديه مزرعة في مقاطعة "مايو".

قال "راكشنز":

- لقد اتصلت به في السادسة والنصف.
- أخبرني بذلك.
- وماذا أخبرك أيضًا؟
- أنت تعرف "إيمون"، إنه لا يبوح بالكثير، لكنه مستعد دائمًا لأي شيء.
- بالطبع هو كذلك، فهو يقبض الكثير دون أن يفعل شيئًا.
جاءت نادلة ووضعت كوب قهوة وطبقًا فيه قطعة كيك بالكريمة على الطاولة، فأومأ لها "راكشنز" شاكرًا.
قال "بانزر":
- ما كنت لأقول إنه لا يفعل شيئًا الآن.
- إنه يخاطر بأقل القليل.
- أقل القليل أفضل من عدم المخاطرة مطلقًا يا "راكشنز"، تقليل المخاطرة هو ما يهمنا.
قلب "راكشنز" قهوته ثم شرب وقال:
- أنت محق، لكن "إيمون" يتقاضى الكثير بالفعل.
قال "بانزر" وهو يشير إلى الطبق الذي أمام "راكشنز":
- إنه يستحق كل قرش.
دفع إليه "راكشنز" الطبق، فالتهم "بانزر" قضمةً كبيرة من كيك الكريمة وقال:
- هل أخبرتك من قبل علام حصل "إيمون" من الجيش الجمهوري؟
- ماذا؟
انتظر "بانزر" حتى ابتلع كل ما في فمه من طعام ثم قال:
- في الثمانينيات، في الوقت الذي أحضر في الجيش الجمهوري شحنات السلاح عبر البحر من ليبيا..
- كنت تخزن بعضًا من ذلك السلاح لهم وقتها، صحيح؟ لـ"بيج تايني"؟
أومأ "بانزر" وواصل:
- على كل حال، سمح لهم "إيمون" ببناء مخبأ خرساني تحت الحظيرة..

- هو المستفيد.

- نعم. بعد ذلك جاؤوا منتصف الليل ووضعوا في المخزن مئة وعشرين قطعة سلاح من طراز "AK47" وصاروخين أرض–جو.

- كما تفعل أنت.

- في أحد الأيام استرجعوا السلاح وأعطوا "إيمون" زجاجة "ويسكي" من أجل وطنيته.

ثم هز رأسه باستخفافٍ وأضاف:

- زجاجة "ويسكي"؟! تبًّا لهم يا "راكشنز". هذا فظيع.

قال "راكشنز" وهو ينهي قهوته:

- هذا بعيد كل البعد عن مبلغ الخمسة والعشرين ألفًا الذي أعطيته إياه. هل أنت راضٍ عن عملية التسليم التي ستحدث في الليل؟

رد "بانزر" بنفور:

- ارحمني قليلًا.

- أنا فقط أراعي أخلاق المهنة يا "بانزر".

- حسنًا، أراك لاحقًا إذًا.

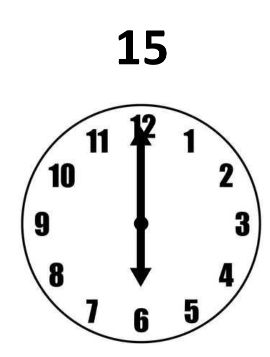
- هل تريد المغادرة أولًا؟

- لا. اذهب أنت.

قلَّب "بانزر" قهوته وشاهد "راكشنز" وهو يغادر المقهى.

في كافيتريا البنك الوطني الصغيرة، جلس "ديكلان" يقلب كوبين من الشاي، نظر حوله، لا يوجد أحد غيره سوى "تيلما"، الآن نهضت وغادرت، أخرج "ديكلان" من جيبه كيسين من الملين وأفرغهما في كوبَي الشاي ثم قلبهما ثانيةً، بعد ذلك خرج من الكافيتريا وذهب إلى غرفة الأمن.

15



حلت الساعة السادسة مساءً. "ليام دايفر" و"ديكلان باتلر" موجودان في الخزنة، و"بيتي دين" تقترب منهما. قالت:

- سأغادر يا سيد "دايفر".
- حسنًا يا "بيتي"، هل تبقى موظفون في الأعلى؟
- لا، لقد غادر الجميع.
- حسنًا، ليلة سعيدة.
- ليلة سعيدة.

بعدما عادت "بيتي" للأعلى همس "ليام":

- هذا جنون يا "ديك"، لن يفلح الأمر.
- بل سينجح، يجب أن ينجح.
- من في غرفة التحكم الآن؟
- "سيسيل ويلكنسون" و"جوي بيتلز".
- هل فعلت الـ.. إحم.. المطلوب؟

أومأ "ديكلان" وقال:

- نعم، لقد أحضرت لهما كوبين من الشاي.

رن هاتف "ليام"، فأجاب:

- مرحبًا.

سأله "راكشنز":

- كيف يسير الأمر يا "ليام"؟

- جيد يا "جاك".

- هل توجد مشكلات؟

- لا.

- ممتاز. إليك ما أريد منك فعله.

- ماذا؟

- أريدك أن تملأ حقيبة "ديك" الكبيرة عن آخرها بعملات مستعملة من فئة خمسين ومئة جنيه إسترليني، ثم أحضر الحقيبة إلى شارع "رينج لاند"، هناك موقف حافلات على اليمين، اذهب إليه وسيقابلك شخصٌ ما.

- لا أريد أن أثير الشبهات يا "جاك"، أظن أن الشبهات ستقل إن حمل "ديكلان" الحقيبة لأنها حقيبته أصلًا، بالإضافة إلى أنني المدير، سأبدو مريبًا إن سرت بحقيبةٍ كبيرة.

- ربما، لا يهمني من منكما سيذهب، لديكما نصف ساعة للذهاب إلى موقف الحافلات، لا تجعلاني أنتظر.

أغلق "راكشنز" الخط.

قال "ليام" لـ"ديكلان":

- أحضر حقيبتك.

***

في الحظيرة المتهالكة ظلت "ستيفاني دايفر" تفكر في "ليام" بينما تتحرك للأمام والخلف على الأريكة، لفت بطانية حول كتفيها لكن بلا فائدة، لا تستطيع تدفئة جسدها. بين حينٍ وآخر يتسرب إليها بعض المطر المتجمد عبر فجوة السقف. تساءلت إن كان "ليام" يعرف ما تمر به، وكيف يعلم؟ قالت لنفسها: "لن أجن، سأشغل عقلي

بجدول الضرب. اثنا عشر ضرب واحد يساوي اثني عشر. اثنا عشر ضرب اثنين يساوي أربعًا وعشرين. اثنا عشر ضرب ثلاثة يساوي..".

رجال "بيلي كيلي" و"أمبروز" موجودون الآن في مكتبٍ تابع لجراچ مغلق على طريق "أنتريم". يجهز الرجال تنكرهم. "بيلي" يثبت شعره المستعار وقبعته أمام مرآة، و"أمبروز" يرتدي سترة صوفية سوداء عليها شعار مجلس مدينة بلفاست. شاحنة السرقة تملأ الجراچ. اتصل "بيلي" بـ"راكشنز".

رد "راكشنز":

- إنه أنت إذًا. كيف الوضع؟

- على ما يرام.

- هل أنت جاهز؟

رد عليه "بيلي" بأغنية: "Bring me sunshine, in your smile"، فضحك "راكشنز" وأغلق الخط.



أعطى "ديكلان" لـ"ليام" أكياسًا بلاستيكية محكمة الغلق بها عملات مستعملة من فئة خمسين ومئة جنيه إسترليني، ووضعها "ليام" تلقائيًّا في الحقيبة حتى امتلأت.

قال "ليام" وهو يغلق الحقيبة وينظر إلى ساعته:

- هذا يكفي. لديك ثلاث دقائق للوصول إلى موقف الحافلات.

حمل "ديكلان" الحقيبة الرياضية على كتفه وغادر.

قال "ليام" بينما يصعد "ديكلان" السلالم:

- بالتوفيق.

نظر "ليام" إلى ظهر "ديكلان" وقال لنفسه: "يا إلهي! هل تمنيت لـ"ديكلان" التوفيق؟ هل أصبح الأمر هكذا؟ هل تمنيت الحظ لأحد الموظفين وهو يسلم أموال البنك إلى مجرمين؟".

اقترب "ديكلان" من باب الأمن الداخلي الأول. رفع "سيسيل ويلكنسون" عينيه عن جريدة "بلفاست تيليجراف" ونظر إلى شاشة المراقبة. نظر "ديكلان" إلى الكاميرا مبتسمًا ثم فتح له "ويلكنسون" الباب. أصبح "ديكلان" الآن محاصرًا بين بابَي الأمن في منتصف المسافة بين الداخل والخارج. "اهدأ، لا أحد بخلاف "ليام" و"جاك" وأنا يعرف أن هذه الحقيبة مليئة بالنقود". تظاهر بالصفير لكن فمه كان جافًّا جدًّا فلم يستطع إخراج أي صوت، انفتح باب الأمن الثاني وخرج.

لفح هواء ديسمبر البارد وجه "ديكلان"، يبدو الشارع الجانبي فارغًا ومهجورًا؛ شعر بالراحة، وأخذ يكلم نفسه: "لقد خرجت، لا تستدر، واصل السير نحو شارع "رينج لاند"، ليس بسرعةٍ شديدة. الحقيبة ثقيلة، أتساءل كم بها؟ مليون؟ ربما يكفيهم هذا. لا، لن يكفيهم أبدًا؛ قال "جاك" إنهم يريدون كل أموال البنك، كل المال! ذلك الوغد الجشع".

وقف "راكشنز" على الجانب المقابل لموقف الحافلات في شارع "رينج لاند" ينظر إلى نافذة محل، نظر حوله بسرعة ولمح "ديكلان" وهو قادم، قال بصوتٍ خافت في الهاتف:

- ها قد أتى بحقيبةٍ كبيرة، كن مستعدًا.

أغلق "راكشنز" الخط وتبع "ديكلان" وهو يتجه إلى موقف الحافلات. "أحسنت أيها الشاب، اجلس، كن لطيفًا وطبيعيًّا. يا لك من مطيع!".

وضع "ديكلان" الحقيبة بجانبه ووضع ذراعه عليها وكأنه يحميها. توقفت حافلة ونزل منها رجل وامرأة ثم رحل. نظر "ديكلان" إلى جهتي الشارع. "أين أنت بحق الجحيم يا "جاك"؟ على الأرجح سترسل أحد رجالك البائسين ليتسلم المال، أليس كذلك؟".

كان "راكشنز" يرتدي معطفًا أسود ثقيلًا ويرفع غطاء الرأس، نظر إلى الشارع مرة أخرى ثم رفع طرف شاله ولفه حول وجهه ليخفيه ثم وضع يديه في جيبه، إنه واثقٌ بأن هذا ليس فخًّا، لكن الحذر واجب. اقترب "راكشنز" من موقف الحافلات وجلس، ثم قال دون أن ينظر إلى "ديكلان":

- أهلًا يا "ديك".
- هل أنت "جاك"؟
- بنفسه. كم أحضرت لي؟
- لا أعرف يا "جاك"، لم يكن لدينا الوقت لنعد، لكنني أقدر المبلغ بأكثر من مليون.

قال "راكشنز" لنفسه: "أكثر من مليون. يا لها من ثلاث كلمات سحرية"، وردد:

- أكثر من مليون. هل تتذكر أول طقس كنسي لـ"سر التناول" حضرته يا "ديك"؟
- ليس تمامًا.
- هل تتذكر المبلغ الذي حصلت عليه من عائلتك وأصدقائك؟
- بضع جنيهات على ما أذكر.
- أنا لم أحصل على شيء؛ لقد أخذ أبي المال وصرفه في أقرب بار.

قال "ديكلان" في سره: "هل تستحث شفقتي يا "جاك"؟"، ثم قال له:

- هذا محزن.

أحكم "راكشنز" غطاء الرأس في معطفه حول رأسه وقال:

- نعم. بأي حال، اسمع، أحد رجالي يراقبنا الآن، ولو اتضح أن هذا كمين، فأنت تعرف العواقب التي ستقع على عائلتك. سأسألك بكل بساطة، هل أنت أو "ليام" أبلغتما الشرطة؟
- لا يا "جاك"؟
- هل الشرطة أو أي شخصٍ آخر يراقبنا الآن؟
- لا يا "جاك".
- أنت واثق؟
- بالطبع، لا يوجد شرطة أو أي شخصٍ آخر.

- هذه الحقيبة ليست مزودة بجهاز تعقبٍ أو تصنت، أليس كذلك؟
- لا يا "جاك".
- تعرف أننا سنفتشها جيدًا، صحيح؟
- ليس بها أجهزة يا "جاك"، ما كنت لأخاطر بحياة عائلتي هكذا.
- صحيح. حسنًا، هذا ما أردت سماعه، هل استعديت للكريسماس يا "ديك"؟
قال لنفسه: "استعديت للكريسماس؟ سأكون محظوظًا لو لم أكن بالسجن وقتها"، ثم رد عليه:
- لا.
- أحب الكريسماس، وأنت؟
- أحبه.
قال "راكشنز" دون أن ينظر إلى الحقيبة:
- سآخذ هدية الكريسماس الآن إذًا، حسنًا؟
- نعم يا "جاك".
راقب "راكشنز" الشارع مرة أخيرة، حمل الحقيبة على كتفه ووقف ثم قال:
- عندما ينتهي كل هذا يا فتى سأترك لك بعض المال.
"تبًا يا "جاك".
- لست مضطرًا إلى ذلك.
- أعرف، لكنني سأفعل. اسمع يا "ديكلان"، لو استلمت ظرفًا بنيًّا لا تسلمه إلى الشرطة، وإلا لن يعجبني هذا.
- لن أفعل.
- أحسنت يا فتى. سينتهي الأمر قريبًا.
سار "راكشنز" بضع خطوات ثم استدار وقال:
- كدت أنسى إخبارك، والداك يبلغانك بأنهما يحبانك.
- شكرًا يا "جاك".
- إنهما يشجعانك.

ابتعد "راكشنز" ثم أخرج هاتفه واتصل برقمٍ ثم قال:

- سار الأمر بكل بسهولة.

رد "بانزر":

- جيد.

قال "راكشنز" وهو يدور عند الناصية:

- سآتي إليك الآن.

- هل أنت واثق من عدم وجود أجهزة تعقب أو تنصت في الحقيبة؟

- ما كنت لأحملها لو أنها كذلك.

في هذا الوقت كان "بانزر" يجلس في سيارته الـ"جيب"، نظر "راكشنز" خلفه مرة أخيرة قبل أن يخلع معطفه ويلقي به وبالحقيبة في سيارة "بانزر" الـ"جيب"، ثم في لمح البصر أخذ القبعة البنية التي أخرجها "بانزر" من النافذة، بعد ذلك انطلق "بانزر" بالسيارة.



لم يغادر "ديكلان" موقف الحافلات إلا عندما انعطف "راكشنز" عند الناصية حاملًا حقيبته، لم يكن "ديكلان" بائسًا، بل كان مرتاحًا لأن التسليم تم بسلاسة. في البداية كان مرعوبًا من أن تهجم الشرطة أثناء التسليم، لكن هذا لم يحدث، مما يعني أن عائلته أصبحت أقرب بخطوة للأمان والحرية.

اشترى "ديكلان" زجاجتين من المشروبات الغازية وكيسين من الشيبسي. دخل البنك بنفس الطريقة التي دخل بها وهو يشرب الصودا ويأكل البطاطس ببساطة. كان "سيسيل ويلكنسون" النعسان يقرأ صفحات السباقات في الجريدة ولم يعر انتباهًا لـ"ديكلان" وهو يعبر أبواب الأمن دون حقيبته الرياضية الكبيرة.



دارت عينا "بانزر" على ما حوله بدقة بينما يقود خارج وسط المدينة الملغمة بكاميرات المراقبة. قاد في الشوارع الخلفية في طريقه إلى ساحة تدمير الخردة الخاصة بـ"كالاهان" الشهير بـ"سيجي تشارلي"، وهي تقع شمال بلفاست.

تقول الشائعات إن سبب تلقيبه بـ"سيجي" هو استيراده السجائر بطرقٍ غير مشروعة، لكن السبب الحقيقي هو تدخينه الشره.

في بداية حياته كان "سيجي" متسابقًا في رياضة اختراق الضاحية، وعندما يسرف في الشرب يتفاخر ويقول إنه تسابق باسم أيرلندا. إنه الآن في أواخر الستينات، له رأسٌ أصلع وخدود حمراء منفوخة وكرشٌ ضخم، لم يعد يمكنه الركض في ساحة الخردة الخاصة به حتى.

مد "بانزر" يده إلى مؤخرة سيارة الـ"جيب" وأخذ الحقيبة الرياضية، ثم تبع "سيجي" إلى مكتبه، لهث "سيجي" وهو يجلس في كرسيه خلف المكتب الكبير المغطى بطبقة من البلاستيك. أشعل سيجارة ومد يده إلى دفتر الإيصالات، ثم غير رأيه وعرض على "بانزر" سيجارة أولًا لكنه رفض، فكتب "سيجي" إيصالًا وقال:

- لا أريد معرفة تفاصيل عن عملك يا "بانزر"، لكن متى ستصل الشاحنة؟

- خلال ساعة أو أقل، هل يناسبك هذا؟

أجاب وهو يناوله إيصالًا:

- بالتأكيد. تفضل، تم بيع ثلاثين دورة مياه بملحقاته إلى "جون أوهاري" الساكن في مزرعة "حديقة عدن" ببلدة "هانازتاون"، العقد قانوني وشرعي.

عجز "بانزر" عن كبح ابتسامته الساخرة وهو يقول:

- دورات مياه بملحقاتها؟

- يحتاج الناس إلى الجلوس بينما يقرؤون الصحف في الصباح، وعادةً يجلسون في دورة المياه.

مد دفتر المبيعات إلى "بانزر" وأشار بإصبعه إلى خطٍّ رفيع وقال:

- وقع هنا.

فعل "بانزر"، وقال "سيجي":

- بهذه الطريقة إن بدأت الشرطة بالتحقيق، سأريهم الأوراق وأخبرهم سبب وجودك هنا، وسيكون لديك سببٌ قانونيٌّ لمجيئك.

سأله "بانزر":

- كيف أحوالك يا صديقي القديم؟

- إن كان لا بد وأن تعرف، الأعمال في وضعٍ سيئ حاليًّا، لكنها ستتحسن، هكذا الحال دومًا.

- أريد الذهاب إلى المكتب الخلفي.

- تفضل.

أغلق "بانزر" باب المكتب الخلفي وراءه، ثم وضع الحقيبة الرياضية على الطاولة ومرر أصابعه على حافتها. إنه يعرف أن لحظة الحصول على الغنيمة قد أتت، وهذه اللحظات يجب التلذذ بها مثل نبيذٍ فرنسي فاخر، لمعت عيناه وسال لعابه عندما شم رائحة المال، سحب نفسًا عميقًا وشعر بانتفاخ صدره، ثم فتح الحقيبة ببطء، شعر بالزمن يتجمد من حوله. رفع "بانزر" كيسًا مغلقًا به أوراق نقدية مستعملة من فئة الخمسين ثم فتحه بسكين جيب وفرد رزمة النقود كالمروحة، بعد ذلك مد يده في الحقيبة وأعاد الكرَّة. أخرج من جيبه جهازًا صغيرًا لفحص صحة النقود ومرره على أوراق من فئة الخمسين والمئة، أعلن الجهاز عن صحة النقود. قال لنفسه: "لا بد أنه يوجد على الأقل مليون جنيه إسترليني في هذه الحقيبة، وربما أكثر". أخرج بعض الأوراق من رزمتها ثم أغلق الحقيبة وأضاف إليها قفلًا بالأرقام.

طرق "سيجي" على الباب وقال:

- "بانزر"، سأخرج لعشر دقائق. هل أنت بخير؟

أطل "بانزر" برأسه من الباب وقال:

- أحتاج إلى خدمةٍ منك.

قال "سيجي" بنظرةٍ خبيثة:

- خدمة؟ هل رأيت شيئًا في الساحة وأعجبك؟ ربما المنبر؟ لطالما عددتَ نفسك واعظًا.

- ولطالما عددتَ نفسك كوميديًّا.

أومأ "سيجي" بفهم وقال:

- لا تريد المنبر إذاً؟ فهمت. مع احترامي يا "بانزر"، خدماتي ليست مجانية، وبخاصة الصعبة منها.

- أتظن أنني لا أعرف؟ خذ.

ناوله "بانزر" رزمة صغيرة من النقود وقام "سيجي" بعدها، ثم سأله:

- ما هي الخدمة؟

- أريدك أن تضع حقيبتي في خزنتك لمدة ساعة.

أومأ "سيجي" وقال:

- انتظر وسأحضر المفاتيح.



عاد "ديكلان" من عملية التسليم ووجد "ليام" في انتظاره عند باب الأمن الداخلي، ناول "ديكلان" "ليام" زجاجة مشروب غازي وكيس شيبسي ثم تحدثا قليلًا بينما يسيران إلى السلالم. نظر "سيسيل ويلكنسون" إليهما في كاميرا المراقبة، كان "جوي بيلتز" رجل الأمن الثاني يسير وهو يحك معدته، واصطدم بـ"ديكلان" بينما يدور عند الزاوية.

قال "ليام":

- ماذا بك يا "جوي"؟

احمر وجه "جوي" حرجًا وقال:

- لديَّ إسهالٌ لعين، لا أستطيع منع نفسي من الذهاب إلى دورة المياه باستمرار.

اقترح "ليام":

- ربما أُصبت بتسمم غذائي بسيط.

شعر "ديكلان" بالقلق وقال في سره: "لماذا لم يصب "سيسيل" العجوز بالإسهال هو أيضًا؟".

قال "جوي":

– على الأرجح.

– هل تريد العودة إلى المنزل؟

– لا، لا أظن ذلك.

– حسنًا، أخبرني إن غيرت رأيك.

– بالتأكيد.

فتح "سيسبل ويلكنسون" باب مكتب الأمن وقال:

– هل أنت بخير يا "جوي"؟

رد باندفاع:

– لا.

– كيف حالك يا "ديك"؟

– بأفضل حال يا "سيسيل".

– كوب الشاي الذي أعددته لي كان رائعًا.

– حقًّا؟

– كان قوامه ثقيلًا إلى حدٍّ ما. ما نوع أكياس الشاي التي استخدمتها؟

– الموجودة في الكافيتريا.

– بدا طعمه مختلفًا، أفضل من المعتاد.

– يسرني أنه أعجبك.

سار "ديكلان" و"ليام" إلى المصعد، ثم استدار "ليام" وقال:

– كدت أنسى يا "سيسيل"، المكان مثل مقلب القمامة بالأسفل.

– لم ألحظ ذلك.

– أنا أبلغك وحسب، وأنا و"ديكلان" سنتأخر في العمل هذا المساء، سننظف الفوضى في الطابق السفلي، وسوف تأتي شاحنة بيضاء تابعة لمجلس المدينة لتأخذ القمامة. أبلغني حين تصل، حسنًا؟

– بالتأكيد، لا توجد مشكلة.

سار "ليام" و"ديكلان" إلى الخزنة، وقال "ديكلان":

- لقد وضعت جرعة كبيرة من الملين في كوب "سيسيل"، إنها تكفي للتأثير على فيل، لا بد أن جسده مثل الـ..

رن هاتف "ليام".

- مرحبًا يا "جاك".

- أهلًا "ليام"، سار الأمر بسلاسة، والآن وصلنا للمرحلة الثانية، لقد تحدثنا عنها ليلة أمس.

- نعم، أتذكر.

- أريد أن تصل شحنات النقود إلى منطقة التحميل خلال خمس وأربعين دقيقة. لا تجعل رجالي ينتظرون طويلًا يا "ليام".

💰💰💰

في هذا الوقت كان رجال "راكشنز" -"بيلي كيلي" و"أمبروز بيبولز"- ينتظرون في شاحنة السرقة المتوقفة عند أحد خطوط عبور المشاة. توقفت سيارة شرطة بجانب الشاحنة لكن في الاتجاه المعاكس، شعر "أمبروز" بالضيق بينما يعبر المشاة الطريق ببطء. قال:

- يعجبني الشاب "ديكلان".

رد "بيلي":

- أنت تشعر بالأسف عليه، صحيح؟

- نعم.

- لماذا؟

- لأنني أظنه سيتلقى التهمة.

قال "بيلي":

- لا أظن ذلك.

ثم أخذ يضبط شعره المستعار وقال:

- هذا الشيء اللعين كبيرٌ جدًّا عليَّ. عندما اشتريت تلك الأشياء هل ظننت أن مقاسًا واحدًا يناسب جميع الأشخاص؟ هل ظننت أن رؤوسنا جميعًا بحجم رأسك الضخم؟

اعتاد "أمبروز" شكوى "بيلي"، فتجاهله تمامًا.

- إنه من غرب بلفاست، وعائلته ما زالت في البيت.

- لكنه لا يعلم ذلك.

- كيف سيشرح للشرطة ما حدث؟

- هذه مشكلته، ولا أظنه سيتلقى التهمة.

- بل سيتلقاها.

- هذا مؤسف.

أطلق "أمبروز" بوق الشاحنة لأن بعض التلاميذ كانوا يسيرون بتلكؤٍ على الطريق، ثم قال:

- تغيَّر الزمن.

- نعم.

- عندما سرقنا بنك "ألستر" في "أندي تاون"، حصلنا على أحد عشر ألفًا وظننا أننا ربحنا الكثير.

- نعم.

ثبَّت "أمبروز" عينيه على الطريق وقال:

- الآن أصبح اللصوص يحضرون شاحنة ضخمة ليحملوا فيها أموال البنك.

- نعم.

التفت "أمبروز" على الرغم من تعبير الضيق على وجهه، وقال:

- أنت ثرثارٌ اليوم.

- أظن ذلك.

- هلا توقفت إذًا؟

سأله "بيلي" بحزم:

- ما قصدك يا "أمبروز"؟ ما الذي يقلقك؟

قال "أمبروز" بوجهٍ محتقن:

- أحتاج إلى معرفة.. لا، بل أريد معرفة كم يتوقع "راكشنز" من هذه العملية.

نظر إليه "بيلي" باستخفافٍ وقال:
- من "راكشنز"؟ لم أسمع بهذا الاسم من قبل.
زفر "أمبروز" وقال:
- حسنًا، لا أسماء، أقصد الرجل الذي يوظفنا.
- ماذا عنه؟
- أريد معرفة كم..
- تريد؟
- هل أطلب الكثير؟
- نعم.
أدرك "أمبروز" إنه لن يخرج منه بشيء فتراجع قائلًا:
- كنت أشعر بالفضول فقط يا "بيلي"، هذا كل شيء.
صمت "بيلي" قليلًا قبل أن يرد:
- بحسب ما أعرف، إنه ينوي القيام بثلاث نقلات لو سارت الأمور على ما يرام مع أول نقلتين، وأقول "لو".
ردد "أمبروز" في سره بانبهار: "ثلاث؟".
رن هاتف "بيلي" فقال:
- إنه هو.
ثم وضع إصبعه على فمه ليشير إليه بالصمت ورد:
- نعم؟
- أين أنت؟
- في منطقة "كارلايل سيركس".
- تابع إذًا.



ذهب "ديكلان" و"ليام" إلى الخزنة وظلا يملآن أربع عربات "ترولي" كبيرة بالمال ثم يغطيانه بورق كرتون وقمامة. صفر جهاز الاتصال الداخلي، فأجاب "ليام".
قال "جوي" في الهاتف:

- "ليام"؟
- نعم يا "جوي"؟
- لقد وصلت شاحنة المجلس.
- شكرًا يا "جوي"، نحن نقوم بتجهيز الحمولة وسنصعد في لحظات. بالمناسبة، كيف تشعر الآن؟
- لست بخير. عليَّ إنهاء الاتصال.

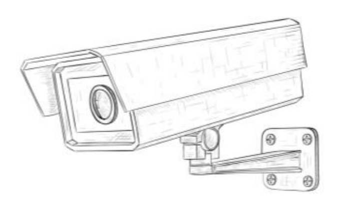
سار "ديكلان" بعربتَي "ترولي" وهو يدخل أصابعه في فتحاتهما من حينٍ لآخر ليتأكد أنه لا يظهر منهما إلا ورق الكرتون وليس رزم المال، ثم قال:
- انتهيت.

فحص "ليام" عربات "الترولي" الخاصة به، والتي وضع فوقها كَراسيَ مكسورة قديمة. دفع الرجلان عربات "الترولي" خارج الخزنة ودخلا المصعد الذي سيأخذهما إلى طابق غرفة التحكم الذي يحتوي على أبواب الأمن التي تفصل بين غرفة الأمن ومنطقة التحميل. أغلق "ليام" باب المصعد، وبينما يتحرك المصعد، أخذ "ديكلان" يتحرك بتوتر وهو ينظر إلى السقف ويفتح ويغلق فمه مصدرًا صوتًا. قال "ليام":

- هلا توقفت عن هذا؟ أنت تثير أعصابي.
- آسف.

توقف المصعد وخرج الاثنان وهما يجران عربات "الترولي" إلى باب الأمن الأول وانتظرا، صفر الباب الأول وانفتح، فتقدما وأصبحا في المنطقة الأمنية بين البابين. ضغط "سيسيل ويلكنسون" الزر الذي يفتح باب الأمن الثاني، خرج "ليام" و"ديكلان" واحدًا تلو الآخر يجران "الترولي" إلى منطقة التحميل، لا يفصلهما عن الشارع إلا بوابة من الصلب.

16



وقف القس "روي سالترز" خارج البنك الوطني ممسكًا بكتابه المقدس ويحدث الناس على الملأ:

- إن ثمن الخطيئة هو الموت!

يميز "سالترز" المذنب حين يراه. لمح امرأة في منتصف العمر، سكيرة وشعرها مصبوغ وساقاها بدينتان، كانت ترتدي تنورة جلدية حمراء قصيرة ومعطفًا أبيض وتسير في اتجاهه. قال لنفسه: "إنها امرأة فاسدة الأخلاق بالتأكيد". أراد هدايتها لكنه ليس واثقًا من أن حالتها تسمح بذلك، ربما ستنسى أصلًا أن أحدهم أرشدها للصواب بعد أن يزول تأثير الكحول.

هتف "سالترز" بعدما مرت المرأة بجانبه:

- أنصحكم أن تتوبوا، توبوا تنالوا رحمة المسيح!

بالكاد أنهى "سالترز" كلماته وهبت رياحٌ شديدة، فأخرج منديله وفرك عينه. الجو مظلم وبارد وممطر، ولا يوجد الكثير من الناس لهدايتهم. تساءل إن كان عليه الانتهاء مبكرًا، لكنه قال لنفسه: "هل كان المسيح ليستسلم بهذه السهولة؟ لا، المسيح لم يشعر بالبرد ولا المطر".

شعر "أمبروز بيبولز" بالبرد بينما يجلس في شاحنة السرقة المركونة في منطقة التحميل عند البنك، نظر في المرآة الجانبية ورأى شارع "هيلير" خاويًا، فسأل "بيلي":

- والآن ماذا نفعل؟

- ننتظر.

دس "روي سالتزر" يديه الملفوفتين بالقفازات تحت إبطيه ليدفئهما، إنه يكره المطر، فعلى عكس الثلج، يخترق المطر طبقات الملابس حتى العظم. توقفت سيارة عند مدخل شارع "هيليير"، ونظر "سالتزر" إلى السائق بتمعن. كان "راكشنز" يرتدي قبعة كبيرة ويلف شالًا حول رقبته، لكن شعر "سالتزر" أنه بحاجةٍ إلى الهداية، فتح أحد الكتيبات ثم سار إلى السيارة وطرق على النافذة وقال:

- مرحبًا سيدي.

فتح "راكشنز" النافذة قليلًا ونظر خارجها إلى شارع "هيليير" وأجاب:

- مرحبًا.

- هل يمكن أن أعطيك كتيبًا؟

حرك "راكشنز" وجهه وقال وهو يأخذ الكتيب:

- بالتأكيد.

- هل يمكنني سؤالك إن كنت قد وجدت طريق الهداية؟

- سفر "أيوب"، الإصحاح 1، آية 21.

كرر "سالتزر":

- سفر "أيوب"، إصحاح 1، آية 21؟

دلك رأسه لينشط عقله المتجمد من البرد ثم تذكر وقال:

- نعم، نعم، "الرب أعطى والرب أخذ". قول مناسب جدًّا، إن سمحت لي بالقول يا سيدي.

قال "راكشنز" في سره: "لا فكرة لديك أبدًا كم هو مناسب للموقف حقًّا أيها القس، فالليلة سنأخذ الكثير بالفعل".

تردد "سالترز" في الكلام في انتظار أن يقولَ "راكشنز" شيئًا، لكنه لم يفعل، قال لنفسه: "حتى الشيطان يستطيع اقتباس كلامٍ من الإنجيل، وهذا الرجل لم يقل إنه اهتدى".

- هل اهتديت يا سيدي؟ هل شملتك رحمة المسيح؟

رد "راكشنز" بعصبية:

- بالتأكيد، والآن ارحل، هيا.

رفع "سالترز" يديه وتراجع، لم يقتنع أبدًا أن هذا الرجل قد اهتدى وعد لص البنوك المحترف هذا نفسًا ضالة للأبد. قال لنفسه: "أحيانًا يجب ترك بعض الأرواح للشيطان". راقب "راكشنز" باب منطقة التحميل، ثم رأى "ليام" و"ديكلان" يدفعان عربات "الترولي" الأربعة عبره. خرج "بيلي" و"أمبروز" من شاحنة السرقة وذهبا خلفها، كانا متنكرَين بشكلٍ مبالغ فيه ويرتديان سترة مجلس مدينة بلفاست.

ضغط "أمبروز" زر فتح الباب الخلفي ثم نظر بتمعنٍ إلى "ديكلان" وسأله:

- كيف تسير الأمور يا "ديك"؟

عرف "ديكلان" من شكل وصوت "أمبروز" أنه من المجرمين الودودين، هو من قاد به جزءًا من الطريق إلى بيت "ليام". من الطبيعي ألا يشعر "ديكلان" نحو "أمبروز" بشيءٍ سوى الكره، لكنه في الواقع سعد برؤيته. أجابه ببساطة:

- بخير على ما أظن، كيف حالك أنت؟

- أنا أضحك في وجه المخاطر يا فتى، تسعدني رؤيتك مبتسمًا.

قال "بيلي":

- أوشكتما على النجاح. والآن اضحكا.

ردد "ليام" بتساؤل:

- ماذا؟

- اضحكا للكاميرا، كلاكما.

لم يشعر الرجلان بأدنى رغبةٍ في الضحك، لكن ما باليد حيلة، بالكاد أخرجا ضحكة خفيفة، أما "أمبروز" فأجاد التمثيل واندمج في الضحك، وقال "بيلي" وهو يضحك تلقائيًّا على سلوك "أمبروز":

- هذا مضحكٌ يا رفيقي.

في غرفة الأمن رأى "سيسيل ويلكنسون" عبر الكاميرا الخارجية مجموعة الرجال وهم يضحكون بمرح ثم عاد يقرأ الصحيفة.



منذ بضع سنوات أوشك مقامر محلي محترف يدعى "ألان فريلاند" على الوصول إلى نهائي بطولة البوكر العالمية في "لاس فيجاس"، لكن منذ ذلك الوقت نفد حظه في اللعب، كان يسير الآن مع زوجته "چيني" في شارع "هيليير" ويحاول إقناعها بأن حظه سيتغير وسيربح بطولة البوكر في المملكة المتحدة، لكن هذا إن دعمه والدها الثري.

قالت "چيني" بحزم:

- أخبرتك أنني لن أطلب هذا منه. انتهت المناقشة.

شعر بالاكتئاب، وكأن أحدهم خدعه وسرق أرباحه، شد "فريلاند" ياقة معطفه حول عنقه، بينما يمر هو وزوجته بشاحنة السرقة، لاحظ أن موظفَي المجلس يرتديان شعرًا مستعارًا لا يناسب مقاسهما وقبعتين باللون الأزرق الداكن، فكر أنهما متنكران، وأن تنكرهما ليس متقنًا أيضًا، أما الاثنان الآخران فيبدوان موظفين عاديين في البنك. "ما الذي يحدث هنا بالضبط؟". ما يحدث بالضبط هو أن "بيلي" و"أمبروز" ينهبان خزائن البنك الوطني، بينما يتظاهر "ليام" و"ديكلان" بعدم الاكتراث. واصل "ليام" تظاهره باللا مبالاة وشبك ذراعيه أمامه بينما فتح "ديكلان" محفظته وتفقد محتوياتها. في الوقت نفسه دفع "بيلي" و"أمبروز" عربات "الترولي" إلى الشاحنة وبدآ بإفراغ رزم النقود على الألواح الخشبية.

تأثر "أمبروز" بضخامة المبلغ الذي يحمله، فتوقف لحظة وهو يمسك لفتين من ورق التغليف البلاستيك ثم نظر إلى "بيلي" وقال كلمةً واحدة:

- يا إلهي!

رن هاتف "بيلي" وجاءه صوت "راكشنز":

- تكلم.

رد "بيلي":

- معنا هدية، نحن جاهزان للتحرك.

- تعاليا مباشرةً.

استعاد "ليام" و"ديكلان" عربات "الترولي" الفارغة خارج البنك، ثم اتصل "راكشنز" بـ"ليام" وأخبره إنه يريد ملء العربات الأربعة مجددًا خلال خمس وثلاثين دقيقة.

قال "ليام":

- هذا صعبٌ يا "جاك"، الوقت ضيق جدًّا.

كرر "راكشنز" قبل أن يغلق الخط:

- خمس وثلاثون دقيقة. ضعا مالًا من الفئات الكبيرة فقط.

ناول "بيلي" "ديكلان" بعض ورق التغليف البلاستيك وأخبره أن يلفه حول عربات "الترولي" في المرة القادمة. وهكذا انتهت بسرعة المرحلة الثانية في أكبر عملية سرقة في تاريخ أيرلندا، تمامًا كما بدأت.

قاد "بيلي" و"أمبروز" الشاحنة وتراجع "راكشنز" بسيارته ليفسح لهما المكان لكي يخرجا إلى الطريق.

وقف "ليام" و"ديكلان" يراقبا المشهد الذي لم يتخيلا حدوثه منذ يومٍ واحد.



لطالما تعاطف "ألان فريلاند" مع الأشخاص الذين يخاطرون بحريتهم مقابل سرقة البنوك، بالنسبة إليه سرقة البنوك هي آخر محاولة يقوم بها شخصٌ ما من باب اليأس، إنها المخاطرة الكبرى. خطر بباله أنه قد يكون هناك مكافأة لمن يساعد على إحباط عمليةٍ كهذه، وبدافعه الأناني هذا اقترب من ضابطَي شرطة في دورية أمام دار البلدية، أعطاهما اسمه وعنوانه وأبلغهما بأن شيئًا مريبًا يحدث في شارع "هيليير"، هناك رجلان متنكران يقومان بتحميل شاحنة بيضاء.

ذهب الضابطان إلى الشارع ليتأكدا من صحة كلام "فريلاند"، لكن لم يجدا شاحنة بيضاء ولا رجالًا متنكرين، كان الشارع خاليًا. من الغريب أن الضابطان لم يتفقدا البنك، بل غادرا وعادا لعملهما.

بمجرد أن تأكد "راكشنز" أنه لا أحد يتبع "بيلي" و"أمبروز"، اتصل بـ"بانزر" عند "سيجي تشارلي" وأخبره أن الحمولة الأولى يتم نقلها.

استفسر "بانزر":

– الحمولة الأولى؟

– سنعود للحصول على "التحلية".

ضحك "بانزر" بشدة.

– "تحلية"؟ أحب "التحلية"، بل أعشقها. هل ستأتي؟

– لا، لست مضطرًا، لكن يجب أن يتم التسليم بسرعة.

– فهمت.

– وأنت أيها الزعيم؟

سعد "بانزر" لأن "راكشنز" يشعره بمركزه، وقال:

– ماذا؟

– علينا التأكد من صلاحية البضاعة.

قال "بانزر" وهو يرتدي قناعًا:

- أعمل على ذلك.

أخذ "راكشنز" يفكر في الاحتمالات التي قد تفسد العملية. "ما الذي يمكن أن يفوتني؟ هناك دائمًا تفصيلٌ صغير يهرب من الجميع، أين أنت أيها التفصيل؟"، لكن لم يستطع إيجاده مهما حاول.



توقف "أمبروز" في ساحة خردة "سيجي تشارلي"، وأرشده "سيجي" إلى المنطقة الخاصة حيث ركن بجانب شاحنة ضخمة مكتوب على جانبها "توصيل طرود سريع"، قفز "بيلي" من الشاحنة وفتح باب المؤخرة.

ذهب إليهم "بانزر" وهو يرتدي قناعًا ويقود رافعة صغيرة رفع بها أحد الألواح الخشبية التي تحمل المال ونقله إلى شاحنة التوصيل، وكرر العملية حتى نقل الألواح الأربعة كلها. راقب "سيجي تشارلي" المشهد بينما تدلت سيجارة من فمه، فرك يديه في بنطاله، إنها إشارة تدل على تركيزه مع المال. أخبره "بانزر" أنه سيكون هناك حمولة ثانية. "حمولة ثانية؟ هناك بالفعل أربعة ألواح خشبية مربعة محملة برزم النقود في الحمولة الأولى! تبًّا، العملية كبيرة! كل عين في البلد ستبحث عن هذه النقود، سأتحدث إلى "بانزر"، سأحتاج إلى عمولة أكبر مقابل المخاطرة التي أتخذها".

استدعى "بانزر" "بيلي" ومال عليه وهو جالسٌ في الرافعة وأعطاه تعليمات بالعودة إلى البنك لنقل حمولة ثانية، ابتسم "بيلي" وكأنهما يتشاركان سرًّا، إنهما كذلك بالفعل، لقد عرفا بعضهما طوال حياتهما، يعرف "بيلي" أن "بانزر" هو الشخص المختبئ خلف القناع.

زمجر "بانزر":

- علام تبتسم؟ هيا.

اختفت ابتسامة "بيلي"، واقتنع تمامًا أن "روبن هود" هذا ليس رجلًا صالحًا أبدًا.

نظر "راكشنز" إلى ساعته بينما يقود "أمبروز" السيارة خارج ساحة "سيجي" للخردة. تم التسليم في تسع دقائق، ليس سيئًا. هكذا حدَّث نفسه. هناك سؤالٌ يشغله منذ أن غادر الرجال البنك؛ "هل يمكن أن يتم النقل بهذه السهولة؟ لا بد أن ساحة "سيجي" تضم الآن عشر.. لا.. خمسة عشر مليونًا، ومع ذلك لا يسمع صفارات شرطة ولا يرى قوات ولا كمائن على الطريق ولا عناصر من الجيش الجمهوري، ولا يوجد حتى بلاغ لشرطة النجدة يفيد بأن أكبر خزنة في فروع البنك الوطني يتم سرقتها الآن، ما مدى غرابة هذا؟ أقصى مدى ممكن!". ظل عقله المتحمس يشجعه: "هيا، هيا، هيا". ضبط "راكشنز" مرآة الرؤية الخلفية ثم اتخذ طريقًا مختصرًا إلى البنك، بما أنه لا يوجد مال في الشاحنة الآن، فليس مضطرًا إلى اتباعها.

أغلق "بانزر" شاحنة التوصيل، وأخذ رزمة نقود إلى مكتب "سيجي" الخلفي، خلع قناعه وأخرج بعض الأوراق المالية ليتأكد من صحتها بجهاز الكشف. الكلمة التي جالت بخاطره الآن هي كلمة "جميل"، لكن كلمة أخرى انطلقت في عقله بإزعاج، إنها كلمة "الموت". أخبره "ذا ديفيل" ذات مرة أن الموت لن يؤرقه إلا عندما يتم الخمسين أو يصاب بمرضٍ مزمن. تمنى "بانزر" لو أن "ذا ديفيل" كان حيًّا ليستمتع باللحظة، لقد سرق والده ذات مرة بنك "ماستر ولينستر" على طريق "بلفاست فولز" وهرب على ظهر حصان، لو كان هنا لفخر به الآن. سمع "بانزر" طرقة على الباب.

- نعم؟

أطل "سيجي" برأسه وقال:

- إنه أنا يا "بانزر".

- كيف أساعدك يا "سيجي"؟

- علينا التحدث.

قال "بانزر" في سره: "وكأني لا أعرف ما ستقول".

- بشأن ماذا؟

- عن أكوام النقود المسروقة.

يعرف "بانزر" أنه لا فائدة من محاولة خداع "سيجي"، فتح الباب وقال له:

- تعال، ادخل.

في خزنة البنك دار "ليام" حول عربة "ترولي" وهو يلفها بورق التغليف البلاستيك، ثم تلقى مكالمة أخرى من "راكشنز" الذي سأله:

- كيف يسير الأمر؟

- ليس جيدًا يا "جاك"، ليس جيدًا أبدًا، سنحتاج وقتًا أكبر إذا كنا سنملأ أربع عربات.

- لا نملك وقتًا، كم عربة جاهزة الآن؟

- اثنتان.

- أخرجهما الآن، ستجد "شاحنة القمامة" منتظرة.

ثم أغلق الخط وهو يتوقف بسيارته عند آخر شارع "هيلير".

ما زال القس "روي سالتزر" يقف خارج البنك ويعظ بتوسل شابًّا يرتدي نظارة ومعطف مطر أزرق لكي يرى نور الهداية. وقف صديق الشاب خلف القس وهو يحرك يده لصديقه بإشارة استعجال، لكن "سالترز" في قمة حماسه الآن، لمح سيارة "راكشنز" فتساءل عن سبب عودته.

قاد "أمبروز" مجددًا إلى منطقة التحميل، توقف المطر والثلج وهدأت الرياح، فأصبح الجو ساكنًا بشكلٍ مخيف.

قال "أمبروز" بعدم ارتياح:

- هذا الوضع.. لا أعرف.. ألا تراه غريبًا؟

ثم أخذ ينظر إلى مرايا السيارة الجانبية ليعزز قلقه وأضاف:

- نبدو كمن يحمل أثاثًا ماعدا أننا في الحقيقة نحمل شحنات من المال، ولا يوجد من يوقفنا.

قال "بيلي" بمرح:

- أتمنى لو تصرفت كل البنوك بهذا اللطف مع اللصوص.

- الوضع يبدو سهلًا جدًّا.

- أنت تنحسنا بكلامك.

- كنت فقط..

- اخرج وافتح الباب، فليس لدينا الليل بطوله.

فتح "أمبروز" باب الشاحنة أمام رصيف التحميل، وسرعان ما ظهر "ليام" و"ديكلان".

سأل "بيلي":

- عربتان فقط؟

أجاب "ليام":

- الوقت ضيق، "جاك" يعرف بالأمر.

- حسنًا، قوما بالتحميل، هيا، هيا.



بينما تخرج شاحنة السرقة من شارع "هيليير"، لمح "أمبروز" واجهة البنك، هناك أربعة أطفال يرتدون ملابس تنكرية يسيرون على الرصيف، وسائق حافلة ومفتش يتجهون لأقرب بار، ورجل أعمال يلوح بمظلته ويتجاهل "سالترز" الذي يقول:

- تُب أيها المذنب، فثمن الخطيئة هو الموت.

قال "أمبروز" بخفوت وهو يشير إلى "سالترز":

- لا أفهم هذا، أنا أحب الخطيئة، وهي مجزية جدًّا.

سأله "بيلي":

- ماذا تقول؟

- أقول إنني أحب الخطيئة.

رد "بيلي" وهو ينظر حوله:

- لها منافعها.

نظر "أمبروز" خلفه إلى مؤخرة الشاحنة وقال:

- كم يوجد فيها برأيك؟

استدار "بيلي" قليلًا وقال:

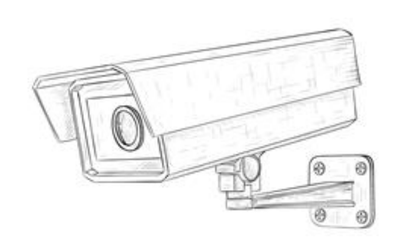
- ماذا؟ حوالي ثمانية ملايين، ربما تسعة، في هذه الحدود.

هز "أمبروز" رأسه بذهولٍ وقال:

- هذه حكاية تحكيها لأولادك عندما توشك على الموت.

- لم نتم المهمة بعد.

- من الذي ينحسنا بكلامه الآن؟ هه؟



17



في ساحة خردة "سيجي تشارلي" أخذ "بانزر" الحقيبة الرياضية وأعطاها لـ"راكشنز" الموجود في مؤخرة شاحنة التوصيل، وكان يغطي وجهه بقناع "Vendetta"، وقال له:

– هذه لك.

رد "راكشنز":

– حسنًا، هل لدينا ماكينات عد النقود؟

– نعم.

– هل أخبرت "إيمون" أننا في الطريق؟

– نعم.

– هل أخبرته أن يجهز ألواحًا خشبية مربعة في الحظيرة لنقل النقود بالرافعة؟

بدأ "بانزر" يغضب من استجواب "راكشنز".

– نعم، نعم.

– أين "فينبار"؟

– يقضي مصلحةً لي.

نظر "راكشنز" إلى "بانزر" وسأله:

– وهل تتعلق بعمليتنا؟

– لا.

قال "راكشنز" في سره وهو يبعد وجهه: "يستحسن ذلك"، ثم استدار مجددًا وقال:

- هيا إذًا، اسبقنا لتستطلع الطريق وتبلغني إن وجدت خطرًا.

قال "بانزر" بغضب:

- أعرف الخطة اللعينة يا "راكشنز".

بدأ "راكشنز" يستدير بشاحنة التوصيل وسار إليه "بيلي"، وعندما توقف "راكشنز" مد "بيلي" يده عبر النافذة ليصافحه ويقول:

- رائعٌ يا رفيقي، هذه هي أفضل عملية سرقة شاركت فيها.

ضحك "راكشنز" وقال:

- لقد نجحت الخطة، صحيح؟

- نجحت الخطة؟ "راكشنز" يا عزيزي، أظن أن الزمن سيكشف لك أن هذا التعبير لا يكفي أبدًا لوصف العملية.

- "بيلي"، قد يكون هذا هو الجزء السهل، كن مستعدًا. فهمت؟

- بالتأكيد. اتصل بي إن احتجتَ إلي.

رن هاتف "راكشنز"، إنه "شايموس مكان". قال "راكشنز":

- علي أن أجيب على هذا الاتصال.

- لا تقلق من شيء.

رد "راكشنز" على الهاتف وقال:

- انتظر.

ثم نظر إلى "بيلي" وقال:

- تذكر ما قلت. مع السلامة.

- حسنًا.

ثم انتبه "راكشنز" للمكالمة.

قال "مكان":

- إنه أنا.

- أعرف.

قال "مكان" بالشفرة قاصدًا "ستيفاني دايفر":

- ما زال الكلب معي.

- أبقه في كوخه قليلًا، سأتصل بك لاحقًا.

رد "شايموس":

- سأفعل.

أغلق "راكشنز" الخط ولوح لـ"بانزر" لكي يخرج من ساحة "سيجي تشارلز" قبله ويسبقه على الطريق.



جلس "فينبار" في سيارة مركونة في شارع "بلفاست"، وأخذ يراقب سيارة والده وشاحنة التوصيل وهما تنعطفان يمينًا أثناء خروجهما من ساحة "سيجي تشارلز" للخردة، كان يفهم طبعًا أن "بانزر" سيستكشف الطريق من أجل "راكشنز". قال في سره: "ها هما في المرحلة الأخيرة من سرقة القرن بينما تركاني وحيدًا جالسًا في البرد، وكأنني تلميذ معاقب في فصل". فجأة خطرت على باله فكرة: "ماذا لو أن والدي أصيب بسكتةٍ قلبية في طريقهما لإخفاء النقود؟ ماذا سيحدث؟ سيصبح "راكشنز" الشخص الوحيد الذي يعرف مكانها، ثم ماذا؟ عندها سيقضي عليَّ!". قال الجزء الأخير بصوتٍ مرتفع دون أن ينتبه. أصر على التحدث مع والده بشأن هذا الوضع الغريب، هذا إن رآه مجددًا.

خرجت شاحنة السرقة وسيارة "راكشنز" من ساحة خردة "سيجي تشارلز"، يقودهما "بيلي" و"أمبروز"، انخفض "فينبار" بينما تمر السيارتان بجانبه ثم رفع رأسه مجددًا. "سيحين وقتي. هيا يا أولاد، جهزا لي ملاييني".

جلس "ديكلان" برفقٍ على كرسي داخل الخزنة، ثم شبك يديه ووضعهما بين ساقيه، جلس "ليام" مقابله وحاول أن يقرأ مجلة، لكنها صدرت منذ ثلاثة

أشهر، ومهما أعاد قراءتها لا يدخل الكلام عقله. رن هاتف "ليام"، فاقترب "ديكلان" بسرعة ليسمع الكلام.

رد "ليام":

- مرحبًا.

أصبح "راكشنز" على مشارف الحدود الأيرلندية، رد وهو يأكل ساندويتش:

- مرحبًا يا "ليام".

- ماذا تريد الآن يا "جاك"؟

- هذا ما أحبه فيك يا "ليام"، أنك تدخل في الموضوع مباشرةً.

شرب "راكشنز" رشفة من المشروب الغازي ثم أضاف:

- أريد فقط أن أهنئكما. يستمع "ديك" إلى المكالمة، صحيح؟

رد "ديكلان":

- نعم يا "جاك".

- كيف حالك يا "ديك"؟

- أنا متماسك.

قال "راكشنز":

- هذا صحيح، أردت فقط أن أقول لكما أحسنتما عملًا، لقد تصرفتما ببراعةٍ منقطعة النظير بالنسبة إلى الظروف.

قال "ليام":

- هدفنا إرضاؤك.

ضحك "راكشنز" وقال:

- هذا مضحك. "هدفنا إرضاؤك"! سأقول هذا للرجال إن لم تمانع.

- على الإطلاق.

يعلم "ليام" تمامًا أهمية إرضاء "راكشنز"، والآن رأى فرصة لاستدراجه.

- عليَ تهنئتك يا "جاك"، أحسنت عملًا.

- هل تعنيها حقًّا؟

- نعم.
- أقدر ذلك كثيرًا.
- أنا جاد، أدرت العملية مثل المايسترو، والهاتف كان بمثابة عصا الأوركسترا.
- لم أفكر في هذا التشبيه من قبل.
قال "ليام":
- ها قد نبهتك. المهم الآن أنه علينا التحرك.
- ماذا تعني؟
- علينا إغلاق المكان وتشغيل أجهزة الإنذار.
انفجر "راكشنز" بالضحك وقال:
- توقف يا "ليام"، أنت تقتلني بتعليقاتك، "علينا الإغلاق وتشغيل أجهزة الإنذار"، وهل من المفترض أن تفعلوا هذا لمنع اللصوص؟
حتى "ليام" ابتسم بسخرية وقال:
- يسعدني أنك في مزاجٍ جيد.
- ولم لا أكون؟! العملُ يسير جيدًا، وسيكون الكريسماس رائعًا هذا العام.
قال "ليام":
- يمكنني القول يا "جاك" إننا قمنا بالمطلوب ونفذنا تعليماتك حرفيًّا وملأنا شاحنتك بملايين العملات من البنك. الآن حان دورك للوفاء بوعدك، أظهر بعض الإنسانية يا "جاك"، أطلق سراح عائلتينا، افعلها بالله عليك.
اقترب "راكشنز" من قرية "بلاكليون" التي على الحدود في مقاطعة "كافان" الغربية. قال له:
- لقد مررت بوقتٍ عصيب فيما تحاول السيطرة على أعصابك، صحيح يا "ليام"؟
- أتريد الحقيقة يا "جاك"؟
- بالطبع.
- لم أتقبل أبدًا فكرة السرقة، وهذه السرقة من العيار الثقيل.
- هيا يا "ليام"، يمكنك أن تكون أكثر صدقًا.

- لا أظن.

قال "راكشنز" بصرامة:

- تحدث بصراحة.

قال "ليام":

- ليكن ما تريد. خطف عائلات الناس والتهديد بقتلهم إن لم تحصل على مال هو فعلٌ في غاية الجبن يا "جاك".

- ماذا لو قلت إن كل هذا مجرد خداع؟ وأن عائلتيكما لم تكونا في خطرٍ حقيقي؟ هل يغيِّر هذا أي شيء؟

- هل هذه هي الحقيقة يا "جاك"؟

- لن تعرف أبدًا.

فكر "راكشنز" في مواصلة المناقشة لكنه رفض وغيَّر الموضوع:

- حسنًا إذًا، عندما تغلقان الخزنة اذهبا إلى بيت "ديكلان"، لا تذهبا إلى أي مكانٍ آخر. كاد الأمر ينتهي يا "ليام"، فلا تفسداه.

- ماذا نفعل حين نصل بيت "ديكلان"؟

- ستعرفان وقتها.

- ما حال "ستيفاني"؟

- إنها بخير، ستكون معها خلال ساعتين.

- يسعدني سماع ذلك.

- هناك شيءٌ أخير يا "ليام".

- ما هو؟

- لا تبلغ الشرطة قبل الحادية عشرة والنصف.

- الحادية عشرة والنصف، حسنًا.

- بخلاف ذلك، كل ما يمكنني قوله هو أنني سعدت بالعمل معكما.

- أود قول المثل يا "جاك".

- لكنك لا تستطيع، أفهم ذلك. تعلم يا "ليام"، لا تلم نفسك بشأن ما حدث، أنت رجلٌ محترم، وفعلت ما كان أي رجلٍ محترم سيفعله مكانك.

رد "ليام" في سره: "وأنت رجلٌ حقيرٌ جدًّا يا "جاك"، ثم رد عليه:

- أظنك محقٌ في هذا.
- حسنًا، وداعًا إذًا. مهلًا، أين "ديك"؟
- نعم يا "جاك".
- لقد أحسنت عملًا يا فتى.
- شكرًا، ماذا عن عائلتي يا "جاك"؟

للأسف كان "راكشنز" قد أغلق الخط بالفعل.



في مقر الشرطة في شارع "ماسجراف"، جلس رئيس المحققين "دانيال كلارك" يكتب تقريرًا عن تورط الجيش الجمهوري في تهريب البترول عبر الحدود، وتثاءب دون أن يهتم بتغطية فمه، لقد كانت مناوبة طويلة، فلينتظر التقرير بعض الوقت، وقف وفرد ذراعيه ثم ذهب إلى غرفة العمليات.

كان هناك خمسة ضباط يراقبون ما يحدث على شاشات تنقل لهم ما يحدث في شوارع مدينة بلفاست الرئيسية. وقف "كلارك" خلف الضباط ونقل بصره بين الشاشات، خف الزحام من وسط البلد ما عدا عند مجلس المدينة، حيث يقام معرض تجاري بمناسبة الكريسماس.

سأل "كلارك":

- هل من أخبارٍ مهمة؟

رد المحقق "جيري رولاندز":

- ليس تمامًا يا سيدي، يبدو أن كل المجرمين جالسون في بيوتهم يعدون غنائمهم.

قال "كلارك" بتفاؤل:

- لنأمل ألا تكون غنائمهم كبيرة إذًا.

القليل من الكلمات المهذبة والنظرات القلقة، هذا كل ما دار بين موظفي البنك في رحلتهم بالسيارة من البنك الوطني إلى بيت "ديكلان باتلر"، بخلاف الصمت والفزع. أفكارهم المتناقضة تثير السخرية، يفكر "ليام" أنه لو نجت "ستيفاني" من هذا الموقف سيأخذها في إجازة، أما "ديكلان" فيفكر أنه لو نجا من هذه التجربة فسيدخل السجن. توقفا أمام بيت "باتلر".

طرق "ديكلان" الباب وانفتح على الفور، دخل الرجلان واستقبلهما أحد رجال العصابة في الصالة ثم أشار إلى غرفة الجلوس.

- "ديك"!

انطلقت "كايت" من مكانها نحو أخيها وعانقته.

اندفعت "كوليت" مثلها وهي تمطر وجه ابنها بالقبلات.

انتظر "أليك" بصبر حتى تركت المرأتان ابنه. "ديكلان" واقفٌ أمامه الآن، لقد نجا، عانق الأب ابنه وقال بشفتين مرتجفتين:

- لقد عدت، أنت ابني الرائع.

تأثر "ديكلان" بالموقف. في طريق عودته من البنك، كان يستعد لتلك اللحظة، لكنها جاءته الآن ولا يعرف ماذا يفعل، شعر بالانهيار فجأة، مثل سيارةٍ معطلة. قال "ديكلان":

- أبي، أنا.. أنا..

عانقه "أليك" وهو يقاطعه:

- أنا فخورٌ بك يا بني.

تماسك "ديكلان" واستدار ليقدم لهم "ليام":

- هذا "ليام"، زميلي في العمل.

تصافح "ليام" و"أليك".

قال رجل العصابة وهو يمد يده إليهما بعدم صبر:

- أعطياني الهاتفين.

أعاد "ليام" و"ديكلان" الهاتفين له.

- فليدخل الجميع المطبخ، أسرعوا، عندما نغادر يا "ليام" عد لبيتك وانتظر زوجتك، لا تتحدث مع أحد.

بعد ذلك جلست عائلة "باتلر" و"ليام" في المطبخ بينما يزيل المجرمون آثارهم من المكان.

أمسكت "كايت" و"كوليت" بيدي "ديكلان" بينما يجلسون حول طاولة المطبخ. همس "أليك" لـ"ليام":

- لا أظنهم مهتمين بشيءٍ غير المال.

أومأ "ليام" بأدب لكنه لم يطمئن كثيرًا.

قال "ديكلان":

- اصمتوا، هل سمعتم صوت باب البيت ينغلق؟

وقف وألصق أذنه بباب غرفة الجلوس، ونظر إلى عائلته ثم أطل برأسه في غرفة الجلوس، لم يجد أحدًا، تسلَّل "ديكلان" على أطراف أصابعه ونظر في الصالة ثم قال:

- لقد رحلوا.

قال "أليك":

- أبلغ الشرطة.

قال "ليام":

- لا يمكننا أن نتصل الآن يا سيد "باتلر".

- نادني "أليك" يا بني.

- "أليك"، قالوا إنه لا يجب أن نتصل قبل الحادية عشرة والنصف، لن يطلقوا سراح زوجتي قبل ذلك.

تكورت "ستيفاني دايفر" حول نفسها وهي مستلقية على عشبٍ رطب، لقد تركها آسروها في غابةٍ خارج "كاسل ويلان" بمقاطعة "داون"، شعرت بالراحة لأن الأمر انتهى، غمرتها موجة من السلام النفسي وشعرت بهدوءٍ شديد بعد إطلاق سراحها، تصارعت الأفكار في عقلها: "ارتاحي، اتركي نفسك تمامًا. لا، بل انهضي!". نهضت وأزالت الشريط اللاصق الشفاف من على عينيها. شعرت بالألم ففركت عينيها وهي تطرف، نزلت قطرات المطر على وجهها وغسلت روحها. "قفي، اللعنة، قفي". عانت "ستيفاني" لتقف، العشب باردٌ ورطب تحت قدميها العاريتين، استدارت حولها فلم تر إلا الأشجار والظلام، إنها مثل رجلٍ أعمى وسط متاهة. "سيري، فقط تابعي السير". سمعت صوت سيارة عن بعد، فذهبت إلى هناك بصعوبةٍ ثم توقفت. "قد يكونون رجال العصابة. لا، لقد رحلوا بالتأكيد". أمسكت بفرعٍ كان واقعًا على الأرض ثم استخدمته كعكاز. "سيري، فقط تابعي السير، لا تتوقفي، هناك نورٌ أمامك". ذهبت نحو النور وهي تترنح ثم سقطت، فظهر كلبٌ ونبح عليها، ثم خرج ولدٌ من بيتٍ أمامها، مدت "ستيفاني" يدها إلى الولد ثم أغمي عليها.



اتجه "ليام" إلى منزله في "لوجشور" في مقاطعة "داون"، شغل الراديو ليستمع إلى الأخبار، لا شيء خارجٌ عن المألوف في أيرلندا الشمالية، حريق تخريبي في مدرسة في "توين بروك" بشرق بلفاست. زوجان عجوزان تم تقييدهما وسرقتهما في منطقة "هوليوود" في ضواحي بلفاست. رجل في الرابعة والأربعين من عمره تم اتهامه بالقتل العمد. اثنان أُصيبا بإعاقةٍ في ركبتيهما في شمال بلفاست. وفاة محافظ سابق لبلفاست. لكن لا يوجد أي خبرٍ عن سرقة بنكٍ في وسط المدينة.

بدأ القلق ينهش عقل "ليام"، وكأن هناك عاصفةً رملية تدمر تفكيره. "هل سيطلقون سراح "ستيف"؟ ماذا لو أنهم قتلوها؟ لا، لا، لماذا يقتلونها أصلًا؟ هذا ليس منطقيًّا، إلا.. إلا إذا رأت وجه أحدهم، أو إذا اغتصبها أحدهم وترك

حمضه النووي عليها. يجب أن أتصل بالشرطة، يجب أن أعطي لهم الفرصة لكي يجدوها، لكن ماذا لو أن اللصوص كانوا صادقين في إطلاق سراحها واكتشفوا أنني أبلغت الشرطة؟ ماذا لو أن لديهم تردد الشرطة على الراديو؟ هل يمكن عدِّي بريئًا في هذا الموقف؟ ماذا كان بيدي لأفعله؟ هل ستلومني "ستيفاني" على ما حدث بعد أن يتركوها؟ هذا إن تركوها. ماذا سيتبقى لي إن حمَّلتني المسؤولية؟ إلى من أذهب؟". زفر "ليام" بقوة واشتدت يداه على المقود حتى ابيضت مفاصله. "إنها غلطة ذلك الحقير "جاك". ماذا قال؟ "لا تلم نفسك على ما حدث". ذلك المنحط يعطيني درسًا في الأخلاق؟!".

إنها الحادية عشرة والنصف الآن في بيت عائلة "باتلر"، وجه "ديكلان" في غاية الشحوب وعيناه حمراوان كالدم. اعتصر قبضتيه وقال بعبوس:

- حان الوقت.

قال "أليك":

- تحمل يا بني، أنت لم تخطئ، هيا.

رفع "ديكلان" سماعة الهاتف ببطءٍ وهو يقول:

- لن يكون الأمر بهذه البساطة يا أبي، لن تصدقني الشرطة.

قال "أليك":

- تبًّا للشرطة، أنت بريء، والآن اتصل.

- مرحبًا، اسمي "ديكلان باتلر" وأريد الإبلاغ عن جريمة سرقةٍ خطيرة، إنها كارثةٌ رهيبة.



توقفت شاحنة التوصيل في مزرعة "إيمون دي بوركا" في مقاطعة "مايو"، أمال المزارع قبعته فوق رأسه ووقف في مدخل حظيرته الضخمة وأخذ يشير لـ"راكشنز" بأصابعه ليساعده في توجيه السيارة وهو يدخل بها الحظيرة. دخلت السيارة بأمان وتوارت عن الأنظار ثم قفز منها "راكشنز".

اتصل "بيلي كيلي" ليخبر "راكشنز" أن شاحنة السرقة والسيارة التي استعملوها تم تدميرهما والتخلص منهما تمامًا. دخل "بانزر" المزرعة ثم ربت على كتف "إيمون" وهمس في أذنه فغادر، ذهب المجرمان المحترفان إلى مؤخرة الشاحنة ثم فتحاها ونظرا بداخلها، استدار "بانزر" إلى "راكشنز" وهو يبتسم بسعادة ثم لكزه في صدره بمرح. سمح "راكشنز" لنفسه لأول مرةٍ منذ بدء العملية بالاسترخاء وهو يعانق "بانزر" ويقفز فرحًا.

انحنى "بانزر" وأشار إلى الشاحنة بيدٍ مفتوحة وهو يقول:

- تفضل أيها الرجل المحترم.

قال "راكشنز":

- أوه لا، هذا لا يصح، أنت أولًا أيها السيد المحترم.

- أنا أصر.

- حسنًا، إن كان الأمر هكذا.

دخل "راكشنز" الشاحنة وتبعه "بانزر"، أخرج "راكشنز" سكينًا ومزق التغليف البلاستيكي الذي يثبت المال على الألواح الخشبية المربعة، بمجرد أن مزق التغليف، وقعت رزم ضخمة من فئة الخمسين جنيه إسترليني، أخذ "راكشنز" رزمة وفتحها ثم مرر المال على وجه "بانزر".

قال "بانزر" ببهجة:

- كان حصادنا مثمرًا.

جلسا وأخرج "بانزر" سيجارتين من جيب معطفه ثم أعطى واحدة لـــ"راكشنز" وأشعل الاثنتين.

قال "راكشنز" بأسلوبٍ فلسفي:

- هذه اللحظة لا تتكرر مرتين في الحياة، يجب أن نخلدها في ذاكرتنا.

- بالطبع سنفعل.

18



نظر رئيس المحققين "كلارك دانيال" من بين شيش مكتبه إلى الساحة الأمامية، وضع سماعة الهاتف بين رأسه وكتفه، وبينما ينظف عدسات نظارته بمنديل وقال:

- هل أدخلتِ الكلب يا عزيزتي؟ أحسنتِ، قرار حكيم، لقد بدأ الثلج يهطل مجددًا.

ارتدى نظارته وسار إلى المرآة المعلقة على الجدار ونظر إلى أسنانه ثم ذكر نفسه بأنه عليه تبييضها مع بداية العام الجديد. سمع فجأة طرقة قوية على الباب، عاد "كلارك" إلى مكتبه ثم جلس وقال:

- سأغلق الآن يا عزيزتي، لن أتأخر، مع السلامة.

دخل المحقق "جيري رولاندز".

سأله "كلارك" بإرهاق:

- ما الأمر؟ الوقت متأخر.

اقترب منتصف الليل واحمرت عيناه من التعب، مهما كان ما حدث، فلينتظر حتى الصباح، كل ما يريده هو العودة إلى المنزل.

- الأمر بخصوص البنك الوطني في شارع "هاي ستريت" يا سيدي.

- حقًا؟

- نعم يا سيدي، لقد تعرض للسطو.

لم يظهر انفعالٌ قوي على وجه "كلارك" وهو يقول:

- نعم؟
- لقد سرقوه يا سيدي.
- فلتدخل في صلب الموضوع اللعين.
- قال المتصل..
- من هو؟
- "ديكلان باتلر" يا سيدي.
- من هو؟
- موظف في البنك يا سيدي.

قال "كلارك" وهو يلوح بيده بطريقةٍ مسرحية:

- تابع، أمطرني بمعلوماتك من فضلك.

اندفع "رولاندز" قائلًا:

- يقول "باتلر" إن هناك عصابة احتجزت عائلته وعائلة موظفٍ آخر طوال الأربع والعشرين ساعةٍ الماضية، وأفرغوا البنك يا سيدي!
- ماذا تعني بـ"أفرغوا البنك"؟
- يقول "باتلر" إنهم حرفيًّا "مسحوا" البنك يا سيدي.
- "مسحوا البنك"؟ تبًّا! تحدث مباشرةً! ما معنى هذا؟
- يبدو أنهم تركوا بالكاد بعض البقشيش لعمال النظافة. قال "باتلر" إنهم استولوا على عشرات الملايين يا سيدي.

أشاح "كلارك" بنظره، أراد الضحك على سخافة ما يسمعه، لكنه لا يستطيع، عاد ينظر إلى "رولاندز" ثم وقف وقال:

- أريد تأمين مسارح الجريمة فورًا، هناك ثلاثة على ما أظن؟
- أربعة يا سيدي، فزوجة موظف البنك الآخر..
- ألا تقصد سيد "باتلر"؟
- لا يا سيدي، بل سيد "ليام دايفر".
- فهمت.

- لقد أخذوا زوجة سيد "دايفر" من بيتهما في "لوجشور". و..

قاطعه "كلارك" وهو يميل رأسه:

- مهلًا مهلًا، البنك مسرحٌ للجريمة، وهناك بيتان للعائلتين الرهائن، هذا يعطينا ثلاثة مسارح جريمة، لكنك تقول إن هناك مسرحًا رابعًا لأنهم أخرجوا السيدة "دايفر" من بيتها، مما يعني أنهم لم يخرجوا عائلة سيد "باتلر" من بيتهم، وإلا لأصبح لدينا خمسة مسارح جريمة، صحيح؟

- نعم يا سيدي.

- لماذا أخرجوا عائلةً واحدة ولم يخرجوا الأخرى؟

- لا أعرف يا سيدي، لم أتحدث مع "ديكلان باتلر" بالتفصيل بعد.

- أين يعيش؟

- في غرب بلفاست.

- شابٌّ خام عز الطلب، ألا تظن؟ هل اتخذتم أي إجراءات؟

- لا يا سيدي.

- أحضره.

خلع نظارته وطواها بعناية ثم أضاف:

- عامله برفق، لكن المهم أن تحضره.



ذهب "ليام دايفر" إلى منزله ووجد سيارتي "لاند روفر" تخصان الشرطة تسدان مدخل البيت، صوب رجل شرطة بندقيته إلى "ليام" بينما ذهب آخر إليه ليحدثه عبر نافذة السيارة، وطلب منه الشرطي أن يعرِّف نفسه، وعندما سمع جوابه سمح له بالخروج من السيارة وقال:

- لدينا بلاغ بأن..

قاطعه "ليام" وهو يهز رأسه ويرفع يده:

- زوجتي.. "ستيفاني".. أين "ستيفاني"؟

أجاب الشرطي:
- إنها بأمان يا سيدي، هي معنا، إنها مضطربة قليلًا لكننا اعتنينا بها.
قال "ليام":
- حمدًا للرب.
انهار "ليام" على ركبتيه وأخذ يبكي بعدما انزاح الثقل عن كاهله.

ما زال "بانزر" عاجزًا عن إخفاء سعادته. قال:
- سأذهب لأتكلم مع "إيمون"، سأوضح له أن العواقب ستكون وخيمة إن اقترب من النقود.
عاد "بانزر" ونزل على سلالم المخبأ الخرسانية، فوجد "راكشنز" ما زال يعد النقود، سأله "راكشنز":
- هل تناقشت معه؟
قال "بانزر" وهو يجلس على برميل بيرة خشبي قديم:
- إنه عاقل.
ترك "راكشنز" آخر رزمة نقود من فئة الخمسين جنيهًا إسترلينيًّا وقال:
- انتهيت.
سأله "بانزر" بوجهٍ أحمر من الحماس:
- كم المبلغ؟
ضغط "راكشنز" أزرار الآلة الحاسبة وقال:
- ما يقرب..
واصل الضغط على الأزرار وهو يقول ببطء:
- ما يقرب.. مع احتمال نقصان أو زيادة بضعة آلاف.. لنقل..
- توقف عن العبث وأخبرني!
- ثلاثة وستون مليونًا ونصف.

قال "بانزر" باللاتينية مباركًا نفسه:

- باسم الأب والابن والروح القدس.

اتكأ "راكشنز" بذراعه على أحد الألواح الخشبية المحملة بالنقود، وشعر بأن الكلام سيفسد عظمة اللحظة.

استطاع "بانزر" الكلام أخيرًا، فقال بخفوت:

- هل.. هل يمكن أن تكرر ذلك مجددًا؟

- معي ستة وثلاثون مليونًا وخمسمئة وخمسة وأربعون ألفًا، بفئاتٍ مختلفة.

نظر "بانزر" أمامه وقال بخفوتٍ شديد:

- "راكشنز"، ليس من عادتي الاعتراف أبدًا، لكنني سأعترف بشيءٍ الآن، بصراحة لم أظنك ستنجح أبدًا.

ثم استدار إلى ابن أخيه وشريكه وكأنه يستيقظ من حلمٍ وقال:

- لا تسئ فهمي، ظننت أن هناك احتمالًا ضعيفًا بالنجاح، لكنني لم أصدق من قلبي أبدًا بأننا قد نجلس هنا مع ستة وثلاثين مليونًا ونصف.

سأله "راكشنز" بحيرة:

- لا أفهم، لماذا دفعت كل هذا المال لتمويل عملية لا تؤمن بها؟

- لا أعرف، لا، بل أعرف.

رفع "بانزر" إصبعين وأضاف:

- السبب الأول هو أنني أردت انتهاز الفرصة، لو لم أحاول لظللت أتساءل حتى موتي عن النتيجة لو أنني خاطرت. هل تتصور ذلك؟ كيف ستكون حياتك لو ظللت تتساءل "ماذا لو"؟ هل فهمت؟

- هذا منطقي، والسبب الثاني.

- أنت. فكرت في أنه لو يمكن لشخصٍ ما أن ينجح في عمليةٍ كهذه، فهذا الشخص هو أنت، ما كنت لأخاطر مع شخصٍ غيرك، لقد آمنت بك يا بني.

بدأ "بانزر" يلهث طلبًا للهواء.

شعر "راكشنز" بالقلق وذهب إليه وقال:

- لن تموت وتتركني الليلة أيها العجوز، ليس الليلة، أين حبوب القلب اللعينة تلك؟

مد "بانزر" يده إلى جيبه وأخرج علبة أقراص وأخرج قرصين وهو يهمس:

- هذه ليلتنا يا "راكشنز"، لقد انتظرت زمنًا طويلًا من أجل هذه الليلة، أشكرك يا صديقي.

وضع القرصين في فمه وبلعهما ثم قال وهو يلهث:

- أمرٌ مضحك، أليس كذلك؟

- ما هو؟

- أنا أجلس هنا مع كنز قراصنة لكنني سأموت خلال سنة، وربما أقل.

قال "راكشنز":

- توقف عن ذلك، ستظل تسرق بنوكًا بينما نتعفن نحن في الجحيم.

ضحك "بانزر" من أسلوب "راكشنز" الساخر، لكنه يعرف الحقيقة.

- أشك في ذلك.

- هل لديك ما تخبرني به؟

سعل "بانزر" ثم قال:

- لديّ.. لديَّ سرطان خبيث.

- هل يمكن أن..؟

- لا، لا يمكن علاجه؛ لقد انتشر في جسدي.

حاول "بانزر" أن يبتسم لكنه عبس رغمًا عنه.

صرخ "راكشنز":

- هراء! اللعنة! هذا هراء!

سار بين أكوام المال ودار في المكان وهو يقول:

- مستحيل. تبًّا! مستحيل. هذا غير صحيح، غير صحيح.

- كان عليَّ إخبارك مبكرًا.

جلس "راكشنز" بجانب "بانزر" واستند إلى الجدار ثم أشعل سيجارة ونفخ نفسين ثم هز رأسه وقال:

- كان عليَّ أن أعرف عندما قلت إنك امتنعت عن الطعام الدسم لتقلل نسبة الكوليسترول، كان يجب أن أعرف.

- لا بأس يا "راكشنز"، لقد تقبلت الأمر، أنا لا أخاف الموت، لم أفعل أبدًا.

- لا تقل هذا!

ربت "بانزر" على خد "راكشنز" وقال:

- لا بأس، انظر إليَّ، أنا بخير، صدقني. والآن أين زجاجة "دوم برينون" التي قلت إنك اشتريتها؟

ذهب "راكشنز" إلى شاحنة التوصيل وأحضر زجاجة "شمبانيا" وكأسين، ثم فتح الغطاء وصب لهما. وقف "بانزر" ورفع كأسه وقال:

- نخب أفضل لصوص بنوك منذ "جيسي" و"فرانك جيمس".

رد "راكشنز" بهدوء:

- نخبنا.

جلس "بانزر" مجددًا وقال:

- لقد جعلتني أفكر في أمرٍ بعد شجارنا الخفيف ليلة أمس.

قال "راكشنز" ببساطة:

- شجار بسيط؟ لا أذكر أي شجار.

ابتسم "بانزر" وقال:

- عندما قلت إننا عشنا أيام نجاحنا وانتهى وقتنا.

- آسف على كلامي.

- لا بأس، فأنت لم تكن تعرف بأنني سأودعكم قريبًا.

- لكن..

هز "بانزر" رأسه بعنادٍ وقال:

– لا أريد سماع أي اعتراضات، فليذهب أي شيءٍ إلى الجحيم، أنا وأنت عشنا أيامًا جيدة.

– بل رائعة يا زعيم.

ضحك "بانزر" وقال:

– زعيم! بل أنت كنت الزعيم طوال الوقت، أما أنا فكنت رمزًا لا أكثر.

– لا أظن هذا يا زعيم.

شرب "بانزر" رشفة "شمبانيا" وقال:

– أنت رجلٌ طيب يا "راكشنز". إذًا كنت تقول إننا أصبحنا ضحايا لنجاحنا؟

رد "راكشنز" وهو يلوح بيده بدرامية:

– هذا ما أراه. انظر حولك، هذه العملية كبيرة وخطيرة، ستجبر البنوك على التسلح بالتكنولوجيا، سينتهي زمن السطو على البنوك، سيظل الناس يسرقون البنوك لكن من خلال الإنترنت أو اللعب في البورصة.

تنحنح "بانزر" وقال:

– ماذا الآن إذًا؟ ماذا سنفعل؟

– لا شيء، سأخرج من اللعبة.

– تخرج من اللعبة؟ ما معنى هذا؟

– سأرحل.

– حقًّا؟

حانت اللحظة التي كان يخشاها "راكشنز". قال:

– لقد اكتفيت، سآخذ حصتي وأغادر بعد انتهاء العملية تمامًا.

فرك "بانزر" ذقنه وقال:

– هممم.. أين ستذهب؟

– لا أعرف بعد، لكنني سأغادر أيرلندا.

اضطر "بانزر" إلى الابتسام وقال:

– لا أستطيع أن ألومك. من الغريب أنني لم أرغب في التقاعد أبدًا.

تردد قليلًا ثم أضاف:

- أنا قلقٌ على "فينبار".

قال "راكشنز" وهو يفرك حاجبيه وهو ينظر إلى "بانزر" بتمعن:

- ليس عليك ذلك، أعترف أنه مليء بالعيوب، لكنه ذكي ويمكنه التصرف.

- أتمنى هذا.

خطرت على بال "راكشنز" فكرةٌ مفزعة، فسأله:

- إنه لا يعلم أن المال هنا، صحيح؟

- لا.

- يجب أن تكون صادقًا معي بهذا الشأن يا "بانزر".

- إنه لا يعلم بشأن هذا المكان.

- هل يمكنه التخمين؟

- لا.

قال "راكشنز" لنفسه: "اللعنة، اسأله عما تريد حقًّا".

- هل يعلم أي شخصٍ آخر بهذا المكان؟

- مثل من؟

- لا أعرف، أي شخص.

نظر "بانزر" إلى "راكشنز" مباشرةً وقال:

- من تظنني أخبرت؟ الجيش الجمهوري مثلًا؟

- هل فعلت؟

- فعلت ماذا؟

- هل أخبرت الجيش الجمهوري؟

نهض "بانزر" ورفع يده وكأنه سيضرب "راكشنز"، لكن "راكشنز" لم يهتز. لوح "بانزر" بإصبعه وكأنه يوبخ "راكشنز"، وقال:

- ماذا قلت لي للتو؟

- سألتك إن كنت قد أخبرت الجيش الجمهوري.

سار "بانزر" لنهاية المخبأ ثم استدار ووضع يديه خلف ظهره وعاد إلى "راكشنز" ومال عليه وقال بصوتٍ منخفض:

- لماذا تسألني سؤالًا كهذا بحق الجحيم؟ لماذا؟

رد "راكشنز" بصوتٍ مماثل:

- لأنك قابلت "تايني مردوخ" منذ بضعة ليالٍ في ميناء "ماكيلان".

جلس "بانزر" وأمال رأسه وهو يقول:

- ثم ماذا؟

- أريد أن أعرف لماذا قابلته.

نقل "بانزر" إصبعه بينه وبين "راكشنز" وهو يقول:

- هل تظنني أخبرته عن العملية؟

هز "راكشنز" كتفيه وانفجر "بانزر" بالضحك، استغرق دقيقةً كاملة حتى يسيطر على نفسه فيما ابتسم "راكشنز".

قال "بانزر" وهو يضحك:

- الجيش الجمهوري يريدني أن أكون واجهة لسلسلة بارات تابعة لهم.

- حسنًا.

- كانوا سيدفعون مليونين في هذه العملية.

- لكنك لم توافق، صحيح؟

- ماذا تظن في رأيك؟

ساد صمتٌ ثقيل بينما غرق الرجلان في تفكيرٍ عميق، ثم قال "راكشنز":

- سأذهب بضعة أيامٍ لمقابلة "سيرجي".

أومأ "بانزر" وقال:

- حسنًا. هل يمكنني مساعدتك في شيء؟

- ليس حقًّا، عليَّ متابعة نقل المال، لا أريد أن تفسد الأمور في الخطوة الأخيرة.

شرب الرجلان الشمبانيا، ثم قال "راكشنز":

- أعرف أنك تحدثت مع "إيمون"، لكن ربما عليَّ التحدث معه أنا أيضًا، من باب التأكيد عليه لا أكثر.

قال "بانزر":

- لا داعي، لقد فهم الرسالة، لن يزعجنا، فلنذهب الآن؛ أشعر برغبةٍ شديدةٍ في النوم.

غفت "إلينور بروكتور" على الأريكة قليلًا، وعندما فتحت عينيها كان "فرانك" يتحدث في الهاتف، بدا متجهمًا، لكنه يبدو كذلك في العادة. ترك الهاتف ثم استدار إلى "إلينور" وقال:

- تعرض البنك للسرقة.

قالت "إلينور" وهي تنهض وتسرح شعرها:

- أليس هذا خطرًا متوقعًا في هذه المهنة؟

قال "فرانك":

- لا داعي للسخرية يا "إلينور"، لقد استولوا على ملايين، لا يستطيع البنك حتى تقدير المبلغ بالضبط، يجب أن أذهب الآن.

- هل هناك ما يمكنني فعله؟

رد "فرانك" وهو يعدل ربطة عنقه:

- لا.

- هل لديكم فكرة عن هوية الفاعل؟

- ما زال الوقت باكرًا على الاستنتاج، ربما يكون الجيش الجمهوري. من يعلم؟

قالت في سرها: "أنا أعلم".



عندما وقف "ليام دايفر" على باب منزل والدته، شعر أنه عاد طفلًا في عمر السادسة يخاف من الوحوش التي تسكن تحت سريره، وأكثر ما يخيفه هو أنه يتخيل مدى الرعب الذي مرت به "ستيفاني"، "كيف سيكون تأثيره عليها يا

ترى؟". ظل هذا السؤال ينهش عقله. دخلت سيارة شرطة الممر المؤدي إلى المنزل، وسحب "ليام" نفسًا عميقًا.

خرجت "ستيفاني" من السيارة ملفوفة ببطانية رمادية وتتكئ على ضابطة شرطة ترتدي ملابس مدنية. ذهب "ليام" وأمه "أورسولا" إلى "ستيفاني" وعانقاها، انهارت بمجرد أن رأته لكنه احتواها بين ذراعيه وقال وهو يحملها إلى الداخل:

- لا بأس يا حبيبتي، أنا معكِ، انتهى الأمر يا "ستيف"، أنتِ بأمان الآن.

على الرغم من كلماته المطمئنة فإنه كان مصدومًا من حالتها المزرية، شعرها الأشقر رطبٌ وأشعث وملتصق بوجهها وكأنما وُضِع عليه صمغ، لكن عينيها هما أكثر ما صدمه، كانتا غائرتين وزائغتين وبلا حياة. أسندت رأسها إليه وبكت بينما يرتجف جسدها بلا توقف.

عندما حملها إلى الأريكة وجلس معها يحيطها بذراعه، قرر بالفعل أنه اكتفى من عمل البنوك. قال:

- تسعدني رؤيتكِ يا حبيبتي، أنا آسفٌ لما حدث لك، آسفٌ جدًّا. لقد انتهى الأمر الآن يا حبي.

أراحت "ستيفاني" رأسها على ذراعه بينما تنظر إلى السقف بعينين مفتوحتين عن آخرهما. أزاح "ليام" شعرها عن خديها بأصابعه وهمس:

- حبيبتي "ستيفاني" الجميلة، "ستيف"؟

لم تبد "ستيفاني" أي ردة فعل، فناداها بقلق:

- " ستيف"؟!

دارت عيناه بجنون في وجهها بحثًا عن إشارة تخبره إن كانت سمعته أم لا.

- هل أنتِ بخيرٍ يا حبيبتي؟ تحدثي معي يا "ستيف". هل تسمعينني؟

قالت الضابطة:

- سأعد لكما بعض الشاي.

نظر "ليام" إلى الضابطة ولَّح لها أنه يريد التحدث معها على انفراد. ابتعدا عن "ستيف" لكيلا تسمعهما.

قالت الضابطة:

- لم أقدم نفسي بعد، أنا "ديردري فيتزباتريك".

صافحها ثم سألها:

- هل فحصها طبيب؟

- نعم، منذ قليل.

- وماذا قال؟

- قال إنها مصابة بصدمةٍ خفيفة، لن تدوم أكثر من أربعٍ وعشرين ساعة.

- حسنًا.

- قال أيضًا إنها مصابة بالجفاف ومن الأفضل أن..

قاطعها "ليام" بيده وقال:

- مع احترامي، لكن لماذا لا يخبرني الطبيب هذا الكلام بنفسه؟

- أظن أن لديه..

قاطعها "ليام" بحدة:

- عذرًا لكنني لا أريد سماع افتراضات، أريد أن يحدثني الطبيب عن حالة زوجتي وصحتها.

- سأقوم بالترتيبات اللازمة يا سيدي.

- أقدر ذلك، لا أريد أن أبدو فظًّا، لكن في الوقت الحالي أود قضاء بعض الوقت مع زوجتي على انفراد.

- بالطبع.

توحي نبرتها بأن لديها المزيد لتقوله، وهذا ما فعلت:

- هل تعلم أن الأربع والعشرين ساعة التالية للجريمة تكون الأهم في التحقيق؟

- لم أعرف ذلك.

- هذا هو الوضع يا سيد "دايفر"، لا أريد أن أبدو متطفلة لكن القسم الجنائي طلب مني إبلاغك أنهم يريدون التحدث معك ومع "ستيفاني" بأسرع ما يمكن.

شد "ليام" شفته بإبهامه وسبابته واعتصرها بتفكيرٍ وهو يجيب:

- بالتأكيد. سنتحدث معهم عندما نهدأ، لكنني لا أعرف متى بالضبط، لا تستطيع زوجتي التحدث مع أحدٍ الآن.

قالت "ستيفاني":

- بل أستطيع.

نظر "ليام" حوله فوجد "ستيفاني" تستند بذراعها إلى الأريكة وتحاول النهوض، ذهب إلى زوجته وأجلسها مجددًا وهو يقول:

- "ستيف"، أنتِ لستِ..

- أريد التحدث مع الشرطة، أريد إخبارهم بما أتذكر.

- لاحقًا يا حبيبتي، لا أظن أن حالتكِ تسمح بـ...

قالت "ستيفاني" بإصرارٍ وتصميم:

- بل الآن، أريدهم أن يقبضوا على هؤلاء الأوغاد يا "ليام"، أريد الإدلاء بشهادتي في المحكمة، أريد رؤيتهم مرعوبين في قفص الاتهام بينما أشهد ضدهم.

سألت الضابطة:

- هل أطلب القسم الجنائي؟

ابتسم "ليام" وقال وهو يمسك يدها:

- نعم.

غادرت "ديردري فيتزباتريك" البيت وتبعها "ليام" ليسألها:

- متى سينتهي رجال المعمل الجنائي من عملهم؟

- لا يمكنني الجزم، قد يجدون أدلةً جنائية مهمة في بيتك، أتوقع أن يظل خبراء التحقيق الجنائي هناك لبعض الوقت نظرًا لخطورة الجريمة.

- شيءٌ آخر؛ لماذا أخذوا زوجتي من البيت وتركوا عائلة زميلي في بيتهم؟

ابتسمت "ديردري" وقالت:
- سيوجه القسم الجنائي هذا السؤال لزميلك بالتأكيد.
قال "ليام":
- أشعر بالفضول لمعرفة الإجابة.



تجول رئيس المفتشين "دانيال كلارك" في خزنة البنك الوطني، لا يريد الوجود هناك، ولا يريد أن يرتدي معطف المعمل الجنائي الأبيض، لا يريد النظر إلى خزنة بنكٍ فارغة تقريبًا. أغمض عينيه وحرك يديه وكأنه يكدس رزم نقود ضخمة في عربة "ترولي"، تخيل رجلان يملآن عربات "ترولي" بالمال بهدوءٍ وسرية ومنهجية.

دخل المفتش "جيري رولاندز" الخزنة وقال:

- قال "ديكلان باتلر" إنه مر بغرفة الأمن وخرج من البنك حاملًا حقيبة رياضية بها مليون جنيه تقريبًا.

- بهذه البساطة؟ خرج من البنك بمليون جنيه ولم يشك أحد؟

- على ما يبدو يا سيدي. بعد ذلك ذهب إلى شارع "رينج لاند" حيث سلم الحقيبة إلى أحد اللصوص.

- هذا قبل أن تأتي الشاحنة البيضاء لتأخذ أول حمولة من المال؟

- نعم يا سيدي.

- قاموا باختبارٍ سريع وأمَّنوا خروج المال من البنك، كان يعلم اللصوص أنه لم يحدث اختراقٌ أمني مباشر.

استدار "كلارك" ونظر خارج الخزنة ثم قال:

- قلت إن "باتلر" مر بغرفة الأمن، من كان فيها؟

نظر "رولاندز" إلى دفتر ملاحظاته وقال:

- "سيسيل ويلكنسون" و"جوزيف بيتلز".

- هل عرفتم المبلغ المسروق؟

- ما زالوا يقومون بالإحصاء يا سيدي، لكنه ما يقرب ثلاثين مليون جنيه إسترليني.

- هل تظنهم مشتركين جميعًا في هذا؟

- من يا سيدي؟

- رجلا الأمن و"باتلر" و"دايفر".

- لا أعرف يا سيدي، لا أظن.

- حقًّا؟

تخيل "كلارك" أربعة رجال يجلسون حول طاولةٍ خشبية في ركن بارٍ صغير، أرضه حجرية وجدرانه مغطاة بألواحٍ من خشب البلوط، والبار خالٍ إلا من النادل الذي ينظف الكؤوس. بينما يشربون البيرة اقترح أحدهم فكرة؛ "لنسرق بنكنا".

- هذا صعب التصديق يا سيدي.

- أتظن هذا يا "جيري"؟ أرى العكس. ماذا لو أن أقاربهم مشتركون في الخدعة أيضًا؟ ماذا لو أنهم لم يتعرضوا للخطف أصلًا؟ كل ما عليهم فعله هو التمسك برواية القصة نفسها بأنهم كانوا رهائن ثم يصبحون مليونيرات بين ليلةٍ وضحاها، ليس هذا فقط، بل إننا سنميل إلى تصديقهم بلا أدنى شكٍّ أيضًا، صحيح؟

حك "رولاندز" ذقنه بشكٍّ وقال:

- لكنه احتمالٌ ضعيف، أليس كذلك؟

- بما أننا نتحدث عن سرقةٍ ضخمة، فأي شيءٍ ممكن. الخلاصة هي أنه سواء كان موظفًا واحدًا أو أكثر، المهم أنهم كانوا يعملون سرًّا مع اللصوص الذين هربوا بالمال.

تفحص "كلارك" قفل الخزنة وأضاف:

- سأخبرك أمرًا يا "جيري"، لو أنني عرفت أن نظام الأمن في هذا البنك بهذا الضعف، لشعرت بالإغراء لسرقته أيضًا.

ابتسم "رولاندز".

استدار "كلارك" إلى كاميرات المراقبة وقال:

- فيديو المراقبة. أريدك أن تجهز فريقًا لتفريغ شرائط المراقبة الخاصة بالكاميرات الموجودة في وسط المدينة للست والتسعين ساعة السابقة للسرقة، أريد قائمة من المشتبه بهم الأساسيين، بدءًا من الجيش الجمهوري. أريد اعتقال "تايني مردوخ" ومساعده الأساسي، ما اسمه؟

- "كولم كولمان" يا سيدي.

- نعم، اعتقله أيضًا، وذلك الرجل.. قريب "بانزر أوهاري"؟

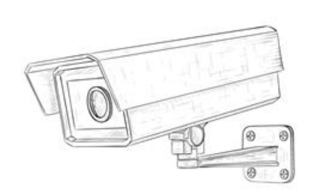
- "راكشنز أوهاري".

- اعتقله أيضًا، في الواقع أريد اعتقال كل من على القائمة، أريد أن أعرف كيف يمكن سرقة ملايين الجنيهات من البنك دون اختراق الباب الرئيسي!

- سيدي، هل يمكنني أن أقترح مراقبتهم لفترةٍ أولًا قبل اعتقالهم؟ ربما يقودوننا إلى المال.

فكر "كلارك" قليلًا ثم أومأ وقال:

- موافق. لنفعل ذلك ليومٍ أو اثنين. راقب هؤلاء الأوغاد بأقصى عددٍ ممكن من رجالنا.



19



توقف "راكشنز" خارج بيتٍ على الطراز الريفي البسيط في "بالينا"، وركن سيارته. الشارع مظلم ومهجور. بعد ذلك ركب سيارة "ڤان" نوافذها مطلية وقادها.

في الوقت نفسه كان "بانزر" يقود سيارته من بلدة "إنيسكيلين" إلى بلفاست بينما يتحدث على الهاتف بالشفرة.

- هل يمكن أن تحضر ذلك الطرد؟

ابتسم "تايني مردوخ" بينما يغادر فندقًا في وسط بلفاست، وقال:

- سأفعل بالطبع.

- هل تعرف مكانه؟

- حيث قلت إنه موجود؟

- هذا صحيح. هل سمعت بالأخبار؟

رد "مردوخ" وهو عاجزٌ عن منع ابتسامته الساخرة:

- نعم.

- حسنًا، بالتوفيق.

- لك أيضًا.

أغلق الخط ورفع يده في الهواء بانتصار ثم ذهب إلى كابينة الهاتف واتصل بـ"كولم كولمان".

كان "كولمان" يجلس في سيارته المتوقفة خلف شاحنةٍ زرقاء. رد على الهاتف:

- مرحبًا.

نظر "مردوخ" خارج الكابينة ليتأكد من أن لا أحد يتبعه أو يراقبه، ثم عاد ينظر إلى الهاتف ويتكلم:

- هل الأمور على ما يرام؟
- بأفضل حال.
- لقد تحدثت مع صاحب المزرعة.
- و؟
- الطرد جاهز.
- جيد، سأصل إلى هناك قريبًا.



أوقف "راكشنز" السيارة الـ"ڤان" في مزرعة "إيمون دي بوركا" وخرج منها ليفتح باب الحظيرة لكي يُدخل السيارة. نظر "إيمون" إليه من نافذة غرفته، لم يخبروه أنهم سيعودون في منتصف الليل. "من في تلك السيارة وماذا يفعل؟ سأنزل وأرى ماذا يحدث".

كان "راكشنز" يُحَمِّل حقائب في السيارة الـ"ڤان" عندما دخل عليه "إيمون" مندهشًا، مرر يده على سرجٍ قديم لكنه ظل يتابع "راكشنز" بعينيه.

قال "راكشنز":

- إنه أنا، سأملأ الحقائب وأنت انقلها إلى الـ"ڤان" يا "إيمون".

قال "إيمون" بينما يسير نحو "راكشنز":

- "بانزر" ليس معك؟

رد "راكشنز" وهو ينزل سلالم المخبأ:

- العجوز نائمٌ في بيته، ذلك الوغد المحظوظ.

ثم عاد حاملًا المزيد من الحقائب وناولها لـ"إيمون".

سأله "إيمون" وهو يأخذ منه الحقائب:

- هل حدثَ خطأٌ ما؟ لم أتوقع عودتك الليلة.

- قرر الزعيم في آخر لحظة أنه لا يجب علينا وضع الغنيمة كلها في مكانٍ واحد.
أومأ "إيمون" وقال:
- منطقي.
- أنت تعرف "بانزر" يا "إيمون"، لا يمكن توقع تصرفاته، إنها نقطة قوته، هكذا نجا بأفعاله طوال حياته.
وضع "إيمون" الحقائب في مؤخرة الـ"ڤان" وعاد إلى مدخل المخبأ، ظهر "راكشنز" مجددًا ومعه حقيبتان ناولهما لـ"إيمون" الذي قال:
- إنه رجلٌ محترف، هذا أكيد.
- إنه ليس بخير كما تعلم.
- ما الأمر؟
توقف "راكشنز" إلى "إيمون" وقال:
- ألم يخبرك؟
نظر إليه "إيمون" بحيرة.
- مريض سرطان.
- سرطان؟! يا إلهي!
- ظننته أخبرك. عدني أنك لن تقول أنني أخبرتك يا "إيمون".
- لا، لا. ثق بي يا "راكشنز"، أعلم متى يتوجب عليَّ الاحتفاظ بسر.
وضعا ست حقائب أخرى ثم خرج "راكشنز" من المخبأ وأغلق باب الـ"ڤان" الخلفي ثم ركب ليقود. اقترب "إيمون" من نافذة السائق وقال:
- هل انتهيت؟
- ما الأمر؟
نظر "إيمون" إلى الأرض وقال:
- "راكشنز"، هل.. هل يمكنني الحصول على المزيد من المال؟ أنا أقوم بمخاطرةٍ كبيرة و..
- "إيمون"..

- لكن..

وضع "راكشنز" إصبعه على فمه ليسكته وقال:

- يجب أن تحصل على المزيد من المال، سأتحدث مع "بانزر" في الأمر، لكن لا تتصل به لأن هاتفه مراقب.

قال "إيمون" وهو يبتسم:

- هل تظنني لا أعرف الإجراءات؟ بالطبع سيكون مراقبًا.

لم يتوقع "إيمون" أن "راكشنز" سيتعاطف مع طلبه للمال، لقد ظن أن التفاهم معه سيكون أصعب من "بانزر". وجَّهه "إيمون" بحماس وهو يخرج بالسيارة من الحظيرة ثم لوح له مودعًا وهو يغادر المزرعة.



اقترب الفجر وبدأ النعاس يهاجم "راكشنز"، ظل يقاومه باستماتة، ففتح علبة علكة وفتح كل النوافذ. "يجب أن أبتعد عن مزرعة "إيمون" بأقصى ما يمكن، أحتاج إلى النوم بشدة. تبًّا للنوم، لأغني أو أصرخ، يجب أن أفعل أي شيءٍ لمقاومته".

شغل الراديو فترددت أغنية "Fairytale of New York" بصوت "شاين ماكجوان" و"كيرستي مكول". أخذ يغني مع الراديو بصوتٍ عالٍ، اقتربت منه شاحنةٌ ضخمة، فتراجع في كرسيه، لمح ثلاثة رجال في الشاحنة التي تتبعها سيارة "أودي" سوداء، نظر "راكشنز" أمامه مباشرةً لكنه اختلس النظر إلى سائق الـ"أودي" السوداء الذي كان يتحدث على الهاتف ويومئ برأسه، هتف "راكشنز" بدهشة:

- "كولمان"!

نظر في مرآة الرؤية الخلفية بينما تبتعد الشاحنة والسيارة عن مرآه، فتح باب الجراچ ودخل بالـ"ڤان" ثم خرج منها وتحرك بسرعة. "إنهم من الجيش الجمهوري اللعين، إنهم في طريقهم إلى مزرعة "إيمون" ليأخذوا المال، اللعنة!".

- كنت على حق، عرفت ذلك. يا لك من واشٍ قذر يا "بانزر"!

كان "إيمون دي بوركا" على وشك النوم عندما سمع صوت الشاحنة الضخمة والسيارة الـ"أودي" يتوقفان في مزرعته. "ليس مجددًا، سيحل الصباح قبل أن أنام".

خرج "كولمان" من السيارة وخرج أحد الرجال الثلاثة من الشاحنة. ثم سارا إلى البيت وطرقا الباب. في الوقت نفسه خرج الرجلان الآخران وفتحا باب الحظيرة ودخلا، فقاد السائق الشاحنة إلى الداخل.

كان "إيمون" يرتدي ملابسه الداخلية فقط، اختلس النظر من خلف ستائر الطابق الثاني. "لا أظنهم من الشرطة، ربما من الأمن الوطني؟ لا، لو كانوا الأمن الوطني لاقتحموا البيت بالفعل، من هم؟".

طرق "كولمان" الباب بعنفٍ مجددًا، ارتدى "إيمون" البنطال والتي شيرت ثم فتح الباب وقال مطالبًا:

- من أنتم؟ وماذا تريدون؟
- نحن الجيش الجمهوري يا "إيمون"، لا تقلق؛ "بانزر" يعرف بقدومنا.
- ماذا تريدون؟
- المال.

حك "إيمون" ذقنه وقال لنفسه: "هؤلاء الرجال قد لا يكونون من الجيش الجمهوري أصلًا، لن أخبرهم شيئًا".

- أي مال؟ ليس لديَّ مال.

استدار "كولمان" وفتح الرجل الذي بجانبه معطفه ليظهر مسدسًا رشاشًا. قال "كولمان":

- المال في مخبأ سري تحت الأرض في حظيرة مزرعتك يا "إيمون"، كيف كنت سأعرف هذه المعلومة من نفسي؟ لقد أخبرني "بانزر"، هو و"راكشنز" وضعاه هناك هذه الليلة.

- لو أنكم من تقولون فعلًا، فتفضلوا، افعل ما تريد أيها القائد.

قال "كولمان":

- أريدك أن تأتي وترينا مدخل المخبأ.

قال "إيمون" بينما يسيرون إلى الحظيرة:

- لو أتيتم أبكر قليلًا لقابلتم "راكشنز"، إنه رجلٌ طيب.

توقف "كولمان" مصدومًا وأمسك ذراع "إيمون" وهو يسأله:

- ماذا قلت؟

- ماذا؟

- قلت إننا كدنا نقابل "راكشنز"؟

- نعم.

- هل جاء مجددًا بعدما أتى مع "بانزر" ليضعا المال؟

- نعم.

عرف "كولمان" إجابة سؤاله التالي، لكنه سأله بأي حال:

- ماذا أراد؟

- مثلكم تمامًا؛ جاء بسيارة "ڤان" وملأها بالمال.

قال "كولمان" بقلق:

- أرني المخبأ.



توقع "تايني مردوخ" أن يلقوا القبض عليه، فغادر بيته. لن يلقوا القبض عليه إلا إذا أراد، وليس إذا أرادت الشرطة. استلقى على سريرٍ كبير في بيت أحد أتباعه وأخذ يشاهد التليفزيون، لكنه لم يكن منتبهًا له، فعقله كان في مقاطعة "مايو". رن هاتف البيت.

قال "كولمان":

- لدينا مشكلة.

- حقًّا؟

– ليس العجوز بل الرجل الآخر، مساعده.

– ما الأمر؟

– لقد جاء قبلي.

– وحده؟

– نعم.

– ما الخسائر؟

رد عليه بالشفرة:

– لقد أخذ كل "البلاط القديم".

– أنت تمزح بالتأكيد!

– لا.

قال "تايني مردوخ" في سره: "أخذ كل النقود القديمة المستعملة والتي لا يمكن تتبعها، ولم يترك لنا سوى النقود الجديدة التي ستكون مسلسلة على الأرجح وقد لا تستحق ثمن الورق المطبوعة عليه لأنهم سيتتبعونها بسهولة. لماذا لم أجند ذلك الوغد منذ سنوات؟ اللعنة!".

قال "كولمان":

– لا أظن أن العجوز يعلم بكل هذا.

– ولا أنا. حسنًا.

أغلق "مردوخ" الخط ونهض من على السرير ودار في الغرفة وهو يحدث نفسه: "هل تظن أنه من السهل سرقة مالي؟ مال الجيش الجمهوري؟ سنجدك يا "راكشنز". تبًّا، من تظن نفسك أيها القذر؟! هل تظن أنك تستطيع خداع الجيش الجمهوري؟ هل تظن أنه يمكنك الهرب منا؟". ثم وقف وأخذ الهاتف.

💰💰💰

تقلب "بانزر" في سريره بسبب كابوسٍ يحلم به، حلم أن مغناطيسًا ضخمًا يجذب البشر نحوه، وخلف المغناطيس يوجد رجلٌ بشعرٍ أشعث طويل وخدود

تبدو مجروحة بموسٍ حاد. كان "بانزر" في الحلم شابًّا ويشعر بقوة الجذب. رن هاتفه فبدا مثل صوت طنين آتٍ من بعيد يستدعيه للعودة إلى الواقع، علا الصوت أكثر فاستدار "بانزر" ومد يده وأخذ الهاتف دون أن يفتح عينيه. تمتم:

– ماذا؟

– إنه أنا.

عرف "بانزر" صوت "مردوخ"، فنهض وقال:

– نعم؟

– قابلني.

– متى؟

– الآن، في المكان المعتاد.

– ألا يمكن للأمر أن ينتظر؟

– مستحيل، اللعنة! انهض واذهب الآن.

استفاق "بانزر" وأزاح الغطاء وخرج من السرير. ارتدى نعله وهو يقول لنفسه: "هناك خطأ، لكن ما هو؟ سأتصل بـ"راكشنز". لا أستطيع؛ لا يمكنني إخباره أن "تايني" دخل اللعبة. المال! هناك مشكلة في المال بالتأكيد، سأتصل بـ"إيمون".



عاد "إيمون" إلى البيت بعدما خرجت الشاحنة والسيارة الـ"أودي" من المزرعة، رن هاتفه وظهر اسم "بانزر" فأجاب.

– مرحبًا.

– "إيمون"؟

قال "إيمون":

– يسعدني سماع صوتك.

– لماذا؟

– سأخبرك لماذا، لقد تحولت مزرعتي إلى ميدان مزدحم الليلة.

شعر "بانزر" بغصةٍ في حلقه وهو يسأل:

- من جاء؟
- أولًا جاء "راكشنز".
قال "بانزر" لنفسه: " عاد "راكشنز" إلى مزرعة "إيمون" بعدما غادرنا معًا؟ دون إخباري؟ لا بد أنه عرف أن الجيش الجمهوري سيستولي على الغنيمة. ما العمل الآن؟ مهلًا ـ هذه ليست غلطتي. مستحيل! لم أخبر أحدًا، لكن "تايني" لن يصدقني، سيظن أنني ما زلت أعمل مع "راكشنز".
واصل "إيمون" كلامه:
- جاء بسيارة "ڤان" وملأها.
لم يجب "بانزر".
- "بانزر"؟
- ماذا؟
- قلت لك لقد ملأ سيارة "ڤان".
سأله بالشفرة:
- هل جاء "عمال النقل"؟
- لقد غادروا للتو، لكنهم غير راضين.
رد في سره: "بالطبع ليسوا كذلك"، ثم رد عليه:
- شكرًا يا "إيمون".

أغلق الخط ومد يده ليتناول كوب ماء من على الـ"كومودينو" وشربه دفعةً واحدة، سعل كثيرًا وكأن السعال سيصفي ذهنه كما يصفي حلقه، ونهش التوتر جسده وكأنما ضربه برق وفتكت به عاصفة. نظر إلى صورةٍ معلقة على الجدار كانت تجمعه بـ"راكشنز" ويضع كلٌّ منهما ذراعه على كتف الآخر بينما يجلسان في بار في جزر الكناري. كان موسم احتفالات والناس سعداء. ما زال يتذكر كلمات "راكشنز" بعد الصورة: "نحن خالدان يا "بانزر"، سنحيا للأبد".



دخل "راكشنز" جراج تابعًا لبيتٍ منعزل في ضواحي بلدة "سليجو"، ثم أغلق باب الجراج ودخل البيت من الباب الأمامي، بعد ذلك ذهب إلى الباب الخلفي مباشرةً وفتحه، ثم نقل حقائب المال إلى داخل المنزل ووضعها في دولابٍ ضخم في غرفة النوم بالطابق العلوي، ثم شعر أن السرير الكبير الموضوع تحت النافذة يناديه، فنظر إلى ساعته ثم بلا تفكير خلع حذاءه واستلقى على السرير. "سأرتاح قليلًا فقط، ولو بضع دقائق". رن هاتفه وظهر رقم "بانزر"، فتجاهل المكالمة.

النهار في بدايته وميناء "ماكيلان" مهجور، إلا من "بانزر" الذي يجلس مع "مردوخ" بسيارته، وهناك سيارة أخرى بها رجلان مركونة عند مدخل الميناء. قال "مردوخ" بغضب:

– لقد عرف أننا قادمون لأخذ المال.

رد "بانزر":

– لا يمكنك التأكد من هذا.

– تبًّا! بالطبع كان يعرف، لماذا أخذ المال إذًا؟

– ربما كان يخطط لخداعي منذ البداية.

هز "مردوخ" رأسه وقال:

– مستحيل، لا، أنا أعرف هذا الرجل، هل تعرف لماذا؟

أشار "مردوخ" إلى صدره وأضاف وهو يومئ بقوة:

– لأنه يذكرني بنفسي.

ثم نقر صدر "بانزر" وهو يقول:

– الولاء أساسي بالنسبة إليه، إنه وفيٌّ لك، ما كان ليخدعك أبدًا ولا بعد مليون سنة.

ثم لوح بسباته وأضاف:

– إلا إذا ظن أنك ستخدعه أولًا، هل أنا محق؟

أومأ "بانزر".

– أخبرني إذًا، كيف عرف أننا سنذهب لأخذ المال؟

– لا أعرف، لم أخبره.

- من يعرف بأمر العملية غيرك وغير "راكشنز" وابنك؟
- لا أعرف. صدقني.
حك "مردوخ" ذقنه بتفكيرٍ وقال:
- أخبره ابنك.
- لا، لم يفعل، فهو يكره "راكشنز"، وعلى كل حال "فينبار" لا يعلم باتفاقي معك.
- من إذًا؟
- لا أعرف.
- ماذا سيفعل "راكشنز" بالمال؟
- بالتأكيد أصدرت الشرطة أمرًا بمراقبته، وهو يعلم هذا، كما يعلم أن الجيش الجمهوري سيبحث عنه في أيرلندا.
- أيرلندا؟ سنطارده لآخر العالم لو لزم الأمر!
أومأ "بانزر" وقال في سره: "لقد خدعك تمامًا، أليس كذلك يا "تايني"؟ ظننت أنك جهزت كل شيء، وكل ما عليك فعله هو الجلوس وانتظار المال، أليس كذلك أيها الوغد الجشع؟ أحسنت يا "راكشنز"، أحسنت يا بني".
قال "مردوخ":
- لا تبدو منزعجًا لأن هذا الحقير خدعنا.
- ما زلت أظنه خدعني أنا.
هز "مردوخ" رأسه وقال:
- كيف سيغسل المال؟ عن طريق "سيرجي ميرسير"؟
رد "بانزر":
- على الأرجح، إنه أول وسيط اتصلنا به.
- تبًّا.
ظهر الانزعاج على وجه "مردوخ"، فسأله "بانزر":
- هل تعرف "سيرجي"؟
لم يحاول "مردوخ" إخفاء ضيقه وهو يرد:

- نعم.
- هل من مشكلة؟
حك "مردوخ" عنقه وقال:
- إنه على خلافٍ معنا، ما زالت علاقتكما طيبة، صحيح؟
- بالتأكيد.
- أخبره أنني سأتصل به.
- حسنًا.
سأل "مردوخ":
- كيف سينقل المال إليه؟
- عبر قارب صيد.
- في أي ميناء؟
- ميناء "ويكسفورد".
- أريد اسم القارب واسم قبطانه.
قال "بانزر":
- سأندهش لو اتبع "راكشنز" الخطة الأصلية، لا أظنه سيذهب إلى "سيرجي ميرسير" الآن، ماذا عنك؟
- فلتأمل أن يفعل، هذا لمصلحتك.



جلس "ديكلان باتلر" في مركز الشرطة ليتم استجوابه، وضع يديه على حافة الطاولة وتأرجح بالكرسي لكي يستند إلى رجليه الخلفيتين، كان يجلس في غرفة استجواب وينظر إلى مرآة ذات اتجاهين تحتل أحد الجدران وتخفي خلفها حجرة فيها رئيس المحققين "كلارك" مع ثلاثة ضباط آخرين.

قال "كلارك":
- يبدو شابًّا واثقًا بنفسه، أليس كذلك؟ يبدو مسترخيًا، أتساءل من أين أتى بهذه الثقة.

استدار إلى "جيري رولاندز" وقال:

- هل أخبرتموه بحقوقه؟

- نعم يا سيدي.

- ورفض حضور محامٍ معه؟

- نعم يا سيدي.

قال "كلارك" وهو ينظر إلى أظافره:

- هذه ليست تصرفات رجلٍ مذنب. لو كنت الجاسوس لأصررت على وجود محامٍ معي، صحيح؟

قال الضابط "سيريل جونز":

- ربما يعلم ذلك بالفعل، ستكون قصته مقنعة في المحكمة ما دام لم يعترف بارتكاب الجريمة، ربما استشار محاميًا قبل وقوع السرقة.

قال الضابط "فيليب فيلدز":

- أو ربما استشار "تاين مردوخ"، لو أن هذه العملية تابعة للجيش الجمهوري وهذا الشاب هو الجاسوس، فلا بد أن "تايني" أخذه ودربه على مقاومة الاستجواب.

لم يقتنع "كلارك" بكلامهما وقال:

- أيًّا كان من يرشد السيد "باتلر" -هذا لو أنه موجود أصلًا- فبالتأكيد كان سينصحه بأن يصر على وجود محامٍ معه أثناء الاستجواب، هذه قاعدة ثابتة، أما ما يحدث الآن فغير معتاد.

بمجرد أن أخذوا "ديكلان" إلى بيت "دايفر"، ظن أنه سينتهي به المطاف في زنزانة، أدرك أن مسيرته المهنية في مجال البنوك انتهت، فشعر بالأسف على نفسه وهو يتكلم في سره: "هل يمكن أن تسوء الأمور أكثر؟ هل يمكن؟ أعني.. كان لديَّ وظيفة مهمة، ثم فجأة تعرضت للتهديد والاعتقال والاحتجاز في هذا الجحيم لأنني "ساعدت" اللصوص. ساعدت اللصوص؟! هل حاول أي شخصٍ مساعدتي أنا؟ أين العدالة؟ هؤلاء الضباط ليسوا أغبياء، أليس كذلك؟ بالتأكيد يعرفون أن

اللصوص أوقعوا بي، صحيح؟". شعر بالغثيان، وكأن هناك سربًا من السردين يدور في معدته بلا راحة، شعر بأعينٍ تراقبه وتدقق في كل تعبيراته وحركاته. "مَن خلف المرآة؟ لقد اتخذتم قراركم بأنني مذنبٌ بالفعل، أليس كذلك؟".

قال "كلارك":

- هل هو واثقٌ جدًّا أم غبيٌ جدًّا؟ لنكتشف ذلك أيها السادة.

دخل الضابطان "جونز" و"فيلدز" إلى غرفة الاستجواب.



جلس "بيلي كيلي" يتدفأ في بيتٍ بحديقة في جنوب بلفاست، إنه من نوع المنازل شبه المستقلة التي تكون ملاصقة لبيتٍ آخر من أحد جوانبها فقط. كان يفكر في عمل صوبة في حديقته بينما يشاهد زوجته "لويز" وهي تتفقد مجموعة ورود مزروعة على أطراف العشب الرطب، لكن الشتاء أنهكها تمامًا. فتح موظف البريد بوابة الحديقة وأعطى "لويز" بعض الرسائل، فنظرت إليها ثم لوحت لــ"بيلي" لكي يأتي ويأخذها، رن هاتفه وهو يقترب منها، إنه "راكشنز"، نظرت "لويز" إلى زوجها بينما يجيب على المكالمة، إنها تعرفه جيدًا، التعبير الذي يعلو وجهه ينبئها بأنه متوتر. أنهى المكالمة وقال لها:

- سأغيب لبضعة أيام.

20



أمسك "راكشنز" هاتفه بينما يجلس بجانب النافذة في مقهى داخل محطة "كونولي" في مدينة دبلن، وتردد في مكبرات الصوت إعلان عن وصول قطار بلفاست، خرجت حشود الناس من بوابة المسافرين، لمح "إلينور بروكتور" خلف راهبتين، كانت ترتدي معطفًا أبيض مخططًا وقبعة صفراء، لا تحمل شيئًا سوى حقيبة يد. أنيقة جدًا، هكذا رآها "راكشنز". تركها تخرج من المحطة ثم غادر المقهى وتبعها. وقفت "إلينور" خارج المحطة نظرت حولها، ثم رن هاتفها.

قال "راكشنز":

– إنه أنا.

– أنا خارج المحطة.

– أعلم.

– هل تراني؟

قال برفق:

– نعم، اسمعي يا "إل"، أريدكِ أن تسيري في شارع "تالبوت"، خذي وقتكِ، شاهدي واجهات المحلات بينما تسيرين.

– هل هذا ضروري يا "جيمس"؟ أنت تبالغ.

– تحمليني قليلًا يا حبيبتي، أرجوكِ، سنكون معًا قريبًا، أعدكِ.

– أنا..

أغلق الخط بالفعل.

نظرت "إلينور" إلى واجهة محل، فوجدتها مليئة بمنتجات الأطفال، جفلت عندما رأت عربات الأطفال وملابسهم، لأنها ذكرتها بأنها لم تنجب والحياة تمر بها بسرعة كشهابٍ مندفع، شعرت بوجود أحدٍ خلفها وكادت تستدير.

قال "راكشنز" بحزم:

- لا، واصلي النظر إلى واجهة المحل وتظاهري بأننا لسنا معًا.

سألته "إلينور" بتوتر:

- هل أنا مراقبة يا "جيمس"؟ هل هذا هو سبب احتياطاتك؟ لماذا قد يريد أحد أن يتبعني؟ هل أنا في خطر؟

- بالطبع لا، الحذر طبيعتي فقط، أنتِ لستِ مراقبة، لقد حجزت غرفة في فندق "جريشام"، رقمها 414.

- غرفة 414، فندق "جريشام". فهمت.

- سأنتظركِ، لقد افتقدتكِ حقًّا يا "إلينور".

- وأنا أيضًا يا "جيمس".

بحثت في الواجهة الزجاجية عن انعكاسه.

- "جيمس"؟

عندما استدارت لم تجده، تصارع صوتان في عقلها، "414.. 414.. لقد خالفت القانون.. 414.. لقد ساعدت وحرضت على جريمة بنكٍ ضخمة، أنا مجرمة.. 414.. أنا، "إلينور بروكتور"، لم أحصل حتى على مخالفة انتظار لسيارتي من قبل! 414".

في غرفة 414 في فندق "جريشام"، أراحت "إلينور بروكتور" رأسها على صدر "راكشنز" العاري، كانا يلهثان، قبَّل "راكشنز" طرف أنفها وقال:

- أنتِ تثيرينني يا امرأة، أنتِ تثيرينني تمامًا.

أنزلت رأسها تحت الغطاء وقالت له:

- دعني أثيرك أكثر إذًا.

ضحك "راكشنز" وقال:

- أين تغوصين؟ تعالي هنا.

رفع رأسها من تحت الغطاء وقال:

- دعيني أرتاح قليلًا.

- تبدو في أحسن حال بالنسبة لي.

ضحكا بمرح مثل حبيبين مراهقين.

قال "راكشنز":

- سأدخل دورة المياه.

نهض وسار إلى دورة المياه.

أشعلت "إلينور" سيجارة ثم فتحت نافذة ونفخت دخان السيجارة إلى هواء ديسمبر البارد. خرج "راكشنز" من دورة المياه وذهب إلى البار الصغير وسألها:

- هل تريدين مشروبًا؟ "فودكا" وصودا؟ أو مياه معدنية؟

- لا، شكرًا.

فتح "راكشنز" علبة بيرة، وسألته "إلينور"؟

- إذًا؟

قال "راكشنز" وهو يلعق الرغوة التي فارت من العلبة المعدنية:

- ماذا؟

- أين ذهبت "ماريا" بعدما انفصلت عنها؟

"هذا ما تسألين عنه إذًا". رد عليها:

- إنها في أمريكا الجنوبية. لماذا؟

- كنت أتساءل فقط.

حاولت "إلينور" إخفاء ابتسامتها الساخرة بينما تطفئ سيجارتها في الطفاية، تغير أسلوبها فجأة وهي تقول:

- تبًّا! ماذا لو قبضوا علينا يا "جيمس"؟

جلست على طرف السرير، وتهدل كتفاها قليلًا، ثم فجأة استقامت وكأنها تلقت صعقة كهربائية وهزت رأسها بعنفٍ وقالت:

- آسفة يا "جيمس"، لقد انتابتني لحظة فزعٍ ليس إلا. ماذا تقول دومًا؟ "كوني هادئة ومسيطرة على نفسكِ".

جلس "راكشنز" بجانبها وأمسك يدها وهو يقول في سره: "تبًّا، أنا أعشق هذه المرأة، أعشقها بحق". ركع أمامها على الأرض وأمسك وجهها بين يديه وقال:

- نعم، كوني هادئة ومسيطرة يا حبيبتي، ويمكنكِ السيطرة عليَّ كما يحلو لكِ أيضًا.

ضحكت "إلينور" وانضمت إليه على الأرض، ووضعت يدها على صدره ودفعته برفقٍ ليستلقي على ظهره، ثم صعدت فوقه وقالت:

- دعني ألفت انتباهك إلى أنني خالفت القانون لأجلك، وقد ينتهي بي المطاف في السجن.

- أنا آسف.

- هششش.

وضعت إصبعها على شفتيه ثم فتحت فمه بإثارةٍ رقيقة، أحنت رأسها نحوه، فشعر بدغدغة شعرها على صدره العاري، جذبها نحوه ومارسا الحب بحرارة.

بعد فترةٍ سحبا الغطاء ليغطيا أنفسهما وهما مستلقيان على الأرض، ثم فتحت "إلينور" الموضوع الذي يخشيان التحدث فيه.

- أكثر ما يخيفني في الخطة يا "جيمس" هو الانتظار سنة أو سنتين حتى نكون معًا، لا أريد ذلك.

- سنمضي باقي حياتنا معًا حين تهدأ الأمور يا "إل"، تعرفين هذا.

- وهل ستهدأ الأمور أبدًا؟ حقًّا؟ لا أريد التجول في غرف الفنادق لباقي عمري.

- لن يحدث هذا.

- من الصعب على أي حبيبين البقاء معًا حتى وهما لا يختبئان من شيء، فكيف إذًا ستصمد علاقتنا وأنت هاربٌ في دولةٍ أخرى؟ اللعنة! ماذا لو أدركت أنك لا تحبني حقًّا وأنني كنت مجرد وسيلة لتحقيق غايتك؟

- مهلًا يا "إل"، لا تقولي هذا، لقد ناقشنا هذا الموضوع كثيرًا، تعلمين أنني مضطرٌ إلى مغادرة البلاد، الشرطة والجيش الجمهوري اللعين سيطاردونني.

أومأت بيأس وقالت:

- أفهم ذلك وأتقبله، لكن ما لا أتقبله أبدًا هو علاقة الحب المعلقة هذه، أنا جادة، لا نية لديَّ في الجلوس مكاني في انتظار مكالمةٍ منك بينما تجوب العالم مثل مغامرٍ عظيم، لن أنتظرك إلى أجلٍ غير محددٍ يا "جيمس"، لن أقبل بهذا الاختيار، لن أقبل به أبدًا.

قال في سره: "بالطبع لن تقبلي به يا "إلينور" فليس من طبيعتكِ أن تدعي شخصًا آخر يملي عليكِ حياتكِ، لكن بالتأكيد تثقين فيَّ أكثر من هذا، أليس كذلك؟". سألها بهدوء:

- من أين جئتِ بهذا الكلام يا "إلينور"؟

أشارت إلى قلبها وقالت:

- هكذا يخبرني قلبي.

أمسكت بوجه "راكشنز" وقبلته برقة.

قال:

- أريد لنا السعادة يا حبيبتي.

قبلته مجددًا وقالت:

- وأنا أيضًا، لكنني لا أريدك أن تهجرني بعدما انتهت العملية.

- مستحيل، أنا أحبكِ.

- معظم قصص الحب لها تاريخ صلاحية يا "جيمس"، هكذا هي الحياة، ليس بها مستحيل.

قال بحزن:

- افهميني، سأموت إن بقيت في أيرلندا، هكذا بكل بساطة، سيطاردني الجيش الجمهوري لاستعادة المال الذي يظنونه ملكًا لهم الآن، نحن نتحدث عن عشرين مليون جنيه إسترليني من عملات لا يمكن تعقبها.

قالت "إلينور" بصدمة:

- تبًّا! لديك عشرون مليون؟

- تذكري هذا يا "إلينور"، لو وجدني الجيش الجمهوري، سيعذبونني ويقتلونني ويدفنونني في مكانٍ مهجور لمحو أي أثرٍ لتورطهم في العملية، لهذا لا أستطيع البقاء في البلاد، لكنّ مهما حدث ليس لديَّ أي نية في هجركِ.

قبَّل "راكشنز" أنفها وعينيها وشفتيها وهو يقول:

- أنا أحبكِ يا فتاة، ثقي بي يا "إل"، سنخرج من هذه المحنة.

ما لن تعرفه "إلينور" أبدًا هو أنه منذ أقل من نصف سنة كان "راكشنز" يخطط لهجرها بالفعل بمجرد انتهاء العملية، لكن الأمور تغيرت، حتى أدق الخطط يمكن أن تتأثر بعلاقةٍ غرامية سرية فيها عاطفة ملتهبة وممارسة حبٍّ مشتعلة، لا يذكر بالضبط متى تحولت علاقتهما من مغازلاتٍ باردة إلى علاقة غرامية حارة، لقد أدرك المجرم المخضرم والكاذب المحترف أن العلاقات تحكمها المشاعر، والمشاعر لا يمكن التحكم بها.

- ما زلت أريد الذهاب معك، لا يهمني العواقب.

قبَّل "راكشنز" يد "إلينور" وقال:

- لكنني أهتم، أهتم لأمركِ ولأمرنا، إن اختفينا في الوقت نفسه ستشك الشرطة وتستنتج إنكِ شريكة في عملية السرقة.

- وأنا -زوجة نائب مدير البنك- سأنضم لك على قائمة المطلوبين دوليًّا، وسيضعون صورتي في كل نقاط الحدود في العالم، وسنصبح هاربين للأبد، أعلم، أعلم، تبًّا!

مدت "إلينور" يديها إليه وهي تضيف:

- لكن عندما أتخيلنا معًا نقود سيارة كلاسيكية نحو الغروب، تعجبني هذه الصورة.

– لم لا ننطلق نحو الغروب على ظهر حصانين ومعنا حقائب مليئة بأموال البنك؟
– لا أعرف كيف أركب حصانًا، لكن سأتعلم. نعم، الأحصنة تبدو أفضل.
ضحك "راكشنز" بصوتٍ عالٍ وقال:
– بعد ذلك ستتخيلين "جورج كلوني" يلعب دوري في الفيلم الذي تتخيلينه.
ردت عليه وهي تتفادى ضربة خفيفة من مرفقه بمزاح:
– في أحلامك! "كلينت إستوود" يبدو مناسبًا أكثر في هذه الصورة يا عزيزي!
– أنتِ محقة في شيءٍ واحد، سنصبح مطاردين وخائفين للأبد لو أتيتِ معي، هل هذه هي الحياة التي تريدينها؟
– أريد حياةً معك.
– وأنا أيضًا، لهذا يجب أن يسير الأمر على هذا النحو، ستهدأ الأمور يا "إل"، هذا ما يحدث دائمًا، سنخرج من هذا الموقف معًا دون أن نحيا في رعبٍ باقي عمرنا.
نهض "راكشنز" من على الأرض وأخرج هاتفًا من جيب معطفه وقدمه لها وهو يبتسم ويقول:
– احتفظي بهذا، سأتصل بكِ عليه كل يوم وأنا بعيدٌ عنكِ.
أخذت الهاتف وأكدت عليه:
– كل يوم؟
– كل يوم.
– لكن ليس مبكرًا جدًّا، لا توقظني في الخامسة فجرًا يا "جيمس".
قال وهو يضحك:
– لن أفعل.
– ماذا لو توقفت عن الاتصال؟
– ما قصدكِ؟
– ماذا لو اتصلت بي شهرًا أو اثنين ثم توقفت الاتصالات؟
– لن تتوقف.
نظرت "إلينور" إلى الأرض، فقال لها:

- يجب أن تثقي بي، أقسم لكِ أنني لن أهجركِ.
- إن فعلت، سوف..
- ماذا؟
- إن هجرتني، سيكون الجيش الجمهوري والشرطة أقل مشكلاتك، لن أرحمك.
نظر "راكشنز" إليها مباشرةً وقال في سره: "أصدقكِ، أنتِ جادة في كلامك وخطيرة في أفعالك". ذهب إلى البار الصغير وقال:
- ما رأيك في بعض البيرة يا حبيبتي؟ أتريدين القليل؟
- لا، أريد "جين تونيك"، يمكنك أن تتحمل تكلفة الزجاجة الآن.
ضحك "راكشنز" على دعابتها وقبلها بعمقٍ وشغف، وقال وهو ينزع غطاء الزجاجة:
- هناك شيءٌ آخر.
غطت "إلينور" أذنيها بيديها وهي تقول:
- لا، لا أريد سماع شيءٍ آخر.
- هذا مهم يا "إلينور". هل تذكرين عندما ناقشنا الاحتمالات المختلفة؟
- هل تقصد احتمال أن تقبض الشرطة عليَّ؟
- نعم، واحتمال أن يقبض الجيش الجمهوري عليكِ أيضًا.
قالت بحيرة:
- لكن من غير المحتمل أن يعرف الجيش الجمهوري بعلاقتنا، ألا تظن؟
- نعم، غير محتمل، لكن ما هي القاعدة الذهبية؟
- أن أحمي نفسي.
- ضد من؟
- ضد الجميع.
- يجب أن تحمي نفسكِ دائمًا، لو شعرت بأدنى احتمال لوقوعكِ في متاعب، أخبريني عندما أتصل بكِ. افعلي أي شيء للنجاة بنفسكِ، وأنا راضٍ، مهما فعلتِ سأظل أعشقكِ بجنون، تذكري هذا وافهميه جيدًا.
- فهمت يا "جيمس".

21



قبل دخول "ديكلان باتلر" غرفة الاستجواب في مكتب جنايات مقاطعة "أنتريم"، ناقش الضباط كيفية استجوابه. قضى الضابط "سيريل جونز" والضابط "فيليب فيلدز" نصف ساعةٍ في أحاديث خفيفة مع "ديكلان" الذي أكد أن عائلته ما زالت تحت تأثير الصدمة لكنهم يتأقلمون مع الوضع.

فكر "جونز" في أن هذا الشاب تأقلم مع وضعه جيدًا على ما يبدو. "جونز" محقق محنك، شعره خفيف، وشفتاه غليظتان، وأنفه ضخم ويخرج منه شعرٌ أشيب. قال لــ"ديكلان":

- الجريمة لا تفيد يا "ديكلان"، وبخاصة جريمة بهذا المستوى. أنت تفهم ذلك، صحيح؟

قال "ديكلان" في سره: "ها قد بدأنا"، ثم رد عليه:

- نعم يا سيدي.

جيد.

أحنى "جونز" رأسه وزفر ثم نظر إلى "ديكلان" ببطءٍ وقال:

- أحيانًا تجبرنا الحياة على فعل أمورٍ لا نريد فعلها يا "ديكلان".

بدا "ديكلان" متحفظًا.

- وإجبارك على فعل شيءٍ ما تحت التهديد أو باستخدام العنف المباشر تعتبر حجة دفاع قانونية وذات مصداقية. في الواقع، تتعاطف الشرطة مع الأشخاص الذين تعرضوا لهذا الموقف، هل تفهمني يا "ديكلان"؟

- أظن هذا.

- ربما أجبروك لكي تصبح جاسوسهم في عملية السرقة.

- أنا..

قال "جونز":

- مهلًا، فكر قبل أن تجيب، فما سيخرج من فمك لن يمكنك استرجاعه أبدًا.

- لا أحتاج إلى التفكير، فأنا لم أكن الجاسوس.

يعرف المحقق "فيل فيلدز" أنهم يراقبون أداءه في التحقيق كما يراقبون "ديكلان باتلر". المحقق "فيل" طويل القامة وذقنه عريض وخداه غائران وعيناه زرقاوان وحادتان. وهكذا قرر المحقق خريج "كامبريدج" التدخل في الحديث ليترك بصمته:

- أنت الجاسوس.

هز "ديكلان" رأسه نفيًا.

- من أجبرك على إفشاء معلومات نظام الأمن في البنك؟ هل هو الجيش الجمهوري؟

- أنا لست الجاسوس.

قال "جونز" حتى لا يدع "فيلدز" يسرق منه الأضواء:

- بل أنت.

كاد "ديكلان" ينفجر، لكنه تمالك أعصابه وقرر اتباع سياسةٍ أخرى:

- ما تحاولان فعله هو جعلي أعترف زورًا، وهذا ما لن أفعله أبدًا.

قال "جونز":

- هكذا إذًا؟ حسنًا. لقد أخرج اللصوص زوجة "ليام دايفر" من المنزل لكنهم تركوا عائلتك طوال مدة السرقة، لماذا لم يُخرِجوا عائلتك أيضًا؟

- لا أعرف.

- ألا تظن الأمر غريبًا؟

- لست معتادًا على أساليب اللصوص، لذلك لا أعرف إن كان الأمر غريبًا أم لا.
كان المحقق "كلارك" يقف في الغرفة الأخرى خلف المرآة، أعجبته إجابة الفتى وقال:
- إجابة ممتازة، هذا الفتى ذكي.
- قال "فيلدز":
- ربما كانوا يعرفون بأنك لن تبلغ عنهم.
- بالطبع ما كنت لأفعل، حياة عائلتي أهم من كل أموال البنك الوطني.
نظر "فيلدز" إلى "جونز" وقال:
- "كل أموال البنك الوطني"؟ ما بقي في خزنة البنك لا يكفي لشراء بيرة لثلاثتنا!
ضحك المحققان على دعابتهما.
قال "ديكلان":
- في حال نسيتم، "ليام" لم يبلغ عنهم أيضًا، لم يتصل بالشرطة.
قال "فيلدز" وهو يشبك ذراعيه ويتراجع في كرسيه:
- لم أنس شيئًا يا بني.
وقف "جونز" وذهب إلى "ديكلان" واتكأ على الطاولة ثم همس قائلًا:
- نحن نعرف الحقيقة يا "ديكلان".
نظر "ديكلان" إلى "جونز" الذي أومأ برأسه وأضاف:
- نحن نعرف أنك الرجل المطلوب.
- لا يا سيدي، لقد أقنعتم أنفسكم أنني الرجل المطلوب، هناك فرق.
قال "جونز" وهو يقترب منه حتى أصبح على بعد بوصات قليلة:
- أنت الرجل المطلوب.
أراد "ديكلان" أن يدير وجهه بعيدًا عنه، لكن هذا سيوحي لهم بأن لديه ما يخفيه، لذلك تحمل رائحة أنفاسه المليئة برائحة دخان السجائر.
همس "جونز" في أذن "ديكلان":
- لا تستخف بنا يا بني، لمصلحتك لا تفعل.
قال "فيلدز":

- تذكر يا "ديكلان"، ما تقوله الآن سيقدَّم للقاضي، وعندما يحكم عليك بأنك مذنب -وهذا ما سيحدث- سيضع في حسبانه أنك لم تتعاون مع الشرطة وسيحكم عليك بالسجن عشرين سنة، هذه مدةٌ طويلة. لنقل إنك حصلت على حكم عشرين سنة، ثم حصلت على تخفيف لنصف العقوبة بسبب حسن السير والسلوك، هذا يعني عشر سنوات في السجن. كم عمر والدك ووالدتك؟

قال "ديكلان" بفظاظة:

- دع أمي وأبي خارج الموضوع.

قال "فيلدز":

- أنا أوضح وجهة نظري فقط، قد يموت أحد والديك -أو ربما الاثنان- بينما أنت مسجون، بالتأكيد لا تريد ذلك.

قال "جونز" وهو يعود إلى مكانه:

- وحتى عندما تخرج بعد عشر سنوات، ستصبح كلمة "سجين" وصمة عارٍ على جبينك إلى الأبد، لن يوظفك أحد، ستخضع لقيودٍ على السفر، وإن صرفت قرشًا زيادة عن مبلغ الإعانة الحكومية ستجدنا فوق رأسك، لن ينتهي هذا الأمر يا "ديكلان"، سنراقبك إلى الأبد.

قال "فيلدز":

- لا داعي لأن تسير الأمور هكذا يا "ديكلان"، يمكننا الوصول إلى تسوية، أو ربما صفقة.

- لا، لا يمكننا ذلك، لأنني لم أرتكب أي جريمة.

صاح "فيلدز":

- أنت جاسوس الجيش الجمهوري في البنك!

رد "ديكلان" بحزمٍ هادئ:

- لا، لست كذلك.

سأله "جونز":

- لماذا لم تتصل بالشرطة وتبلغهم أن اللصوص يحتجزون عائلتك؟
قال "ديكلان" بغضب:
- هل أنت جاد؟ حقًّا؟ ماذا لو حدث إطلاق نار؟ ماذا لو قُتِل فردٌ أو اثنان من عائلتي؟ ماذا لو أخذوا عائلتي خارج البيت بعدما أخذوني؟ كيف كنت سأعرف أنهم سيحتجزون عائلتي في البيت طوال الوقت؟
ابتسم "كلارك" في الغرفة الأخرى.
سأل "جونز":
- هل هي مصادفة إذًا أن البنك تعرض للسطو في اليوم الذي بدلت فيه مناوبتك؟
- الحياة مليئة بالمصادفات.
- يا لها من مصادفة خطيرة! ألا تظن؟
- سأسألك سؤالًا.
قال "فيلدز":
- لا، لن تفعل.
تجاهله "ديكلان" وسأله:
- هل كنت سأضع عائلتي في هذا الموقف الصعب من أجل القليل من المال؟
قال "جونز" بسخرية:
- هيا يا "ديكلان"، نحن لا نتحدث عن "القليل" من المال.
قال "فيلدز":
- كم دفع لك "تايني"؟ مليون؟ اثنين؟
قال "جونز" باستفزاز:
- المليون جنيه إسترليني التي أخرجها في الحقيبة الرياضية كانت أتعابه.
قال "فيلدز":
- كيف كان شعورك يا "ديكلان" وأنت تخرج من البنك مع المليون جنيه إسترليني عمولتك؟
لم يخف "ديكلان" وقال:

- لم أشعر بشيء لأنها لم تكن ملكي، كنت كمن يسلم مليون ورقةٍ بيضاء.
قال "فيلدز" وهو يبتسم بسخرية:
- لقد اعتنى "تايني" بك جيدًا.
- لا أعرف شخصًا يدعى "تايني".
سأل "جونز":
- لماذا بدلت مناوبتك لتعمل يوم السرقة؟
- أردت توفير بعض الوقت لاحقًا لأشرب مع أصدقائي احتفالًا بالكريسماس.
قال "فيلدز":
- كان من المستحيل سرقة البنك في اليوم التالي، صحيح؟
- لا تسألني، فأنا لست خبيرًا في سرقة البنوك.
نقر "كلارك" على المرآة المزدوجة وهو يقول بتسلية:
- هذا الفتى يعجبني، شخصيته مميزة، إنه مذنب من قمة رأسه حتى قدميه، لكنه مسلٍّ.
قال "جونز":
- بل أنت كذلك، ما كنت تستطيع أنت و"تايني" سرقة البنك في اليوم التالي لأنك ستضطر إلى تسليم المفتاح الرئيسي ولن يمكنك دخول الخزنة، أليس كذلك؟
- ليس أنا فقط، كل أمناء المفاتيح كان عليهم تسليم المفتاح الرئيسي.
- لكنك الوحيد من بين زملائك الذي بدل مناوبته إلى يوم السرقة.
- وماذا في هذا؟
- هذا يجعلك المشتبه به الرئيسي.
- حقًّا؟
قال "فيلدز":
- لماذا إذًا اختارك اللصوص لكي تخرج لهم حقيبة المليون جنيه؟
قال "ديكلان":
- لقد اختاروا "ليام" أولًا، ألا تعرفون هذا؟ هو من اقترح إرسالي.

زالت الابتسامة من على وجه "كلارك" وقال بصرامة:

- هذا الفتى سيتعبنا، لقد فكر في كل جوانب هذا الاستجواب لوقتٍ طويل ولديه كل الإجابات.



جلس "راكشنز" في استراحة المغادرة في مطار دبلن بينما يستمع إلى بعض الأغاني عبر جهازه الـ"أيبود"، ثم خلع سماعاته ونظر إلى الأخبار في التليفزيون، عرضت الشاشة مشهد البنك الوطني من خلال كاميرا هليكوبتر تحلق فوق البنك ليلة السرقة، هناك الكثير من سيارات الشرطة تحيط بالبنك، ويتحرك بينها رجال شرطة يرتدون معاطف المعمل الجنائي البيضاء.

تغير المشهد إلى واجهة البنك حيث اختفى كل أثرٍ يدل على أن هذا مسرح جريمة. وقف مراسل أمام الكاميرا وقال:

- قبل أقل من ست وثلاثين ساعة، كان هذا الشارع الواقع وسط بلفاست مزدحمًا بالناس الذاهبين إلى أعمالهم المعتادة، بعضهم عائدٌ إلى البيت بعد العمل، وبعضهم يتسوق من أجل الكريسماس في اللحظة الأخيرة، وبعض الناس مشغولون بتنفيذ أكبر عملية سرقة في تاريخ بريطانيا وأيرلندا. يتراوح المبلغ المسروق تقديريًّا من خمسة وعشرين إلى اثنين وخمسين مليون جنيه إسترليني.

تغير المشهد إلى مؤتمرٍ صحفي في مركز الشرطة، حيث رئيس شرطة أيرلندا الشمالية "ألان وودس" يجلس على طاولة ويحيط به اثنان من المساعدين.

عاد المشهد إلى المراسل خارج البنك. قال:

- عندما سألت رئيس الشرطة عن توقعه لهوية الفاعل، قال: "أعتقد أن الجيش الجمهوري هو المسؤول عن هذه العملية، وكل أطراف التحقيق تركز على هذا الاتجاه".

نظر المراسل إلى الكاميرا مباشرةً وقال:

- انضم السياسيون المؤيدون لاتحاد أيرلندا مع بريطانيا إلى رئيس الشرطة في توجيه الاتهام إلى الجيش الجمهوري. السؤال الذي يطرح نفسه الآن بعدما

خالف الجيش الجمهوري الهدنة هو؛ هل يمكن لمعاهدة السلام أن تستمر؟ كان معكم "روجر دانستابل" من شبكة "بي بي سي" الإخبارية.

ذهب "راكشنز" إلى البار واشترى بيرة وواصل مشاهدة التليفزيون. أعطى النادل بيرة أخرى لرجلٍ في منتصف العمر له شارب أسود رفيع ويرتدي قبعة رمادية أطرافها مرفوعة. رفع الرجل كوب البيرة ببطءٍ ووقار ثم نظر إليه بعين خبير. شرب الرجل جرعةً كبيرة ثم أعاد الكوب إلى الطاولة، ظهر خطٌّ أبيض رفيع على شاربه الأسود الرفيع، فلعقه بطرف لسانه بسرعة.

قال النادل معلقًا على الأخبار:

– أيًّا كان الفاعلين، بالتأكيد احتفلوا كثيرًا بالأمس.

قال الرجل الذي يشرب البيرة:

– يا لهم من أوغاد محظوظين!

ثم استدار إلى "راكشنز" وقال:

– ماذا كنت لتفعل بأربعين مليون جنيه؟

ابتسم "راكشنز" وهز رأسه وهو يقول:

– لا أعرف، سأتبرع بها للأعمال الخيرية على ما أظن.

– تبًّا للأعمال الخيرية! من الأفضل أن تعطيها لي في هذه الحالة. سأشتري جزيرة في المحيط الهندي وأدعوك للمجيء متى تريد، يمكن شراء جزيرة، ذلك الرجل فعلها.. ما اسمه؟ ذلك الرجل العازب؟

رد "راكشنز":

– "ريتشارد برانسون".

– هو بعينه.

– إذا حصلت على أربعين مليونًا، سأخبرك.

ثم أخذ مشروبه وغادر.

22



انهال المطر بقوةٍ في فرنسا واخترق وجه "راكشنز" الأيرلندي كالسيوف، وضع قبعته السوداء على رأسه لكن بعد فوات الأوان، لقد غرق تمامًا. هناك صف لدخول كاتدرائية "نوتردام"، لمح فتاة صغيرة تبيع معاطف بلاستيكية للمطر، اشترى واحدًا لكنه وضعه في جيبه، استدار فجأة خلفه، فرأى الرجل الذي قابله في استراحة مطار دبلن يتحدث مع رجلٍ آخر، التفت الرجل بعيدًا عندما أدرك أن "راكشنز" رآه. قال "راكشنز" في سره: "الشرطة! علمت ذلك، عرفت أنهم سيراقبونني أولًا بدلًا من القبض عليَّ مباشرةً، من الجيد أنني لم أذهب إلى "سيرجي" مباشرةً". أخرج "راكشنز" هاتفه واتصل بـ"سيرجي":

- أهلًا، أنا في صف الدخول لكاتدرائية "نوتردام"، ومعي "صُحبة".
- هل يمكنك تضليلهم؟
- أظن هذا.
- كم تحتاج من وقتٍ لتصل؟

نظر "راكشنز" إلى الطابور الذي أمامه وقال:

- عشرون دقيقة تقريبًا.

قال "سيرجي" قبل أن يغلق الخط:

- سأنتظر مكاني حتى تتواصل معي.

نظر "راكشنز" خلفه، فلم يجد الرجل الذي شرب معه البيرة، وكذلك الرجل الذي كان يتحدث معه، فقال في سره: "سيرسلون آخرين، ولن يكون كشفهم سهلًا".

سار "راكشنز" في الطابور حتى دخل الكاتدرائية، استمع إلى مرشد سياحي وهو يخبر الزوار بأن "نوتردام" تقع مكان معبدٍ سابق تابع لشعب الغال أيام خضوعهم للحكم الروماني، وكان يخص الإله الروماني "جوبيتر". سمع مرشد سياحي آخر يقول إن البابا "بيوس العاشر" أقام طقس "تطويب" القديسة "جان دارك" هنا في "نوتردام" عام 1909. تظاهر "راكشنز" بالإعجاب بثلاث نوافذ زجاجية ملونة، النافذة العليا تصور بعض الشخصيات من العهد القديم وهي تحيط بالسيدة العذراء، أما النافذتان تحتها تصوران الملائكة والقديسين وهم يحيطون بالسيد المسيح.

تجمع حشدٌ كبير من الأمريكان حول المذبح، سار "راكشنز" بينهم، نظر رجل وامرأة إلى الحشد الأمريكي بقلق ثم نظرا لبعضهما، ورفعت المرأة يديها وكأنها تتساءل "أين هو؟"، فهز الرجل كتفيه بجهل، وتحركت جماعة الأمريكان فتحرك الرجل والمرأة معهم بينما يتفحصون وجوه الزوار بنفاد صبر.

ارتدى "راكشنز" معطف المطر البلاستيكي الذي اشتراه قبل قليل وذهب ليركب سيارة أجرة.



زاد "بانزر" من اشتعال النار في مدفأة مكتبه، عقله يغلي من التفكير والغيظ، أخذ كأس "كونياك" من على رف المدفأة، واستدار لينظر إلى صورة "ذا ديفيل" وهو يمسك لجام حصان ويقف على ناصية شارع. مكتوب بخط اليد أسفل اللوحة: "معرض "أولد لاماس" في مدينة "باليكاسل، 1960". كان "ذا ديفيل" يرتدي قبعة مسطحة وبنطالًا أسود وحمالاتٍ بيضاء وقميصًا أبيض، لكن ما لفت انتباهه في الصورة هذه الليلة بالذات هي نظرة والده الباردة بعينيه الرماديتين، كأنها تطلق رصاصًا عليه لتنسيه جمال الصورة

وتتحداه لاتخاذ قراراتٍ صعبة. قال "بانزر" في سره: "أعلم ماذا كنت ستفعل لو أنك مكاني يا أبي". ثم كرر بصوتٍ مسموع:

- قلت إنني أعلم ماذا كنت ستفعل لو أنك مكاني يا أبي.

سمع طرقة على الباب وعرف أنه "فينبار".

- هل أرسلت في طلبي يا أبي؟

استدار "بانزر" إليه وقال:

- ادخل يا بني.



لمعت الشمس على "قوس النصر"، نظر "راكشنز" إلى نُصُب "الجندي المجهول" و"الشعلة الأبدية"، لم يتبعه أحد من كاتدرائية "نوتردام" إلى هنا، لقد نجحت حيلته للهروب من المراقبة. صعد إلى القمة ثم أدرك أنه مهما زار "قوس النصر" سيظل يشعر بالاختناق والرغبة في استنشاق الهواء لأنه يشعر برهبة التاريخ الذي يلمسه في هذا البناء. دار فوق القوس ليتفحص الاثني عشر طريقًا الذين يطل عليهم.

قال "سيرجي" من خلفه:

- منظرٌ رائع، أليس كذلك؟

- رائع؟ بل أكثر من ذلك، إنه ساحر.

قال "سيرجي":

- لطالما كنت معجبًا بـ"نابليون بونابرت"، كان صديقًا للأيرلنديين، إن لم أكن مخطئًا.

رد "راكشنز" باستفزاز:

- كل من كان عدوًّا لإنجلترا، كان صديقًا لأيرلندا.

تمشيا قليلًا ثم توقفا لمشاهدة منظر برج "إيفل". قال "سيرجي":

- تسعدني قراءة أخبار نجاحك في الأخبار.

- ليس بقدر سعادتي.

- هل وقعت مشكلات؟
فكر "راكشنز" قبل أن يرد:
- لا.
- لم يتأذ أحد؟
- لم أقل هذا، يتأذى الناس دائمًا.
ثم أشار إلى عقله وأضاف:
- يتأذون هنا، حيث لا يمكن لأحد رؤية الجروح.
- تبدو كئيبًا اليوم، ونادمًا أيضًا.
- ربما أنا كذلك بالفعل.
نظر "سيرجي" إلى جادة الـ"شانزلزيه" وقال:
- تلقيت اليوم مكالمة من صديقك "تايني مردوخ".
قال "راكشنز" في سره: "تايني مردوخ" ليس صديقي. هل هو صديقك؟ لمن ولاؤك يا "سيرجي"؟ لنفسك بالطبع، للمال".
- ماذا قال؟
- حسب ما قال، يريد لقاءك لمناقشة الخلاف الذي بينكما، يريد تسوية الأمور.
- هذا لن يحدث.
تنحنح "سيرجي" بأدبٍ وقال:
- هذا ما قال. قال أيضًا أن أخبرك بأنه مستعد ليكون شريكك بنسبة خمسين في المئة، ومن الواضح أنك إن قبلت الصفقة، ستحصل على "تأمين على حياتك".
- هل قال هذه الكلمات حرفيًّا؟ "تأمين على حياتي"؟
أومأ "سيرجي".
ضحك "راكشنز" بشدة وهو يقول:
- هذا مضحك جدًّا.
حاول "سيرجي" أن يبتسم، لكن كشفت عيناه عن حيرته وهو يسأل:
- ما المضحك؟

- لأنني إن لم أقبل عرض "التأمين على حياتي" من "مردوخ"، سيضعني الجيش الجمهوري على رأس قائمة أهدافهم، ولن يكون هناك أي "تأمين".

- وهل هذا مضحك؟

- بالطبع! من الذي يهدد شخصًا بالقتل إذا رفض عرضه للـ"تأمين على حياته"؟

- هل سيحترمون اتفاقهم؟

- لا أعرف، ربما في البداية، لكن على المدى البعيد لن يتركوني أتجول في بلفاست بملاييني.

- أتفق معك.

سأل "راكشنز":

- هل عرضوا عليك صفقة لتسليمي؟ تحدث بصراحة يا "سيرجي"، سأندهش لو لم يفعل.

- قال إنه يريد التحدث معي بسرية دون علمك، لكنني رفضت.

جذب "سيرجي" ذراعَي "راكشنز" وهمس:

- لا أحب التعامل مع الإرهابيين يا صديقي، أنت تعلم ذلك، إنهم لا يخافون الموت، وهذا يرعبني، بالإضافة إلى أن الجيش الجمهوري يغسل أمواله بنفسه، أي لا يحتاجون إلى أمثالي.

أومأ "راكشنز" بموافقة.

قال "سيرجي":

- سيطاردك.

- أعرف.

- سيبحث عن ورقة مساومة، وعن نقطة ضعفك.

- أعمل جاهدًا لكيلا يكون لديَّ نقطة ضعف.

مسح "راكشنز" درجة سلم رخامية بمنديل ليجلس عليها، وكأن هذا كفيل بتنظيفها. انضم له "سيرجي". أخرج "راكشنز" من حقيبته رغيف خبزٍ فرنسي وأعطى نصفه لـ"سيرجي".

أومأ "سيرجي" وأكل الخبز ببطء، ثم وقف ودلك ركبتيه، وفعل "راكشنز" مثله. سارا إلى السلم وأعطى "راكشنز" لـ"سيرجي" فلاشة كمبيوتر وهو يقول:

- لقد حددت فيها مكانًا وجدولًا زمنيًّا مؤقتًا لنقل المال، سنتفق على التفاصيل النهائية معًا.

- حسنًا.

- والآن وصلنا إلى الجزء المؤلم، ما التكلفة التي سأدفعها؟

- هل تذكر حين أخبرتك في دبلن أنني أقدر التكلفة بخمسين في المئة أو أكثر؟

- أتمنى لو لديك نسبة أفضل.

هز "سيرجي" رأسه نفيًا وقال:

- لا، هذه هي، أصدقائي المحاسبون قلقون جدًّا من هذا التحويل، إنهم على قيد شعرة من الانسحاب.

صفر "راكشنز" وقال:

- أصدقاؤك المحاسبون أوغاد جشعون.

- كل المحاسبين أوغاد جشعون. بالمناسبة، "بانزر" يرسل تحياته.

- حقًّا؟

- نعم، أخبرني أن أبلغك بألا تثق في "تايني"، إنه يتمنى لك التوفيق.

ابتسم "راكشنز".

***

شعر "فينبار" بالتوتر، فوالده "بانزر" لا يبدو في مزاجٍ جيد. "ما الذي يزعجه؟ هل هو سكران؟ ربما. لا، إنه شيءٌ آخر".

يوجد على المكتب أمام "بانزر" رزم مالية ضخمة وعقود مالية كثيرة ودفاتر لثلاثة حسابات بنكية خارج البلاد واثنان داخلها وفلاشة كمبيوتر. فتح "بانز" الزر الثاني في قميصه ثم دفع كل شيءٍ باتجاه "فينبار".

استقام "فينبار" في جلسته واشتدت يداه على ذراعَي الكرسي، ودارت عيناه على وجه "بانزر" بحثًا عن أي انفعال، لكنه وجده جامدًا. أشار إلى المال والمستندات وقال:

- ما الموضوع؟

قال "بانزر" بهدوء:

- لقد حولت كل المال في حساباتي الخارجية إليك، كما نقلت إليك ملكية المزرعة وكل الممتلكات الأخرى، ستضطر إلى دفع ضريبة ميراث على القيمة الكلية للأملاك، هذا حتمي.

- ما الأمر يا أبي؟

ضحك "بانزر" ضحكةً خفيفة وقال:

- لا تهتم.

ثم أشار بيده إلى دفاتر الحسابات وقال:

- هيا، أعلم أنك لا تطيق صبرًا لترى كم فيها، افتحها، إنها لك الآن.

تفحص "فينبار" الحسابات كلها وقال:

- لا أعرف ماذا أقول.

- لا تقل شيئًا.

- هل يمكن أن أسألك لماذا تفعل هذا؟

- لأنني لن أبقى طويلًا هنا.

قال "فينبار" بدهشة:

- لم أفهم، ماذا تعني بأنك لن تبقى طويلًا هنا؟ هل ستسافر إلى مكانٍ ما؟ مكان دافئ بعيدًا عن البرد والمطر هنا؟

شعر "بانزر" بسخرية الموقف الشديدة والإيحاء غير المقصود في كلام ابنه، فـ"بانزر" سيموت قريبًا، لذلك ذكرته كلمة "مكان دافئ" بالجحيم الذي قد يذهب إليه. لم يتمالك نفسه وقال وهو يطلق ضحكة:

- مكان دافئ؟ يا لها من مزحة! لا أتمنى هذا أبدًا.

نظر إلى صورة "ذا ديفيل" وقال:

– إنه فتى مضحكٌ يا أبي، يذكرني بأمه.

قال "فينبار" في سره: "يا إلهي! لقد جن أبي، إنه يتحدث مع الصور الآن".

قال "بانزر":

– ماذا كنت أقول؟ نعم، مكان دافئ. في الواقع أتمنى لو أذهب إلى مكانٍ بارد ومنعش.

– لا أفهم.

– سأبسط لك الأمر يا بني، أنا أحتضر.

قال "فينبار" ببلادة:

– أنت تحتضر؟

قال "بانزر" بسخرية:

– تأثرك يقتلني.

ابتلع "فينبار" ريقه بارتباك ووضع يده على جبهته وهو يتساءل: "ماذا أفعل الآن؟ هل أبكي؟ يجب أن أبكي. عليَّ أن أذرف دمعتين على أبي العزيز".

ضحك "بانزر" وكأنه قرأ أفكار ابنه وقال:

– إياك والتظاهر بالأسف.

– آسف، لكنني لا أعرف كيف أبكي.

ذهب "بانزر" إلى البار وصب كأسًا لـ"فينبار"، ثم أخذ الزجاجة والكأس وعاد إلى المكتب وقال:

– اشرب هذا.

ابتلع "فينبار" الـ"كونياك" دفعةً واحدة ثم وضع الكأس على المكتب، فصب له "بانزر" كأسًا أخرى ثم جلس خلف مكتبه مجددًا وقال:

– لدينا الكثير من العمل لنناقشه.

– هل هناك وقتٌ تقريبي يا أبي؟

هز "بانزر" كتفيه وقال:

– تريد أن تعرف متى سأموت؟ قريبًا.

– لماذا لم تخبرني من قبل؟

فرد "بانزر" يديه وقال:

– وما الفائدة؟ ماذا كنت لتفعل؟ ستضيع وقتك معي وتعاملني مثل عجوزٍ مسكين. تبًّا لهذا! هذه سنة الحياة يا "فينبار"، الجميع يموتون في وقتهم.

– ولو..

– دعنا لا نناقش الأمر يا "فينبار".

– لكن..

– قلت لك انس الأمر.

هز "فينبار" كتفيه وأمسك "بانزر" دفاتر الحسابات وقال:

– هناك ما يزيد قليلًا على المليون جنيه إسترليني في هذه الحسابات، كلها لك، افعل بها ما تشاء، لا يهمني أمرها بعد الليلة، سأبيع المزرعة.

– لكنني ظننت أن..

– أن البيت سيظل دائمًا في العائلة؟

أمسك "بانزر" حافة المكتب وأضاف:

– وأنا أيضًا، لكن هذا لم يعد ممكنًا.

– لا تبعها يا أبي.

– لا تكن مغفلًا يا "فينبار"! أنت لم تترك لي خيارًا.

– أنا؟ لا أفهم.

– الجيش الجمهوري يعرف أنك مغتصب أطفال.

– لست كذلك!

أشار إليه "بانزر" باتهامٍ وقال:

– "فينبار"!

– لكن..

– لماذا في رأيك لم يقتلوك في ذلك الطريق المهجور؟

بدت الحيرة على "فينبار"، فأجاب "بانزر":

- لأنني تدخلت وأنقذتك، تخليت عن غنيمة البنك، كنت سأسلمهم "راكشنز" أيضًا، لولا أنه هرب بمعظم المال.

- لكن..

صرخ فيه وهو ينهض ويذهب إليه:

- اخرس!

تغير أسلوبه فجأة وهو يقول:

- الجيش الجمهوري يعرف أنك مغتصب أطفال، يعرفون أنك ضعيف، ولن يرتوي جشعهم إلا بعدما يستنزفونك حتى آخر قرش. أولًا، سيأخذون المزرعة منك لكن بطريقةٍ قانونية، وسيعرضون عليك قروشًا مقابلها، وستضطر إلى قبول عرضهم، وبعدها سيسعون لأخذ المال القليل الذي تركته لك! لن أسمح بذلك أبدًا.

نظر "بانزر" بحدةٍ إلى "فينبار" الذي أدار نظره فورًا، وقال:

- يجب أن تغادر البلاد للأبد.

- لكن أين سأذهب؟

هتف "بانزر":

- تبًّا! فلتذهب أينما تريد. يا إلهي! هل يجب أن أسحبك من يديك وأضعك في بيتٍ خارج البلاد؟ عندما أنتهي من تسوية الأمور، سيكون لديك ما يزيد على مليوني جنيه في حسابك.

عاد "بانزر" ببطءٍ إلى مكتبه وجلس في كرسيه.

فجأة ودون سابق إنذار، فاضت عينا "فينبار" بالدموع وقال:

- لا أريدك أن تموت يا أبي.

- لا بأس، إنها سنة الحياة، اذهب الآن يا بني، سنتحدث لاحقًا.

23



تمشى "تايني مردوخ" و"كولم كولمان" في شارع "أندرسونتاون" في غرب بيلفاست، كانا يغطيان فميهما بيديهما لكيلا يستطيع أحد قراءة شفاههما في حال كانا مراقبين.

توقف "كولمان" واستدار إلى "مردوخ" وقال:

– بصراحة، لو لم أكن أعرف أن "راكشنز" هو من فعل ذلك لقلت إنك الفاعل.

دخلا محلًّا لبيع ورق الحائط. أومآ لصاحب المحل ثم انسحبا إلى ركنٍ بعيد، وتوقفت ثلاث سيارات شرطة خارج المحل. ذهب صاحب المحل إلى الرجلين وهمس:

– لقد وصلت الشرطة يا "تايني"، أظنهم سيدخلون.

ترك "مردوخ" "كولمان" وسار في ممرٍ آخر، أخذ لفة من ورق الحائط إلى "الكاونتر" وقال للبائع:

– أريد تسع لفاتٍ من هذا وثلاثة دلاء من المعجون.

سمع صوتًا من خلفه يقول:

– هل تجدد ورق الحائط يا "تايني"؟

استدار "تايني"، فقال له الضابط وهو يمد يده:

– أرني محفظتك.

– لا حق لديك.

- "روبرت هنري مردوخ"، أنا أعتقلك بتهمة الاشتباه في سرقة البنك الوطني في بلفاست في الثامن عشر من ديسمبر 2004. يحق لك التزام الصمت لكن..

وضع "مردوخ" يده على فمه وتثاءب.

سأله الضابط بعد أن انتهى من قراءة حقوقه عليه:

- هل لديك ما تقوله؟

- أريد المحامي الخاص بي.

- أعطني محفظتك.

أعطاه محفظته، فأخرج منها الضابط خمس أوراق من فئة عشرين جنيهًا وثلاث من فئة العشرة، ثم وضع الأوراق النقدية في كيس أدلة بلاستيكي.

قال "مردوخ":

- أنت تتصرف بمبالغة.

- وأنت رهن الاعتقال.

اعتقل ضابط آخر "كول كولمان" وقال:

- وكذلك مساعدك المطيع.



لم يدخل "فرانك بروكتور" مركز شرطة في حياته، لكنه الآن في غرفةٍ شبه فارغة جدرانها بيضاء مصمتة، ويجلس أمام محققين ملامحهما جامدة. شعر "فرانك" بالتوتر. مسح نظارته بمنديل أزرق، وندم لأنه لم يحلق قبل قدومه إلى قسم الشرطة.

قال رئيس المحققين "دانيال كلارك":

- هل أنت بخيرٍ يا "فرانك؟ تبدو محبطًا، إن سمحت لي بالقول.

- لم تستجوبني الشرطة من قبل.

قال المحقق "جيري رولاندز":

- هذا ليس استجوابًا يا "فرانك"، وأنت لست مشتبهًا به.

ثم أشار إلى الكاميرا وقال:

– لكن دعني أخبرك بأن هذا اللقاء مسجل فيديو، نحن فقط نقوم بتضييق دائرة الاشتباه عن طريق استبعاد الأشخاص واحدًا تلو الآخر.

لم يبعث كلام المحقق "رولاندز" الراحة في نفس "فرانك"، لم يطمئن لفكرة أن كل كلمة سيقولها سيتم تحليلها.

قال "كلارك":

– سأدخل في الموضوع مباشرةً، لديك صلاحيات لرؤية جدول المناوبات.

– بل لديَّ صلاحيات أكبر من هذه، أنا أضع الجدول.

قال "كلارك":

– إذًا أنت وضعت الجدول وحمَّلته إلى كمبيوتر منزلك؟

– لا، بل جهزته على كمبيوتر منزلي، أفعل ذلك كل أسبوع على مدار العامين الماضيين.

– وإلى من أرسلته؟

– "ليام" و"ديكلان".

قال "كلارك":

– سأقوم بتأكيد كلامك من أجل التسجيل. يقول سيد "بروكتور" إنه أرسل جدول المناوبات إلى سيد "ليام دايفر" وسيد "ديكلان باتلر". صحيح يا "فرانك"؟

– نعم.

– هل أرسلته إلى أي شخصٍ آخر؟

– لا.

– هل أنت متأكد؟

– بالطبع.

– من غيرك يستخدم الكمبيوتر؟

– زوجتي، لكنها لا تستطيع فتح ملفات البنك.

سأله "رولاندز":

- وما أدراك؟

قال "فرانك" بدهشة:

- لأنها لا تعرف كلمة سر ملفات البنك.

قال "رولاندز":

- ما الذي يجعلك واثقًا؟

- كفى سخافة، إنها لا تعرف كلمة السر.

تبادل "رولاندز" و"كلارك" النظرات، ولاحظ "فرانك" نظرة الضيق على وجه "رولاندز" فقال بسرعة:

- أنا آسف أيها الضابط، لم أقصد أن أكون وقحًا.

قال "رولاندز":

- إذًا، ألم تذهب إلى دورة المياه مثلًا وتركت الملفات مفتوحة على الكمبيوتر؟

- ربما.

- أو مثلًا ربما تركت الكمبيوتر مفتوحًا وذهبت لتفتح الباب لأحد أصدقائك؟

- هذا محتمل.

- إذًا ليس مستحيلًا على زوجتك أن ترى الملفات بينما أنت خارج الغرفة؟

- هذا محتمل لكنه لم يحدث.

سأله "كلارك":

- هل تشرب الكحول بينما تعمل على ملفات البنك؟

- أحيانًا.

سأله " رولاندز":

- ما صنفك المفضل؟

- فودكا "سميرنوف".

قال "كلارك":

- أنا أفضل "بوشميلز" عندما أعمل على الكمبيوتر في بيتي، أحبه كثيرًا يا "فرانك".

التوتر يلتهم "فرانك"، فارتجفت شفتاه بدلًا من أن يبتسم للمحقق.

سأله "رولاندز":

- هل تسكر بينما تعمل على ملفات البنك؟

- لا أحب الوصول لحالة السكر التام.

قال "رولاندز":

- هذا ليس مغزى سؤالي. هل سبق أن سكرت تمامًا بينما تعمل على ملفات البنك؟

- لا أتذكر.

سأله "كلارك":

- لا تتذكر إن كنت سكرت أم لا؟ هل لأنك كنت تسكر بشدة لدرجة ألا تتذكر؟

- الجميع يسكر أحيانًا.

سأله "رولاندز":

- هل أنت مدمن كحول يا "فرانك"؟

- هراء.

- لكن ألا تسكر بينما تعمل على الكمبيوتر؟

- لا، غير صحيح.

سأله "كلارك":

- متى تُغيِّر كلمة سر الملفات عادةً؟

هز "فرانك" رأسه وقال:

- مرة في السنة.

- متى آخر مرة غيرتها فيها؟

- لا أتذكر.

قال "رولاندز":

- لأنك كنت سكران جدًّا لدرجة ألا تتذكر؟

- لا، أنا لا أتذكر حقًّا.

- هل يمكن أن تكون زوجتك قد استعملت الكمبيوتر بينما أنت سكران؟ قل متى فقدت وعيك؟

- لم أفقد وعيي أبدًا.
- إذًا، هل تطفئ الكمبيوتر كلما غادرت مكتبك؟
رد "فرانك" وهو يحرك يده بعصبية:
- بالطبع لا، افهماني أرجوكما، يجب أن تصدقاني، لا دخل لزوجتي في الموضوع.
قال "كلارك":
- المشكلة يا "فرانك" هي أنك لا يمكنك التأكد من هذا. ربما دَخَلَت على ملفات البنك، أليس كذلك؟
وقف "فرانك" ومال على الطاولة وهو يشير إلى وجه "كلارك" بإصبعه ويقول:
- أنت! أنت.. كيف تجرؤ!
قال "كلارك":
- اجلس يا "فرانك".
- "إلينور" ليست لصة بنوك لعينة! يا إلهي! هل تعي ما تقول؟
صاح "كلارك":
- قلت اجلس!
جلس "فرانك" لكنه ما زال يوجه إصبعه نحو المحقق:
- زوجتي سيدة محترمة، لماذا قد ترغب أصلًا في سرقة بنكٍ لعين؟ أخبرني!
تراجع "فرانك" بظهره وأضاف:
- هذا أغرب شيء سمعته في حياتي.
قال "كلارك":
- لم نقل إنها سرقت البنك، بل قلنا إنها ربما فتحت ملفات البنك.
- لم تفعل.
دخل "ديكلان باتلر" غرفة الاستجواب وتبعه محقق، ودخل رئيس المحققين "دانيال كلارك" وجلس على الطاولة، ثم وقف وقدم نفسه وصافح يد "ديكلان".

سأل "كلارك" بنبرةٍ أبوية:

- كيف حالك يا بني؟ هل تشكو من شيء؟

- لا يا سيدي.

- هل تعرف أنه يحق لك طلب محامٍ ليحضر معك أثناء هذه اللقاءات؟

- لا أحتاج إلى واحد، فأنا بريء.

- السجون مليئة بالأبرياء يا "ديكلان".

- أعرف هذا، فأبي صديق "جيري كونلون" من جماعة "جيلدفورد 4" التي اتهمت ظلمًا بالقيام بأعمال تفجير قام بها الجيش الجمهوري.

- حقًّا؟

- هل يمكنني أن أسألك سؤالًا؟

- بالطبع.

- إلى متى تنوون احتجازي؟

قال "كلارك":

- يمكننا احتجازك لسبعة أيام إن لزم الأمر.

ثم وقف وقال:

- اتبعني من فضلك.

خرجا من الغرفة وسارا في ممر ثم خرجا إلى ساحة مستطيلة، ملأ "ديكلان" رئتيه بالهواء النقي بينما يأخذه "كلارك" جانبًا ويعرض عليه سيجارة، لكن "ديكلان" رفض. أشعل "كلارك" سيجارة وقال:

- لقد أخرجتك إلى هنا لأنني لا أريد أن يتم تسجيل محادثتنا.

- كيف أعرف إنك لا تسجلها بهاتفك مثلًا؟ ربما تحمل جهاز تسجيل صغير أيضًا.

- لا، لكن لا يهم، لست مضطرًا إلى قول شيءٍ يدينك. هل يرضيك هذا؟

أومأ "ديكلان" ونظر إلى الأرض.

قال "كلارك":

- أريد أن أساعدك، قد لا تصدق ذلك، لكنه صحيح.

- إن أردت مساعدتي حقًّا، فأطلق سراحي.

- لا أستطيع.

- كيف يمكنك مساعدتي إذًا؟

- قد لا تدرك ذلك يا بني، لكن لديك مستقبلًا باهرًا.

- حقًّا؟

- بالتأكيد، سجلك رائع، ليس فيه أي شبهة إجرامية.

- بالتأكيد، فأنا لست مجرمًا.

- لقد لقبوا "ماكسميليان روبسبيير" بالـ"نقي" ثم قطعوا رأسه في النهاية.

- قال "ديكلان":

- عذرًا؟ لم أفهم التشبيه.

- الفكرة هي أن كل شخص يمكن إفساده.

- أنا لست كذلك.

تجاهل "كلارك" تصريح "ديكلان" وقال:

- أنت من عائلة محترمة تلتزم بالقانون، وهذا جيد.

انتظر "كلارك" رد "ديكلان"، لكنه لم يتكلم فواصل بصوتٍ خافت:

- يمكنني إخبار القاضي بأنك تعاونت مع الجيش الجمهوري بالإكراه ثم تعاونت مع تحقيق الشرطة بالكامل، عندها ستخرج من القضية بريئًا، أضمن لك هذا.

- هل أنا متهم؟

- اسمعني يا "ديكلان"، أنا أعرض عليك صفقة، طريقًا للحرية. يمكنك أن تبدأ حياةً جديدة في أي دولةٍ تعجبك.

- أنا..

قاطعه "كلارك" وهو يرفع يده:

- دعني أنهي كلامي، اسمعني.

أومأ "ديكلان".

- نحن نعرض عليك إعفاءً من التهم والانتقال إلى دولةٍ من اختيارك ومئة ألف جنيه لتبدأ حياتك، إنها حياةٌ جديدة وفرصةٌ ذهبية يا "ديكلان"، لا تتسرع بالرفض قبل أن تفكر مليًّا.

بحث "كلارك" في وجه "ديكلان" عن دليلٍ يوحي بأنه مهتمٌ بهذه الفرصة العظيمة، لكنه لم يجد شيئًا، بدلًا من ذلك ابتسم "ديكلان" بتحدٍّ وشجاعة.

قال "كلارك":

- لا تبدو مبهورًا.

هز "ديكلان" كتفيه.

- حسنًا، الأمر راجعٌ إليك، البديل الوحيد هو قضاء سنوات في السجن، ستقضيها بينما تعد الأيام حتى موعد خروجك.

- هل أنا متهم؟

- ستكون.

ابتلع "ديكلان" ريقه وقال:

- لكن هذا خطأ، فأنا بريء.

ألقى "كلارك" سيجارته على الأرض وسحقها بقدمه وهو يقول:

- الخطأ هو سرقة ستة وثلاثين مليون جنيهًا إسترليني، وأنت لست بريئًا.

- أنا..

- لا تهدر أنفاسك معي، لقد سمعت كل الاعتراضات من قبل يا بني، أنا أعمل في هذا المجال منذ ثلاثين عامًا، لقد استجوبت أخطر الإرهابيين ورجال العصابات، أستطيع تمييز البريء والمذنب، وأنت مذنب.

- لكن..

- مهلًا يا "ديكلان"، قلت إنني هنا لمساعدتك، وأنا كذلك بالفعل، لا أريد رؤية شابٍ صغيرٍ مثلك يذهب إلى السجن ويهدر حياته.

- لن تدينني أي هيئة محلفين.
قال "كلارك" وهو يهز رأسه بتعجب:
- "ديكلان"، "ديكلان"، لماذا تظن أنك سَتَمثل أمام هيئة محلفين؟ ستحصل على محاكمة مغلقة، ألم يخبرك "تايني" بهذا قبل أن يضعك في الخطة؟
- بلا محلفين؟
- بلا محلفين.
- ما معنى محاكمة مغلقة؟
- هي محاكمة فيها قاضٍ يجلس بمفرده ينظر إلى الأدلة ويتطلع لإدانتك، ليس لأنك ثوري أو كاثوليكي، بل لأن الأدلة تشير إلى أنك الوحيد الذي كان بيده نجاح السرقة.
لوح "كلارك" بإصبعه وواصل الكلام:
- أنت يا "ديكلان" ولا شخص غيرك، وسيعاقبك القاضي أشد عقاب لأنك جعلت المحكمة تعقد هذه المحاكمة المكلفة.
ابتلع "ديكلان" ريقه بصعوبة.
أشعل "كلارك" سيجارة أخرى وقال:
- ما زال عرضي قائمًا، كل ما عليك فعله هو الإجابة عن بعض الأسئلة وسينتهي الأمر.
صمت "كلارك" قليلًا ثم قال بنفاد صبر:
- كل ما أريد منك فعله هو الإجابة بنعم أو لا، هذا ليس صعبًا جدًّا، صحيح؟
- لا، ليس صعبًا، لكنك تريدني أن أخبرك بهوية لصوص البنك، ألا تفهم الأمر؟ لا أستطيع إخبارك لأنني لا أعرف من هم، لا أعرف.
فتح ضابط بالزي الرسمي الباب المؤدي إلى الساحة وقال:
- رئيس الشرطة على الهاتف يا سيدي.
- أخبره أنني قادم.
أغلق الضابط الباب.
- هل تعرف لماذا يتصل بي رئيس الشرطة يا "ديكلان"؟

- لا.

- يريد أن يعرف إذا ما كنت ستتعاون معنا أم لا، لو نعم، سيقوم باتصالاته وسيبدأ في عمل ترتيباتٍ من أجلك.

أدرك "كلارك" أنه لا خيار أمامه سوى الضغط عليه.

- هل أنت في الجيش الجمهوري؟

- لا.

- هل نفذ الجيش الجمهوري هذه السرقة؟

- لا أعرف لأنني لست متورطًا فيها.

- لماذا بدلت مناوبتك؟

- لأنني أردت توفير بعض الوقت للخروج مع أصدقائي في الكريسماس.

قال "كلارك" بيأس:

- فهمت. لقد حاولت معك، تذكر هذا حين يحكم عليك القاضي، هيا نعد إلى الداخل.

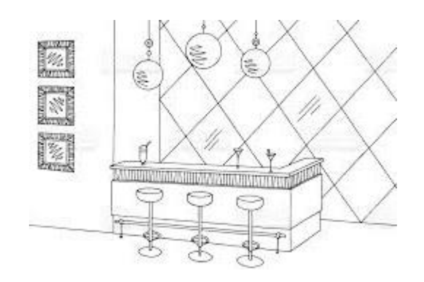
أشار له ليسير أمامه، لكن قبل أن يدخلا المبنى مباشرةً، أمسك "كلارك" بذراع "ديكلان" ليوقفه وقال:

- لن أحرمك من فرصة التعاون معنا، أريدك أن تفكر في خطورة وضعك، يمكنك التحدث معي في أي وقتٍ تريد.

قال "ديكلان":

- قلت إنه يحق لي توكيل محامٍ، أريد التحدث مع واحدٍ الآن.

24



ساد الصمت في بار "ذا جريف ديجرز" حين ظهر على الباب "تايني مردوخ" و"كولم كولمان". نظر "مردوخ" ببرود إلى الأشخاص الذين أمر بإطلاق النار على ركبهم بسبب قيامهم بعمليات سطو وسرقة مسلحة، بينما نظر "كولمان" إلى الأشخاص والأصدقاء السابقين الذي قام معهم بعمليات السرقة المسلحة، كلهم معاقون الآن. نظر الجميع إليهما بوجوهٍ جامدة لا تكشف عما بداخلهم، درس "مردوخ" الموقف، إنه ليس مرتاحًا وسط هذه الصحبة، لكنه ليس خائفًا أبدًا، أما "كولمان" فكل ما أراده هو المغادرة.

هتف شخصٌ ما:

- عاش الجيش الجمهوري.

وتبعه آخر:

- عملية مدهشة يا "تايني"!

قال آخر:

- هل يوجد أمل في أن تمنحنا بضعة ملايين يا "تايني"؟

ثار البار كله. دخل "تايني" وتردد "كولمان"، فسحب "مردوخ" "كولمان" من ياقة سترته، وربت الموجودون على ظهريهما وصافحوهما وغمزوا لهما بتحية. لقد نشر الإعلام الخبر. أحب الجميع فكرة سرقة البنك، إنهم يحتفلون.

إنهم الآن يحتفلون به أكثر من كونهم يعظمونه ويخشونه. وصل "مردوخ" و"كولمان" أخيرًا إلى طاولة "بول أوفلايرتي". "أوفلايرتي" لا يشرب الكحول، وهو عضو في المجلس العسكري للجيش الجمهوري، أخذ الشفاطة ومال ليشرب عصير برتقال، وأشار "أوفلايرتي" برأسه لـ"مردوخ" بحركة خفيفة جدًّا لكي يقترب. قال "أوفلايرتي" بخفوت ورأسه ما زال منحنيًا على مشروبه:

- أمرتك بمعرفة تفاصيل هذه السرقة، هل فعلت؟

- أعرف من خدعنا يا "أوفلايرتي".

- من؟

- اسمه "جيمس أوهاري".

- ابن أخ "بانزر"؟

أومأ "مردوخ".

قال "أوفلايرتي":

- اقبض عليه، استعد مالنا، لكن لا تستخدم رجالنا إن ساءت الأمور، فنحن لا نريد إغضاب المجلس العسكري، إن احتجت إلى مساعدة فاحصل عليها من دبلن.

جاء أحد المتقاعدين إلى "مردوخ" وظل يترنح بجانبه، مر "مردوخ" بهذا الموقف كثيرًا، فأعطى الرجل بعض المال لينصرف. وصل نادل وسأله ماذا يحب أن يشرب، فسأله "مردوخ" من صاحب الدعوة، فأشار النادل إلى رجل كان "مردوخ" قد أمر بعقابه بالضرب بمضارب البيسبول منذ عامين. انتهت الضغائن الآن، ولا يشعر "مردوخ" بتأنيب الضمير، فلوح للرجل بتحية وبادله الرجل بالمثل، ونظر "مردوخ" إلى الطاولة ثم طلب المشروبات.

شعر بمن يجذب ذراعه فاستدار ليجد "أوفلايرتي" يقول:

- لا تورط جماعتنا في الموضوع.

- فهمت يا "بول".

اقترب شابٌّ أنيق من "مردوخ" وهمس بشيءٍ في أذنه، ولم يظهر انفعال على وجه "مردوخ"، وأشار برأسه إلى كولمان". ودَّع "أوفلايرتي" ثم خرج مع "كولمان"، وركبا السيارة وذهبا إلى مقبرة "ميلتاون".

توقفا في جراج صغير في آخر المقبرة حيث توجد سيارة "رينو" رمادية متوقفة، شغل "كولمان" شريط أغانٍ في سيارته ثم خرج واقترب من السيارة الـ"رينو" ونظر بداخلها. أشار لمن بداخلها بإصبعه، فظهر "فينبار"، فأشار له بالبقاء مكانه ثم وقف بجانب أحد القبور، أمره "كولمان" بأن يخلع معطفه وحذاءه ثم يفتح قميصه، فأطاعه "فينبار" وقال:

- انظر يا سيد "كولمان"، أنا نظيف تمامًا، مستحيل أن آتي إليك حاملًا جهاز تنصت.

قال "كولمان":

- حسنًا، اركب في المقعد الخلفي.

جلس "فينبار" في المقعد الخلفي لسيارة "كولمان" ثم جلس "كولمان" في مقعد السائق.

كان "مردوخ" جالسًا في المقعد الخلفي وينظر إلى "فينبار" الذي قال:

- سيد..

- اصمت.

ظل ينظر إليه قليلًا ثم قال:

- أخبروني أن لديك ما تبلغني به.

- نعم، لديَّ معلومات قد تفيدك.

أمسك "مردوخ" بجريدة "أيريش نيوز" وأخذ يتصفحها قبل أن يقول:

- حسنًا؟

- أولًا، هل يمكن أن تعطيني إذنًا كتابيًّا يسمح لي بالعيش آمنًا في أيرلندا الشمالية؟

ضحك "مردوخ" وقال:

- من أنت أصلًا؟

- أنا "فينبار أوهاري".
- لم أسمع بك من قبل.
- أنا ابن "بانزر أوهاري".
- "بانزر أوهاري".. إنه الرجل الذي ينظم سباقات الكلاب، صحيح؟

ارتبك "فينبار"؛ لم يتوقع أن يسير اللقاء هكذا، كان لديه معلومات، لذلك توقع أن يرحبوا به.

- أبي لا ينظم سباقات كلاب.
- لا يهمني ماذا يعمل والدك لكسب المال، ما يهمني حقًّا هو أن أعرف لماذا تظن أنك لن تكون آمنًا في أيرلندا الشمالية، وما علاقة سلامتك بي؟
- هل يمكنني التحدث بصراحة؟

ظهر مزيجٌ من تعبير التسلية والغضب على وجه "مردوخ" وهو يقول:

- فلتفعل ما تريد، لا أهتم أبدًا.

تجاهل "فينبار" سخرية "مردوخ" وقال:

- هل يمكنني الحصول على ضمانة بأن الجيش الجمهوري لن يقتلني؟
- أرجو ألا تطلب مني التحدث بالنيابة عن الجيش الجمهوري، لأنني لست منه، هل تطلب مني التحدث بلسانه حقًّا؟
- لا، لا، لا.

قال "مردوخ":

- يسعدني أننا اتفقنا على هذا، لكنني أشعر بالفضول، لماذا تظن أنك في خطر؟
- أظن ذلك وحسب.
- فهمت. ربما يمكنني مساعدتك.

خرج "مردوخ" من السيارة وأشار لـ"فينبار" ليتبعه، ثم سارا بين القبور، وقال "مردوخ":

- أظن أنه من واجبي المدني الحفاظ على أمنك، إن استطعت. أنا لست من الجيش الجمهوري بالطبع، هل تفهم ذلك؟

- نعم.
توقفا عند مقبرة عائلة "مكول".
قال "مردوخ":
- "براين مكول"، نعرفه باسم "فين مكول".
انحنى "مردوخ" ليقرأ المكتوب على شاهد القبر.
- إنه هو بالفعل. كان مدرسًا في مدرسة "ساينت توماس". كان وغدًا.
واصلا السير حتى توقف "مردوخ" ونظر إلى الجبال السوداء التي تطل على "بيلفاست" وقال:
- يبدو لي أنك تظن أن حياتك في خطر، صحيح؟
تساءل "فينبار" في سره: "كم مرة سنعيد هذا الموضوع؟!"، وقال بصوتٍ مسموع:
- هذا صحيح يا سيدي.
قال "مردوخ":
- ربما، لا فكرة لديَّ عن الموضوع، لكن يمكنني نقل كلامك إلى قسٍّ أعرفه وربما يتحدث مع بعض الجمهوريين وقد يتركونك على قيد الحياة.
ثم استدار وأضاف:
- نعم، هذا ما سيحدث على ما أظن.
تدلى فم "فينبار" قليلًا واتسعت عيناه لتكشف عن حيرته، من المحتمل أن يكون ما تلقاه الآن عبارة عن تهديدٍ بالقتل، لكنه ليس متأكدًا، فقال:
- شكرًا.
قال "مردوخ" بهدوء:
- لا مشكلة يا بني، والآن دعنا نسمع ما لديك.
- أرجوك لا تسئ فهمي يا سيدي، لكنني ما زلت غير واثقٍ من أن الجيش الجمهوري لن يقتلني.
تغير أسلوب "مردوخ" تمامًا وقال:
- ولا أنا، والآن ابتعد!

- أنا لا..
- قلت لك ابتعد!
- لكنك قلت..
- قلت إنني سأحاول مساعدتك، لكن يبدو أنك لا تريد مساعدتي، لذلك ابتعد.
رفع "فينبار" يديه باستسلامٍ وقال:
- أعتذر، أنا آسف.
زفر "مردوخ" بقوةٍ وقال:
- خيرًا تعمل، شرًا تلقى.
ثم رفع إصبعه وقال:
- سأعطيك فرصةً أخيرة، واحدة فقط.
أخرج "فينبار" الكلمات من فمه بصعوبةٍ وهو يقول:
- كنت في المنزل ورن الهاتف، كان المتصل صديقًا لأبي.
- ما اسمه؟
- "سكواير".. "سكواير ديلاني"، إنه يملك قاربًا بخاريًّا في مدينة "كارلينجفورد" الساحلية.
- الكثير من الناس يملكون قوارب بخارية.
- لكنهم ليسوا جميعًا أصدقاء أعزاء لـ"راكشنز أوهاري".
قال "مردوخ" وهو يحك ذقنه متظاهرًا بالتفكير:
- "راكشنز أوهاري".. "راكشنز أوهاري".. هذا الاسم يبدو مألوفًا. قلت إن "سكواير ديلاني" يملك قاربًا بخاريًّا؟
أومأ "فينبار" بالإيجاب.
- هذا مثيرٌ للاهتمام. خذ راحتك وأخبرني لماذا أخبرتني بهذه المعلومة أيها الفتى، ولا تُخفِ أي معلومات.

جلست "إلينور بروكتور" في غرفة الاستجواب نفسها التي جلس فيها زوجها من قبل، جلس مقابلها رئيس المحققين "دانيال كلارك"، رفعت "إلينور" واحدة من الصور الكثيرة الموضوعة أمامها ثم تركتها، رفعت صورة "تايني مردوخ" وتركتها، ثم رفعت صورة "راكشنز" وتركتها، لكن "كلارك" الخبير لاحظ تغييرًا طفيفًا فيها، فسألها وهو يضع الصورة أمامها مجددًا:

- هل تعرفينه؟ خذي وقتكِ وركزي.

هزت "إلينور" رأسها ببطءٍ وقالت:

- لا، لم أر هذا الرجل من قبل.

ثم دفعت الصورة بعيدًا وأخذت غيرها.

رفع "كلارك" صورة "راكشنز" ونظر إليها بإمعان، ظل ينقل نظره بين "إلينور" وبين الصورة. عرفت أن المحقق ينظر إليها بريبة، لكنها تجاهلته.

قال "كلارك":

- "جيمس أوهاري" الشهير بـ"راكشنز"، هل يذكرك هذا الاسم بشيء؟

- لا.

- هل أنتِ واثقة يا سيدة "بروكتور"؟

سحب "كلارك" كرسيه ليقترب منها، ثم أمسك يدها وقال:

- أنا صديقٌ يا "إلينور"، يجب أن تعلمي هذا، لكن صدقيني، إن اكتشفت أنكِ أو زوجكِ ساعدتما "أوهاري" أو غيره على سرقة البنك، فستقضيان حياتكما في السجن، وسأكتشف بالتأكيد، هل تفهمين؟

أومأت "إلينور".

- أنا أعطيكِ الفرصة لتخبريني إن كان هذا الرجل ضغط عليكِ لمساعدته على سرقة البنك الوطني، يمكننا مساعدتكِ، إن كنتِ متورطة بأي شكلٍ مع "أوهاري"، يمكننا مساعدتكِ.

سحبت "إلينور" يدها منه، ولمح "كلارك" شرارة تمردٍ في عينيها وهي تقول:

- لا أعرفه أيها الضابط.

أومأ "كلارك" وبدأ يجمع الملفات وقال:
- سنتوقف هنا الآن يا سيدة "بروكتور"، وشكرًا على تعاونكِ، لقد ساعدتنا كثيرًا.



استلقى "تايني مردوخ" بملابسه الداخلية فوق السرير أمام التليفزيون وفي يده الريموت، لقد استمتع بإقامته القصيرة في ضيافة الشرطة، وبالنظرة التي علت وجوههم عندما قدَّم محاميه دليلًا على وجوده في مسرحية عن ميلاد المسيح اشترك فيها ابن أخيه، و"كولمان" كان متحمسًا جدًّا فأخذه معه أيضًا، وذلك في ليلة السرقة. نظر "تايني" بجانبه على السرير إلى طبقٍ فيه قطع دجاج مقرمشة وعليها صلصة حارة، وأخذ قطعة ومضغها ببطء. كان يشاهد الفيديو الذي سجله رجله الأصلع الذي كان يركب سيارة "فولكس فاجن" صفراء ويراقب "إلينور" و"راكشنز" في جراچ الچيم. كان الرجل الأصلع يقول في التسجيل: "السيد "جيمس أوهاري" يخرج من سيارته ويسير إلى سيارة السيدة "إلينور بروكتور". أعاد "مردوخ" تشغيل الشريط، وعندما انتهى أخذ ينقر على ذقنه بالريموت في تفكير، ثم أخذ هاتفه واتصل برقم، لكنه أغلق الخط قبل أن يرد الطرف الآخر، ثم فكر قليلًا ثم اتصل بالرقم مجددًا.

كان "بانزر" يجلس أمام المدفأة حين لمح اسم "مردوخ" على شاشة هاتفه، تردد قليلًا ثم أجاب:

- مرحبًا.

- تعال في المكان المعتاد بعد نصف ساعة.

وصل "مردوخ" إلى ميناء "ماكيلان" قبل "بانزر"، كان الرجلان وحدهما دون رجالهما، ركب "بانزر" سيارة "مردوخ"، وفتشه هذا الأخير تحسبًا لوجود جهاز تنصت، هذه المرة دخل "مردوخ" في الموضوع مباشرةً:

- أنا غاضبٌ منك.

قال "بانزر" في سره: "أنت تنزعج بسهولة أيها الأحمق"، ثم قال له:

- كلي آذانٌ صاغية.

قال "مردوخ":

- حقًّا؟ يا لعطفك!

- لم أقصد أن..

- "إلينور بروكتور".

- من؟

هز "مردوخ" رأسه بسخريةٍ واحتقار وقال:

- ربما يعرفها "فينبار"، سأجعل الرجال يسألونه.

- "إلينور"! نعم، تذكرتها الآن.

- هذا ما ظننت. أريد التحدث معها، هل تتكرم وتخبرني أين قد أجدها؟

- أعرف أين تعيش إن كان هذا ما تقصد.

- أعرف أين تعيش، لكنها ليست هناك منذ بضعة أيام، أين قد تكون الآن؟

قال "بانزر" وهو يرفع يديه بحيرة:

- كيف لي أن أعرف يا "تايني"؟ لقد عرفتها من خلال "راكشنز" فقط، ولم أقابلها قط.

- أنت لا تتستر عليها، أليس كذلك؟

- مستحيل.

- هذا لمصلحتك يا "بانزر".



أخذ المحقق "سيريل جونز" صورة أحد المجرمين من "ديكلان" وقال:

- أنت تخيب أملي يا "ديكلان".

ثم وضع صورة "كولمان" أمامه وقال:

- ماذا عن هذا الرجل؟ هل تعرفه؟

هز "ديكلان" رأسه نفيًا.

- وهذا؟

رفع "ديكلان" صورة "تايني مردوخ" وتفحصها ثم تركها وقال:

- لا.

قال "جونز":

- بالتأكيد تعرفه.

- لا.

- أنت تعيش في غرب بلفاست ولا تعرف "تايني مردوخ"؟!

قال "أنتوني برايس" محامي "ديكلان":

- لقد أجاب موكلي عن سؤالك بالفعل.

وضع المحقق صورة لـ"راكشنز" أمام "ديكلان" الذي درسها بعناية، لاحظ "جونز" تردد "ديكلان"، فسأله:

- هل تعرف هذا الرجل؟

- لا.

- لكنك ترددت في الإجابة.

- لا أعرفه.

قال "جونز":

- انظر إليه مجددًا، اسمه "جيمس أوهاري" الشهير بـ"راكشنز"، هل يذكرك هذا الاسم بأي شيء؟

نظر "ديكلان" إلى عيني "راكشنز" وتساءل في نفسه: "هل هو "جاك"؟ عيناه تشبهان عيني "جاك". ربما أنا مخطئ".

- لا، لا يذكرني الاسم بشيء.

- لكنك تعرفت عليه؟

قال "ديكلان" وهو يتراجع في كرسيه ويشبك يديه خلف رأسه:

- اسمعني أيها الضابط، للمرة المليون، لم أستطع التعرف على أحد، كانوا يرتدون أقنعة وأدوات تنكر، كيف بحق السماء سأتعرف على أحد لم أر وجهه؟

- المشكلة هي أننا نظنك تعرف شكلهم بالفعل يا "ديكلان"، في الواقع نحن نظنك واحدًا منهم أصلًا.
- هذا ما تقولونه.
- وهذا ما تنكره.
- وسأواصل إنكاره.



الساعة الثانية فجرًا، ما زالت الرياح العاتية تعصف بالغيوم وتدفعها أمام القمر لتخفي نوره، كان "بيلي كيلي" و"أمبروز" يقودان شاحنة تبريد مكتوب عليها "أسماك سالواي"، توقفا على جانب الطريق عند مخبأ "راكشنز" في ضواحي بلدة "سليجو"، ثم خرجا من الشاحنة وصافحهما "راكشنز" بصمت، وفتح "بيلي" مؤخرة الشاحنة التي تحمل بالفعل حاويات بلاستيكية من السمك المجمد، فحمل "أمبروز" و"بيلي" حاويات فارغة إلى المطبخ حيث هما و"راكشنز" قد ملؤوها برزم المال حتى نصفها ثم غطوها بالسمك المجمد وكدسوها بنظامٍ في مؤخرة الشاحنة.

تسلل قارب الصيد "لو نيبتون" من ميناء "سان نازير" على الساحل الفرنسي للمحيط الأطلنطي. استلقى "ميرسير" على سريرٍ صغير وهو يمسك بكوب شاي يسنده إلى صدره، ظل الكوب يرتفع وينخفض مع كل نفسٍ يدخل ويخرج من صدره. كان صاحب القارب يجلس في كابينة القيادة الموجودة فوقه مباشرةً. "أنطوان" هو صاحب القارب وهو أيضًا ابن أخ "سيرجي". ارتجف "سيرجي" من البرد، فضم ياقة معطفه المبطنة بالفرو حول رقبته، ونظر إلى مرآة مثبتة على الدولاب ثم عاد باكتئابٍ يركز انتباهه على تدفئة نفسه من برد الليل. قال لنفسه: "الوقت مثل إعصارٍ عنيف، يدمر كل ما يعترض طريقه، بعد هذه العملية سأتقاعد، لا مزيد من التهور والمخاطرة، هذا يكفي!".

رفع "سيرجي" الكوب ليشرب، لكنه وجد الشاي باردًا، شربه على أي حال. إنه واثقٌ من أن تورطه مع أموال البنك لن تكون مخاطرةً كبيرة، فلو ظهرت الشرطة في

مكان التسليم أو بعد ذلك لن يمكنهم اتهامه إلا إذا وجدوا معه المال، ولإحباط هذا الاحتمال، زود "أنطوان" القارب بأربع شحنات متفجرة صغيرة يستطيع التحكم بها عن بعد وهو في قارب النجاة، الأمر بسيط في نظر "سيرجي"، لا إدانة دون دليل.

رن هاتف "راكشنز" بينما يقود "أمبروز" شاحنة السمك عبر بلدة "كافان"، إنه "سيرجي". بالنسبة إلى أي شخصٍ يتنصت عليهما، تبدو المحادثة وكأنها دردشة عادية، لكن عندما سأله "راكشنز" عن حالة الجو، رد الفرنسي قائلًا إنه ممتاز. هذا معناه أنه في عرض البحر في طريقه إلى اللقاء.

بينما كان يتحدث "راكشنز" مع "سيرجي"، لاحظ "أمبروز" أضواء متحركة تنعكس في مرآة الرؤية الخلفية، أنهى "راكشنز" المكالمة مع "سيرجي" ونظر للخلف، فسمع صوت سرينة مزعجة وأخذ يعلو، فشعر بالقلق فورًا.

قال "بيلي" محاولًا إخفاء التوتر الذي تسلل إلى صوته:

- ما هذا يا ترى؟

مد "راكشنز" يده إلى المسدس المعلق في حزامه وقال:

- سأتصرف.

قال "أمبروز":

- قتل رجال الشرطة لم يكن جزءًا من الاتفاق يا "راكشنز"، أنا متأكدٌ من ذلك، وإلا ما كنت..

قال "بيلي":

- اخرس يا "أمبروز"، لن تصل الأمور إلى هذا الحد.

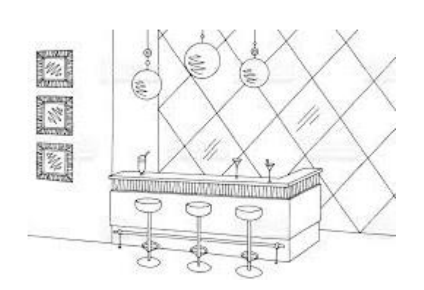
واصل "أمبروز" النظر في المرآة الخلفية، الأضواء المتحركة تقترب بسرعة، وأخيرًا قال بارتياح:

- إنها شاحنة إطفاء.

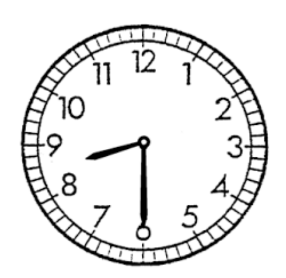
توقف على جانب الطريق ليسمح لشاحنة الإطفاء بالمرور.

نظر "تايني مردوخ" إلى الوقت في ساعته الموضوعة على الكومودينو بجانب السرير، لم يستطع التوقف عن التفكير في "راكشنز أوهاري". "أين أنت الآن يا "راكشنز"؟ ماذا تنوي؟ ما خطتك؟ هل أنت مختبئٌ الآن في مكانٍ ما على سريرٍ دافئ مع "إلينور بروكتور" وتحلم بالسباحة في أموال البنك؟ أم هل أنت طليق؟ طليق أين؟ هل تتآمر؟ تدير خطة؟ تدبر مكيدة؟ تواصل التفوق علينا؟ أظنك طليقًا أيها الولد". جف حلق "مردوخ"، فلعق شفتيه بلسانه بتوتر. "هل فكرتُ في كل شيء؟ هل كان هناك ما يمكنني فعله أكثر مما فعلت؟ هل يمكن الوثوق بهذا المغفل "فينبار"؟". ترددت كلمات "بول أوفلايرتي" في عقله: "استعد مالنا، لكن لا تستخدم رجالنا إذا ساءت الأمور". "هل يمكن أن تسوء الأمور يا "راكشنز"؟". القلق الذي يشعر به أخبره أن هذا الاحتمال وارد.

أغلق "بانزر" "سوستة" معطفه بينما ينظر من نافذة الطابق العلوي، شعر بمزيجٍ من الراحة والحزن. "لقد كُتِب آخر فصلٍ من كتاب حياة "بانزر، لم يبق إلا الخاتمة، من سيكتبها يا ترى؟ "فينبار"؟ "راكشنز"؟ لا أظن، "تايني مردوخ"؟ لا، ربما لن تُكتَب أصلًا، ربما الحال أفضل هكذا".



25



الساعة الثامنة والنصف صباحًا في ميناء "كارلينجفورد"، تلونت السماء بمزيجٍ من اللون العسلي والبنفسجي فوق جبال "كولي"، عرض الميناء ثلاثمئة مترٍ في أوسع نقطة، ومئة متر في أضيق نقطة، وهناك مجموعة متنوعة من القوارب الراسية عند الرصيف. يطل على الجانب الشمالي من الميناء أطلال قلعة الملك "جون" التي تسيطر على منظر الخليج والميناء.

أوقف "راكشنز" و"بيلي" و"أمبروز" الشاحنة في الجانب الجنوبي للميناء، ووضعوا ألواحًا كبيرة من جهة الشمال لإخفاء مؤخرة الشاحنة عن الأعين المتلصصة. راقب "راكشنز" الجانب الشمالي من خلال منظار للرؤية بالأشعة تحت الحمراء.

قال "بيلي":

- يبدو الوضع هادئًا بالنسبة لي.

قال "راكشنز" وهو يشغل الراديو:

- سيأتي.

"هنا إذاعة الـ"بي بي سي". تم الإفراج بالأمس عن أحد موظفي البنك بعد اتهامه بتورطه في سرقة ستة وثلاثين مليون إسترليني من البنك الوطني خلال عملية السطو التي وقعت هذا الشهر. السيد "أنتوني برايس" هو محامي الدفاع عن "ديكلان باتلر" ذي الخمسة والعشرين عامًا من منطقة "ريفرديل كلوز" غرب بلفاست. صرح المحامي للمحكمة أن السيد "باتلر" أنكر بشدة

الاتهام الموجه إليه أثناء احتجازه في مركز الشرطة، كما قال إن الدليل المستخدم ضد موكله مجرد دليلٍ ظرفي. اعترض المحقق "جيري رولاندز" على إطلاق سراح المتهم، موضحًا احتمالية هرب السيد "باتلر" من القضاء. أطلق القاضي "دانكن ماكلنتاير "سراح السيد "باتلر" بشرط أن يذهب إلى الشرطة ثلاث مراتٍ في الأسبوع ليؤكد وجوده داخل البلاد".

أغلق "راكشنز" الراديو.

قال "بيلي":

– يبدو أن الفتى "ديكلان" لم ينهَر ويستسلم في قبضة الشرطة.

قال "راكشنز":

– ولم قد يفعل؟ إنه لم يخطئ.

قال "بيلي":

– لن يكون أول رجلٍ بريء يعترف للشرطة بأنه مذنب.

قال "راكشنز":

– من المفترض أن ينجو من العقوبة.

شعر بالأسف على "ديكلان باتلر"، لكن ليس لدرجة أن يعترف للشرطة بأنه هو العقل المدبر وأن "ديكلان" بريء. إنه مذهول، من كان يتوقع أن تسير الأمور على هذا النحو؟!

راقب "راكشنز" ما حولهم بالمنظار، فلمح قارب "سكواير ديلاني" البخاري بطوله البالغ ثلاثين قدمًا. توقف عند طرف الميناء، وتردد في السماء صوت النوارس. فتح "راكشنز" زجاجة ماء وشرب منها، ثم لكز "أمبروز" بمرفقه، فتحركت ذراعه التي كانت تسند ذقنه وسقط رأسه وقال بدهشة:

– آه! من الذي..؟ لماذا فعلت هذا؟

– حان الوقت.

ارتجف "أمبروز" وقال:

- لقد تجمدت تمامًا.

فرك يديه طمعًا في بعض الدفء ثم نظر بتركيزٍ إلى شمال الميناء ليرى ما يحدث هناك.

- لا أرى شيئًا، ما الذي يفترض بي النظر إليه؟

اقترب قارب "سكواير" البخاري من الجانب الشمالي للميناء.

قال "بيلي":

- وسيلة نقلنا.

نظر "راكشنز" عبر المنظار مجددًا، ومسح أسوار قلعة الملك "جون" بنظره ثم تفحص البحر، لا شيء مريب.

- لنذهب.

فجأة ظهر أربعة شباب واتجهوا إلى سيارة "تويوتا" مركونة عند مدخل الميناء. أحدهم كان يلعب بالمفاتيح، جذب هذا انتباه "بيلي" و"راكشنز"، وراقبا الـ"تويوتا" وهي تخرج من منطقة الميناء، عض "راكشنز" على إبهامه، ثم قال لنفسه: "إنهم لا يشكلون خطرًا، سأنظر مرة أخرى من باب الاحتياط". رفع منظاره مجددًا. "لا أثر لخفر السواحل ولا الشرطة، الوضع مثالي تمامًا".

نظر "راكشنز" إلى أسوار قلعة الملك "جورج" بينما يقترب "أمبروز" من شمال الميناء وهو يقود شاحنة السمك.

أمره "راكشنز":

- اتجه إلى القارب البخاري مباشرةً.

أوقف "أمبروز" شاحنة السمك، ونزل "راكشنز" وقال:

- انتظر هنا.

ذهب "راكشنز" إلى طرف المرسى وتحدث مع "سكواير ديلاني" الذي يقف في قاربه، ثم عاد إلى شاحنة السمك وقال:

- لنقم بتحميل السمك إلى القارب برويةٍ وهدوء.

صعد "بيلي" إلى مؤخرة الشاحنة وبدأ يجر الحاويات البلاستيكية إلى الباب، بينما ركب "أمبروز" القارب وبدأ "راكشنز" و"بيلي" يناولانه هو و"سكواير" الحاويات.

كان "بيلي" على وشك أن يناول "راكشنز" آخر حاوية، لكنه أمسك ذراعه وقال:

– ليس هذا، إنه لك ولـ"أمبروز"، قلت إنني سأعتني بك.

أومأ "بيلي" وقال:

– أنت حقاني وتفي بوعودك يا "راكشنز".

تعانقا وقال "راكشنز":

– لطالما كنت صديقًا حقيقيًّا لي في الأزمات.

قال "بيلي" لـ"راكشنز" بينما يعود "أمبروز" إلى الرصيف:

– تتحدث كما لو أنك لن تعود إلى أيرلندا مجددًا.

– بالفعل، سأحاول تجنب ذلك، ربما..

صاح "أمبروز":

– لقد أصبت!

تجمد "راكشنز" و"بيلي" للحظة ثم أمسكا "أمبروز" وجذباه ليحتمي بالشاحنة.

قال "راكشنز":

– لم أسمع صوت طلقات، وأنت؟

قال "بيلي":

– لا. أيًّا كان الفاعل، إنه يستخدم كاتمًا للصوت.

صاح "سكواير ديلاني":

– ماذا يحدث؟

هتف "راكشنز":

– ابق منخفضًا! ألق لي عدة الإسعافات الأولية الخاصة بك!

اصطدم وابلٌ من الطلقات الصامتة بجسم الشاحنة. هبطت عدة الإسعافات الأولية بجانب "بيلي" الذي قال:

- هذا رشاش نصف آلي مزود بكاتمِ صوت.

فتح قميص "أمبروز" وتفحص الجرح ثم قال:

- لقد أُصيب في كتفه.

مزق القميص وبدأ يضمد الجرح.

صرخ "أمبروز" من الألم وقال:

- آآه! رفقًا بي! هذا مؤلم! لماذا يحدث هذا لي دائمًا؟ إنها ثاني مرة أصاب فيها برصاص، لماذا لا تصاب أنت أبدًا؟

قال "راكشنز":

- أظن أن الفاعل وسط أطلال القلعة.

نظر حوله ثم أضاف:

- لا يمكننا البقاء هنا وإلا سينزف "أمبروز" حتى الموت.

انطلقت دفعةٌ أخرى من الطلقات إلى الأرض بجانب الشاحنة، فقال "بيلي":

- لقد حوصرنا.

انتزع "راكشنز" المرآة الجانبية ورفعها بحذرٍ ليرى انعكاس أطلال القلعة، فلم ير أي حركة.

- "سكواير"، اقترب بالقارب من الرصيف بقدر المستطاع.

سأله "بيلي":

- ماذا ستفعل؟

- سأركب الشاحنة وأقودها بسرعةٍ أمام القلعة، هذا سيجذب انتباه المهاجم بينما تصعدان أنتما إلى القارب.

قال "أمبروز":

- هل جننت؟ سيحولك الرصاص إلى مصفاة!

تجاهله "راكشنز" وقال:

- "سكواير"، انطلق بالقارب مباشرةً بمجرد أن يصعدا.

قال "بيلي" له:

- هل تريد أن تكون بطلًا ميتًا؟!

- حسنًا إذًا، ما هي خطتك؟

قال "بيلي":

- ليس لديَّ خطة، ولا أنت أيضًا، لا تتظاهر بالبطولة!

- سأخفض رأسي وسأتفادى الرصاص.

قال "أمبروز" بألم:

- آآه! اهدآ من فضلكما.

قال "بيلي" لـ"أمبروز":

- لم أقابل من هو أشد تذمرًا منك.

- أنا؟ متذمر؟ بل أنت المتذمر، لو كنت مكاني لـ...

قال "راكشنز" وهو يشير إلى الشاحنة:

- "بيلي"، أريدك أن تطلق بضع طلقات على أسوار القلعة في هذا الاتجاه، هكذا سيكون لديَّ فرصة لركوب الشاحنة.

- هل أنت أصم؟ ماذا قلت لك للتو؟ لن تلعب دور البطل!

- إنها فرصتنا الوحيدة!

- هراء!

أما من يقف عند القلعة ويراقبهم، فكان "بينزو مولينز"، وبجانبه "مكلور" الشهير بـ"توينتي بيليز"، كان هذا الأخير يمسك رشاشًا نصف آلي مزود بكاتم صوت.

فجأة تسلق شخصٌ ما درجات السلم حتى صعد إلى قمة الأطلال وهو يلهث بشدة، استدار "بينزو" بسرعة، فوجد "بانزر" يرتدي بذلةً سوداء وقبعة قصيرة

الأطراف ويمد ذراعه أمامه، أطلق "بانزر" النار على "بينزو" ثم "توينتي بيليز"، فسقط كلاهما، لكن "بانزر" لم ينزِل ذراعه، واقترب منهما وأطلق رصاصة الرحمة على رأسيهما، ثم وقف على الحافة ونظر أمامه ثم لوح بذراعيه.

لمح "راكشنز" شخصًا ما في المرآة وتمتم:

- إنه يبدو لي.. أنه "بانزر"!

ثم هتف وهو يقف:

- إنه الزعيم!

قال "بيلي":

- مستحيل.

أمسك "بانزر" صدره وسقط على ركبتيه، جحظت عيناه، وسقط المسدس من يده.

جرى "راكشنز" و"بيلي" نحو القلعة وتسلقا الأطلال، كان "بانزر" راكعًا على ركبتيه وظهره يميل إلى الخلف ورأسه متهدل على صدره، فأرقده "راكشنز" أرضًا برفق، وبحث بجنون في جيوبه عن دوائه.

كادت أنفاس "بانزر" تتلاشى، لكنه أمسك يد "راكشنز" ليوقفه، وقال برفق:

- لقد فات أوان الدواء.

ثم هز رأسه وهو يضيف:

- لا تفعل يا بني، لا تفعل.

ابتلع "راكشنز" ريقه بصعوبةٍ وأحاط "بانزر" بذراعه وربت على خده برقة.

- يا زعيم..

ابتسم "بانزر" وقال:

- "راكشنز".. أنا آسف.

- أعلم.

- كانوا.. سيقتلون "فينبار".

- لا تتحدث يا زعيم.

قال بأنفاسٍ متلاحقة:

- لم أستطع أن..

- أعلم.

أمسك "بانزر" ذراع "راكشنز" وتمتم:

- إنه يبحث عن.. "إلينور".

شهق "راكشنز" وسأله:

- من يبحث عن "إلينور"؟ يا زعيم، من يبحث عن "إلينور"؟

- "تايني"..

زاغت عينا "بانزر" وتدلى فكه، لقد مات.

عانق "راكشنز" "بانزر" وبكى بصمت.

أمسك "بيلي" ذراع "راكشنز" وقال:

- يجب أن تتركه يا "راكشنز".

تمسك "راكشنز" بـ"بانزر" أكثر، فقال "بيلي":

- "راكشنز"، ستصل الشرطة في أي لحظة.

أرقد "راكشنز" "بانزر" على الأرض برفق.



جلس "كولم كولمان" واثنان من رجال الجيش الجمهوري في شاحنة "ڤان" خارج الميناء، مر بهما سيارتا شرطة وسيارتا إسعاف بأصواتها المزعجة. اتصل "كولمان" بـ"مردوخ" وقال:

- لا أثر لصديقينا، لكن دخلت سيارتا شرطة وسيارتا إسعاف، أظننا فقدنا المال.

قال "مردوخ" قبل أن يغلق الخط:

- أبلغني بالمستجدات أولًا بأول.

- أجيبي يا "إلينور"، أجيبي أرجوكِ.

رد عليه جهاز الرد الآلي.

- تبًّا!

أغلق "راكشنز" الخط وأرجع ظهره للوراء بينما يجلس في قارب "سكواير ديلاني" البخاري الذي يقفز فوق الأمواج.

"حان وقت القرارات المجنونة، سألعب دور فاعل الخير". أجرى "راكشنز" اتصالًا وسمع صوت الرنين.

تمتم "راكشنز":

- فليرد أحد.

- معك الشرطة.

- أريد التحدث مع رئيس المحققين "دانيال كلارك"، من فضلك.

انتظر "راكشنز" ريثما يتم تحويل المكالمة.

كان "كلارك" يعمل على الكمبيوتر عندما رن الهاتف وأجاب:

- هنا "كلارك".

لم يسمع شيئًا، فقال:

- مرحبًا.

- سيد "كلارك".. أتحدث بشأن "إلينور بروكتور".

- نعم؟

- عليك حمايتها.

- عذرًا، هل يمكن أن تخبرني باسمك؟

- لا يهم اسمي، عليك حماية "إلينور بروكتور" حالًا.

- مِمَّن؟

- من الجيش الجمهوري، من "تايني مردوخ"؛ إنهم يخططون لخطفها.

- كيف أعلم أن هذا بلاغٌ حقيقي؟

- أنا "جاك".

- "جاك" من؟

- أنت تعرف من أنا.

- أخشى أنني لا أعرف.

- إذًا اسأل "ليام دايفر" أو "ديكلان باتلر"، اسألهما عن مراقبتي لتحركاتهما أثناء سرقة البنك الوطني.

أغلق "راكشنز" الخط ثم فتح نافذة القارب الصغيرة ورمى الهاتف في البحر.



نظر "كلارك" إلى هاتفه وهو يتساءل: ""جاك"؟ إنه اسم الرجل الذي أدار عملية السرقة، لم نفصح عن اسمه للصحافة، هذا يعني أنه كان "جاك" فعلًا! لكن من هو "جاك" بحق الجحيم؟". أخذ بعض صور المجرمين من صينية ووضعها أمامه على المكتب واحدة بواحدة. "ليس أنت يا "تايني"، فأنت ما كنت لتتصل بنفسك أبدًا". أعاد صورته إلى الصينية. "وليس أنت يا "كولمان". تبقى ست صور مرصوصة بانتظامٍ في صفين على مكتبه، من بينها صورة لـ"بانزر" وصورة لـ"راكشنز". "إنه واحدٌ منكم أيها الستة، لكن من منكم قد يهتم بشأن "إلينور بروكتور" للدرجة التي تجعله يطلب حمايتها من الجيش الجمهوري؟ ما مدى أهميتكِ يا "إلينور"؟ أنتِ مهمة للدرجة التي تجبر "جاك" على الظهور، هل "جاك" حبيبكِ؟ لقد أخبرته بجدول المناوبات، أليس كذلك؟".



على عمق ثلاثة أميالٍ في البحر، تم نقل الحاويات البلاستيكية من قارب "سكواير ديلاني" البخاري إلى قارب "لو نيبتون"، ثم عاد "سكواير" إلى ميناء "كارلينجفورد"، بعد ذلك استلقى "راكشنز" على سريرٍ صغير في قارب "لو نيبتون" للصيد مع "سيرجي". إنه مرهقٌ تمامًا. لمح سفينة في الأفق. "بانزر". "إلينور". ما كان يجب أن يسير الأمر هكذا".

26



حلقت هليكوبتر في السماء شرق بلفاست. نظر أحد الرجال بداخلها إلى شاشة تعرض صورة بالأشعة تحت الحمراء، وقال:

- الهدف يقترب من طريق "نيوتاوناردز". حوِّل.

كان رئيس المحققين "دانيال كلارك" في شاحنة مغلقة جهزها لتكون قاعدة عمليات متحركة، وكان يجلس على كرسي دوار صغير ويشرب الشاي في كوبٍ زجاجي.

قال المحقق "سيريل جونز":

- لا تفقدها. حوِّل.

قال الرجل في الهليكوبتر:

- عُلِم. حوِّل.

قال "جونز" الذي يجلس بجانب "كلارك":

- "بيني"، هل ما زلتِ ترينها؟ حوِّل.

- نعم. الهدف على طريق "نيوتاوناردز". حوِّل.

استدار "كلارك" إلى ضابط الأمن الوطني الذي يجلس باسترخاءٍ على كرسي ويراسل شخصًا ما بهاتفه وسأله:

- أين هم؟

أجاب دون أن يرفع نظره عن الهاتف:

- سيصلون قريبًا.

- هل أنت متأكد؟

- سيصلون قريبًا.

- سيصلون قريبًا يا..؟

- سيصلون قريبًا يا سيدي.

- لا يطيق "كلارك" الأمن الوطني، لكن عليه الاعتراف إنهم يجيدون توقع تحركات الجيش الجمهوري لأنهم اخترقوا صفوفه وزرعوا جواسيس.

لقد امتلأت المصارف بماء المطر حتى فاضت. هناك سيلٌ من الماء يندفع على الطريق الرئيسي. خفت حدة الأمطار الآن، لكن "إلينور" ما زالت ترفع مظلتها الشفافة. كادت تصل إلى بيت صديقتها "ستايسي" عندما رن الهاتف الذي أعطاه لها "راكشنز" في فندق "جريشام".

قال "راكشنز":

- إنه أنا.

- "جيمس"! هل أنت بخير؟

سألها "راكشنز" بسرعة:

- أين أنتِ؟

- في طريق "نيوتاوناردز". أنا ذاهبة إلى بيت "ستايسي".

- لا يا "إلينور"، لا تذهبي.

- لم لا؟ ما المشكلة؟

- أريدكِ أن تذهبي إلى أي فندقٍ قريب الآن، وابقي هناك حتى أعود إليك، ولا تستخدمي سيارتكِ، اركبي سيارة أجرة، ولا تخبري أي شخصٍ عن مكانكِ، ولا حتى زوجكِ، لا أحد. عندما تصلين إلى الفندق، لا تغادري غرفتكِ ولا تفتحي الباب لأي شخص.

- "جيمس"، أنت تخيفني. ما الذي..؟

- اسمعيني.

- لكن..

- "إلينور"! هل تذكرين الاحتمالات التي ناقشناها؟

- نعم.

- خلاصة القول إننا اتفقنا على أنكِ ستحمين نفسكِ مهما كان الثمن، حتى لو كان هذا يعني أنكِ ستتخلين عني. صحيح؟

- نعم، لكن يا "جيمس"..

دخلت "إلينور" في شارعٍ جانبي وهي تتكلم، وفجأة توقفت بجانبها سيارة أجرة سوداء وأجبرتها على التوقف. انفتح الباب الخلفي وخرج رجلان أمسكا بـ"إلينور" وجذباها داخل السيارة.

على الجانب الآخر من الطريق سحبت الضابطة "بيني هاربينسون" مسدسها وجرت نحو سيارة الأجرة التي ابتعدت بسرعة.

صاحت "بيني" في اللاسلكي:

- تم اختطاف الهدف، أكرر، تم اختطاف الهدف.

تابعت سيارة الأجرة بعينيها وقالت:

- السيارة المستهدفة، سيارة أجرة سوداء. رقم اللوحة، "ZAD2735". إنها تتجه إلى آخر طريق "نيوتاوناردز". أكرر. سيارة أجرة سوداء، رقم اللوحة "ZAD2735". تتجه آخر طريق "نيوتاوناردز". حوِّل.

أمسك أحد الرجال برأس "إلينور" ودفع وجهها إلى الأرض وهو يقول:

- اخفضي رأسكِ اللعين!

شعرت "إلينور" أنها تذوقت طعم أسفلت بلفاست القاسي، وأحذية آلاف الركاب الخشنة القذرة، فبصقت وحاولت أن تدير رأسها لكي تتنفس، لكن أحدهم رفع رأسها ثم دفعها إلى الأرض مجددًا.

قال صوتٌ عميق ومرتفع:

- ألم أقل لكِ اخفضي رأسكِ؟!

نزف الدم من أنفها وشعرت بأحدهم يضع قدمه على ظهرها.

قال المختطف الثاني بنبرةٍ فزعة:

- من كانت هناك؟
قال المختطف الأول:
- لم أر أحدًا.
قال السائق:
- أنا رأيت، كانت امرأة معها مسدس.
قال المختطف الثاني:
- قد تكون شرطية. تبًّا! إنه فخ! لقد وقعنا في كمين! أنزلني!
صاح السائق:
- اخرس! أحاول القيادة!
قال المختطف الأول:
- ألقها خارج السيارة!
قال السائق بفزع:
- يا إلهي! هناك سيارة تطاردنا، هل هم الشرطة؟ يبدون مثل الشرطة.
نظر المختطف الأول خلفه وقال:
- إنهم من الشرطة.
رفع "إلينور" من على الأرض وأجلسها على مقعدٍ وقال:
- اسمعي يا سيدتي، ما كنا سنؤذيكِ، لقد أخطأنا في هويتكِ، لقد أخطأ "جاري" وظنكِ حبيبته السابقة، كانت ستذهب إلى زوجته وتخبرها بأنه يخونها.
قال "جاري":
- كنت أنوي إخافتكِ فقط.. آسف.. أعني إخافتها. عذرًا يا حلوتي، أخطأنا في الهوية.
قال ضابط الهليكوبتر الذي يراقب شاشة الأشعة تحت الحمراء:
- الهدف يقترب من منطقة "شورت ستراند".
هتف "كلارك" في اللاسلكي:
- اذهب، اذهب، اذهب!

دوى مزيجٌ من هدير المحركات وصفير السرينات. أطلقت الهليكوبتر من بطنها كشافًا قويًّا ووجهته إلى سيارة الأجرة، وتقدمت سيارة الشرطة التي كانت تطارد سيارة الأجرة لتكون بجانبها بينما حاصرتها سيارة شرطة أخرى من الخلف. خرجت ثلاث سيارات شرطة "جيب" من شارعٍ جانبي وسدت الطريق، فتوقفت سيارة الأجرة.

قال السائق بصدمةٍ تامة:

– لا أحد يتحرك، كونوا هادئين وعاقلين.

أحاط رجال الشرطة السيارة وصوبوا أسلحتهم عليها.

هتف السائق:

– أنا سائق سيارة أجرة فقط أيها الضابط، لا أعرف هؤلاء الناس.

صاح المختطف الأول:

– أيها الوغد القذر.

– أيها السائق، ألق المفاتيح خارج النافذة، واخرج من السيارة رافعًا يديك.

أطاعه السائق.

قال الضابط عبر مكبرٍ للصوت:

– والآن استلق على الأرض فاردًا يديك أمامك.

قيدوا الخاطفين وهم على الأرض، وذهب "كلارك" إلى سيارة الأجرة حيث "إلينور" ترتجف بشدة. قال "كلارك":

– لا بأس يا "إلينور"، أنتِ بأمان الآن.

ساعدها للخروج من السيارة ووضع معطفه حول كتفيها، ونظر إلى أنفها النازف وقال لسائقه:

– "أندي"، أحضر عدة الإسعافات الأولية وبطانية وبعض الماء.

قاد "كلارك" "إلينور" إلى مؤخرة سيارة شرطة وأجلسها، ثم مال نحوها وسألها:

– هل أنتِ بخير؟

كانت "إلينور" تنظر أمامها بشرودٍ وترتجف.

– لقد مررتِ بتجربةٍ قاسية يا "إلينور".

عاد "أندي" ومعه عدة الإسعافات الأولية وبطانية، فلفها "كلارك" بالبطانية ثم وضع ضمادات على أنفها.

قال "كلارك" لــ"أندي":

- عليها أن تذهب إلى المستشفى ليتم فحصها، سنأخذها بسيارتي.

- حسنًا يا سيدي.

قاد "أندي" السيارة بينما جلس "كلارك" في الخلف مع "إلينور"، وأزال الضمادات وقال:

- لقد توقف النزيف.

قالت "إلينور":

- شكرًا. من هؤلاء الرجال؟

- إنهم من الجيش الجمهوري.

- الجيش الجمهوري؟ وماذا يريدون مني؟

قال "كلارك":

- هذا هو أهم سؤال يا "إلينور"، اسمعيني جيدًا، أنتِ في مشكلةٍ خطيرة، الجيش الجمهوري لا يستسلم بسهولة، سيعودون من أجلكِ، وصدقيني سيجدونكِ.

بدأ أنف "إلينور" ينزف مجددًا، فأعاد "كلارك" الضمادات.

أبعدت "إلينور" يده ونظرت إليه مباشرةً وقالت:

- هذا جنون. لماذا يريدني الجيش الجمهوري؟ لماذا قد يحاولون اختطافي أصلًا؟

- لقد تلقيت اتصالًا من رجلٍ يقول إن حياتكِ في خطر وأن على الشرطة حمايتكِ، لهذا كنا نلاحقكِ واستطعنا القبض على المختطفين وتحريركِ، ذلك المتصل -أيًّا كان- أنقذ حياتكِ.

- قلت إنه رجل؟

- نعم، لم يخبرنا باسمه، لكنه كان قلقًا عليكِ جدًّا. هل لديكِ أدنى فكرة من يكون؟

سألته بعصبية:

- هل معك سيجارة؟

نادى "كلارك" سائقه:

- "أندي"؟

ناولهما "أندي" علبة سجائر، فأخذت "إلينور" واحدة وظلت تحركها بين أصابعها بدلًا من أن تشعلها.

- ماذا سأفعل؟

- قال "كلارك":

- يمكنني مساعدتكِ.

- كيف؟

- أستطيع أن أعدَّكِ شاهد ملك وأدخلك في برنامج حماية الشهود، وأستطيع إخراجكِ من أيرلندا الشمالية، وأستطيع أن أعقد معكِ صفقة وأضمن لكِ ألا يتم اتهامكِ بالتورط في عملية السرقة، وأعدكِ بأنكِ تستطيعين الاستقرار في أي مكانٍ تريدين في العالم، وأضمن لكِ مبلغًا ماليًّا ضخمًا يساعدكِ على بداية حياة جديدةٍ. يمكنني فعل كل هذا يا "إلينور"، لكن عليكِ أن تكوني صريحةً معي. يجب أن تخبريني بكل شيء وأن تشهدي في المحكمة.

- وستحميني من الجيش الجمهوري؟

- نعم.

- هل تعدني بذلك؟

- أعدك.

أشعلت "إلينور" سيجارتها ونفخت الدخان خارج النافذة، وتذكرت كلمات "راكشنز"؛ "احمي نفسكِ مهما كان الثمن". "هل لديَّ خيارٌ آخر؟ لا". استدارت إلى "كلارك" بحدةٍ وقالت:

- أعرف هوية الرجل الذي اتصل بك، إنه "جيمس أوهاري".

- "جيمس أوهاري" الشهير بـ"راكشنز"؟

- نعم، "راكشنز"، لقد سرق البنك الوطني.

استدارت "إلينور" إلى النافذة ونزلت دموعها وهي تقول في سرها: "ما كان يجب أن تسير الأمور هكذا، لماذا حدث هذا يا "جيمس"؟".

مضى أسبوع منذ نقل أموال البنك الوطني إلى قارب "لو نيبتون" في البحر. كان "راكشنز" و"سيرجي" يجلسان خارج مقهى في وسط باريس. هناك دفاية ضخمة معلقة فوق رؤوسهم لمواجهة برد الليل القارص.

كان "راكشنز" يقرأ جريدة "ذا أيريش تايمز".

- اسمع هذا؛ "تعتقد الشرطة أن الرجلين اللذين قُتِلا بطلقٍ ناري في قرية "كارلينجفورد" في مقاطعة "لوث"، كانا متورطين في صفقة مخدرات سارت على نحوٍ خاطئ. هناك رجلٌ آخر اسمه "جوني أوهاري" الشهير بـ"بانزر"، مات بنوبةٍ قلبيةٍ في المكان نفسه. السيد "أوهاري" كان رمزًا إجراميًّا معروفًا في بلفاست.

قال "سيرجي":

- مسكين "بانزر"، لم يستحق هذه النهاية.

- لقد فضَّل أن يموت هكذا بدلًا من أن يلتهمه السرطان حتى الموت.

ثم ترك الجريدة وسأله:

- ماذا كنت تقول؟

- كيف تكون متأكدًا من أن الشرطة هي من اعتقلت "إلينور" وليس الجيش الجمهوري؟

- هناك مقالٌ في جريدةٍ أخرى يقول إن ثلاثة رجال من مناطق كاثوليكية ستتم إدانتهم بتهمة اختطاف امرأة على طريق "نيوتاوناردز". كانت "إلينور" على طريق "نيوتاوناردز" عندما اتصلت بها آخر مرة قبل أن ينقطع الاتصال. المرأة المذكورة هي "إلينور"، والرجال المتهمون هم الجيش الجمهوري. إنها مع الشرطة الآن.

قال "سيرجي":

- أفضل من أن تكون مع الجيش الجمهوري.

- بالتأكيد.
- ماذا سيحدث الآن؟
ابتسم "راكشنز" ببؤسٍ وقال:
- ظننت أنني سأحصل على وقتٍ أطول من هذا.
أخرج هاتفه واتصل برقمٍ ما واستمع إلى صوت الرنين.
رد صوتٌ عميق:
- مرحبًا.
كرر الصوت عندما لم يجد ردًّا:
مرحبًا.
تحرك إصبع "راكشنز" نحو زر إنهاء الاتصال، لكنه تراجع وأعاد الهاتف إلى أذنه وقال بحذر:
- من المتحدث؟
- أنا رئيس المحققين "دانيال كلارك"، من أنت؟
- أين "إلينور"؟
قال "كلارك" بسرعة:
- هل هذا أنت يا "راكشنز"؟ إنه أنت، أليس كذلك؟ لا تغلق الخط.
- أهلًا يا "كلاركي".
قال "كلارك" لنفسه: "إياك أن تفسد الأمر"، ثم قال في الهاتف:
- شكرًا لإخباري عن محاولة الاختطاف التي قام بها الجيش الجمهوري، أقدر لك هذا حقًّا.
- لا أعرف عما تتحدث.
أنهى "راكشنز" الاتصال وقال لنفسه: "أعطت "إلينور" "كلارك" الهاتف الذي أعطيته لها، مما يعني أنها أخبرته بكل شيء، حان وقت التصرف يا "راكشنز".

27



بعد ثلاثة أيام من مكالمته لــ"كلارك"، أوقف "راكشنز" سيارته في طريقٍ مسدود خارج مركز شرطة "جروسفينور رود"، وخرج محاميه من سيارته واتجه إليه. يدعى "كيفن سامرز"، وهو رجلٌ طويل يرتدي نظارة ووجهه يوحي بالقلق دائمًا. خرج "راكشنز" من سيارته وتصافحا.

قال "سامرز":

- هذه مجرد شكليات، سيوجهون لك التهمة وسيستجوبونك. هل أنت مستعدٌ لهذا؟

قال "راكشنز":

- أنا بريء.

دخلا مركز الشرطة.

بمجرد أن دخل "راكشنز" إلى بهو المبنى، استقبله "كلارك" و"سيريل جونز". مد "جونز" القيود نحو "راكشنز"، فمد له يديه. قال "جونز":

- "جيمس بيتر أوهاري"، أنا أعتقلك بتهمة الاشتباه في سرقة البنك الوطني في..

قال "كلارك" بعد أن انتهى "جونز" من قراءة نَص التهمة:

- كيف الحال يا "راكشنز"؟

هز "راكشنز" كتفيه:

- بخير.

- هل أحضر لك شيئًا؟ شاي؟ قهوة؟ هل أنت جائع؟

- تناولت طعامًا هنديًا وشربت زجاجة "دوم برينون" قبل مجيئي.

- وحدك؟

- ماذا؟

- هل أكلت وحدك؟

قال "راكشنز":

- أنا لا آكل وحدي أبدًا.

- من كان معك؟

- صديقان؛ "ملاك" و"شيطان"، إن كنت مصرًّا أن تعرف، كانت محادثة رائعة، لم يتوقفا عن الجدال، ولم أستطع إسكاتهما.

ابتسم "كلارك" وقال:

- بالتأكيد. لم أفهم أبدًا لمَ يبالغ الناس في تقدير شمبانيا "دوم برينون".

قاد "راكشنز" و"سامرز" إلى الداخل، ثم سأل بينما ينتظران المصعد:

- عم كان يتجادل "الملاك" و"الشيطان"؟

- الأمور المعتادة.

بدت الحيرة لحظة على وجه "كلارك"، ثم قال:

- فهمت، أنت تتحدث باستعارات، كلامك يرمز إلى صراع الخير والشر، صحيح؟

- ربما.

- من ربح الجدال؟

- "الشيطان" يربح دائمًا يا "كلاركي".

ركبوا المصعد.

سأل "كلارك":

- هل كان الأمر يستحق يا "راكشنز"؟

- عم تتحدث؟

- سرقة البنك الوطني. مات ثلاثة رجال، أحدهم "بانزر"، وحياة "إلينور" تدمرت، والحياة المهنية لموظفَي البنك انهارت. هل كان الأمر يستحق؟

- سآخذ نصيحة المحامي وأقول لا تعليق.

بعد ذلك كان من المحتم نقل "راكشنز" بسيارة الشرطة إلى مكتب جنايات مقاطعة "أنتريم" بهدوء، ورفض الدخول في أحاديثَ بسيطة مع "كلارك" و"جونز" اللذين يرافقانه.

قال "كلارك":

- ما لا أستطيع فهمه هو لماذا عدت؟ بيني وبينك يا "راكشنز"، لماذا عدت؟

لم يمض وقتٌ طويل على احتجاز الشرطة لــ"راكشنز" حتى بدؤوا استجوابه. وجد "راكشنز" الأمر مملًا. تولى "كلارك" التحقيق، وأخبره بكل الاستنتاجات والأدلة الخاصة بعملية السرقة، ثم أوضح له أنها فرصته الوحيدة الآن لتوضيح دوره في العملية، وقال إن صورته ستكون سيئة جدًّا في المحكمة إن لم يفعل، لأن الشرطة لديها دليلٌ قوي ضده في صورة شاهد.

كانت جلسةً طويلة، وكان الاستجواب يركز على تحركات "راكشنز" وقت السرقة، وعلاقته بـ"بانزر"، وحسابه البنكي الذي يحتوي على خمسة آلاف إسترليني فقط. هل يعرف "ديكلان باتلر"؟ هل يعرف "ليام" و"ستيفاني دايفر"؟ هل ذهب إلى "لوجشور" في مقاطعة "داون؟ هل قام بتحويلٍ بنكي في البنك الوطني من قبل؟ من ساعده على سرقة البنك؟ كيف شعر عندما حصل على هذه الكمية من الأموال؟ كيف قام بغسلها؟ هل الجيش الجمهوري متورط؟ هل يعرف "تايني مردوخ"؟

تثاءب "راكشنز" وقال بصوتٍ خافت مرارًا وتكرارًا:

- لا تعليق.

سأله "كلارك":

- هل تعرف امرأة تدعى "إلينور بروكتور"؟

- لا تعليق.

- إنها تعرفك.

- لا تعليق.

قال "كلارك":

- إنها تعرفك جيدًا، قالت إنها أعطتك جدول المناوبات قبل عملية السرقة.

- لا تعليق.

- قالت إنك أوضحت لها نيتك في سرقة البنك الوطني الأيرلندي، وأنك نفذت ذلك بالفعل.

- لا تعليق.

قال "جونز":

- كانت حبيبتك، صحيح؟

- لا تعليق.

قال "جونز":

- دعني أعيد صياغة السؤال، "إلينور بروكتور" كانت واحدة من بين حبيباتك، أليس كذلك؟

- لا تعليق.

قال "كلارك":

- "ماري مكاردل"، هل تذكرها؟ إنها تعمل الآن مترجمة في "بوينس أيريس"، لقد أمدتنا بشهادة مكتوبة بأنه كان من المفترض أن تنضم لها في أمريكا الجنوبية بعد سفرها ببضعة أشهر، لم تكن تعرف بأنك تنوي سرقة البنك أولًا. نعتقد بأنك كنت ستسافر إلى "ماري" بعد غسيل الأموال في أوروبا. كانت هذه خطتك، أليس كذلك؟ لقد استغليت المرأة المسكينة الأخرى لتسرق البنك الوطني، أليس كذلك؟

- لا تعليق.

في الصباح الباكر ذهب "تايني مردوخ" و"كولمان" إلى مزرعة "حديقة عدن"، قاد "كولمان" عبر البوابة وعلق "تايني" قائلًا إنه يجب إنزال اللافتة التي تحمل اسم المزرعة. خرجا من السيارة واقتربا من "البيت الكبير"، انفتح الباب وتجول "فينبار"، وتجاهله "مردوخ" وتجول ببطءٍ في المكان لتقييم ممتلكاته الجديدة. أومأ برضا وقال:

- هذا مناسب، نعم، مناسبٌ تمامًا.

قال "فينبار":

- ماذا قلت يا سيد "مردوخ"؟

- قلت إنه كرمٌ منك أن تبيعني المزرعة قبل أن تعرضها على آخرين.

ابتسم "فينبار" بضعف وقال في سره: "لم تعطني خيارًا أيها الوغد، لقد أجبرتني على هذا، كان يمكنني الحصول على ضعف السعر الذي عرضته عليَّ".

دخل "جيك أوريلي" وموظفٌ آخر إلى المزرعة راكبين حصانين، ونظر "جيك" ببرودٍ إلى "مردوخ". تذكر الرجلان ليلة من عام 1998، عندما قذف شخصٌ ما قالب طوب خرساني على الزجاج الأمامي لسيارة "مردوخ" بينما كانت مركونة أمام منزله، واكتشف "مردوخ" لاحقًا أن "جيك" هو الفاعل، وقبض الجيش الجمهوري عليه، وأخذوه إلى غرفةٍ مظلمة وأجلسوه في ركنٍ على الأرض، وعندما سأله "كولم كولمان" عن سبب فعلته، قال "جيك" إنه سمع أن "مردوخ" أمر بإحراق مستودع سيارات الأجرة الخاص به لأنه كان ينافس عمله. كان "مردوخ" في غرفةٍ أخرى، وأخبره "كولمان" بما قاله "جيك". أشفق جنرال الجيش الجمهوري على "جيك" تلك الليلة ولم يأمر بإطلاق النار على ركبتيه كما يفعل عادةً، بل أمر بأن يكسروا رجله بقالب طوبٍ خرساني! هكذا يكون قالب طوب مقابل قالب طوب. فكر "مردوخ" في أن هذا يعد عقابًا مناسبًا.

رفع "فينبار" سلسلة مفاتيح وقال:

- هذه مفاتيح مزرعة "حديقة عدن".

أخرج "مردوخ" سلسلة مفاتيح من جيبه وقال:

- لديَّ مفاتيحي بالفعل.

ثم مد يده وأخذ المفاتيح التي مع "فينبار" ثم أضاف:

- لكنني سآخذ التي معك أيضًا، فأنت لن تحتاجها بعد الآن.

ثم نادى "كولمان":

- "كولم"، أحضر "إيجي" غدًا لتغيير كل الأقفال هنا.

أومأ "كولمان" بطاعة.

قال "فينبار":

- هل تحب أن أريك المكان؟

- هذا سيكون مفيدًا.

دخلا صالة "البيت الكبير". جاء "مردوخ" هذا البيت من قبل، لكنه يراه الآن بنظرةٍ جديدة.

أشار "مردوخ" إلى الأرض المنقوشة وقال:

- ديكور أبيض. لكن ما هذا؟ من هؤلاء؟

- الذي يمسك بالسيف هو الملاك "ميكائيل"، وهو يضع قدمه على رأس الشيطان.

- لا أهتم لهذا، سأزيله؛ إنني لست متدينًا، كل شخصٍ حر. ما رأيك أيها الواعظ "كولمان"؟

- أنا متفق معك أيها الواعظ "مردوخ".

اصطحب "فينبار" رجلَي الجيش الجمهوري إلى الإسطبلات.

سأله "مردوخ":

- تكفي كم حصانًا؟

- عشرون.

- لا يكفي، سأضاعف حجمها مرتين أو ثلاث لأستفيد منها.

استدار "مردوخ" إلى "فينبار" وقال:

- أما زلت هنا؟

- ظننت أن..

وضع "مردوخ" ذراعه حول كتف "فينبار" وأخذه جانبًا وهمس له:

- يقولون إن مناخ بلاد البحر المتوسط يطيل العمر. هل سمعت بهذا؟

طرف "فينبار" بعينيه كثيرًا وقال:

- نعم، نعم، سمعت.

- عليك الذهاب إلى البحر المتوسط، ولتنعم بحياةٍ طويلة.

فتح "فينبار" فمه، لكن "مردوخ" رفع ذقنه بإصبعه فأغلق فمه، وقال:

- استمتع بحياتك يا "فينبار".

28



اصطحب ضابط شرطة "راكشنز" إلى غرفةٍ بيضاء فيها سبعة رجال عمرهم مقارب لعمره وطولهم يقارب طوله، كانوا مصطفين وظهورهم إلى الحائط.

سأله الضابط:

- هل لديك اعتراض على أي شخصٍ في طابور العرض هذا؟

سار "راكشنز" بمحاذاة الطابور ونظر إلى كل رجل، ثم هز رأسه نفيًا ووقف بين آخر رجلين، نظر إلى مرآة ذات اتجاهين وقال في سره: "هل تراقبينني الآن يا "إل"؟ هل ستشين بي يا حبيبتي؟ بالتأكيد ستفعلين".

اصطحب المحققان "فيلدز" و"جونز" "إلينور بروكتور" إلى غرفةٍ ملاصقة لغرفة طابور العرض. كان يوجد في الغرفة أيضًا " كيفن سامزر" محامي "راكشنز".

قال "فيلدز":

- "إلينور"، لقد شرحت لكِ الأمر مسبقًا، أريدكِ أن تنظري إلى هؤلاء الرجال عبر الزجاج، وأخبريني إن كنتِ قد تعرفتِ على الشخص الذي سرق البنك الوطني، هل يمكنكِ هذا؟

أومأت "إلينور"، واقتربت من الزجاج ونظرت إلى الغرفة الأخرى، ونقلت "إلينور" بصرها بين الرجال بالترتيب حتى وصلت إلى "راكشنز" أخيرًا، فقالت:

- هذا هو.

سألها "فيلدز":

- أيهم؟

- رقم سبعة.
- أريدكِ أن تنظري إلى كل المشتبه بهم مجددًا، خذي وقتكِ.
توقفت عينا "إلينور" مجددًا على "راكشنز" وقالت:
- إنه رقم سبعة.
استدار "فيلدز" إلى "سامزر" وقال:
- هل تؤكد على أن سيدة "بروكتور" اختارت موكلك "جيمس أوهاري" الشهير بـ"راكشنز"؟
- نعم. أريد التحدث مع موكلي الآن.
- بالتأكيد.
خرج "جونز" من الغرفة وتحرك بحماسٍ وهو يقول:
- نعم!
جاء "كلارك" فجذبه "جونز" من ذراعه وقال:
- لقد نلنا منه، لم يقدم لنا دليل براءة أثناء الاستجواب، والآن تعرفت المرأة عليه. عندما تسمع هيئة المحلفين كيف دربها، سيدينونه. لقد نلنا منه.
نظر له "كلارك" بتساؤل، فقال "جونز":
- أظن أنه علينا الاحتفال، ما رأيك في تناول مشروب في بار "ريد بول"؟
قال "كلارك" بعبوس:
- ليس أنا.
اختفت البهجة من وجه "جونز" وقال:
- ما الأمر أيها الرئيس؟ لا تبدو مقتنعًا بأننا قبضنا عليه.
- لقد سار الأمر بسهولة أكثر من اللازم يا "سيريل".
قال "جونز":
- إنها قضية واضحة وسهلة، لقد انتهى أمره.
سأل "كلارك" وعقله مزدحمٌ بالأسئلة:
- لماذا عاد؟ هل يضيع وقته معنا؟ لماذا لم يزوِّر دليل براءة؟

قال "جونز":

- ربما ظن أننا لا نملك دليلًا ضده، وربما قرر المخاطرة وتجربة حظه في المحاكمة. لن يكون أول من يفعل هذا.

قال "كلارك" بحيرة:

- معظم المجرمين الذي يسلمون أنفسهم يفعلون ذلك بعدما يكونون قد أنفقوا كل مالهم وعاشوا حياتهم مختبئين، أما هذا الرجل فما زال معه ثروة.

انفتح باب غرفة العرض وخرج "راكشنز" بصحبة ضابط، لم تظهر تعابير على وجهه وهو يمر بـ"كلارك" و"جونز".

اصطحب "جونز" "إلينور" خارج الغرفة، وابتسمت بتردد إلى "كلارك" فقال:

- شكرًا لكِ يا "إلينور".

توقفت ولوحت بيدها وقالت:

- بدا عاجزًا وهو واقفٌ هناك.

نظر "كلارك" إليها مباشرةً وقال:

- إنه ليس عاجزًا أبدًا يا "إلينور". أريدكِ أن تكوني صريحةً معي، هل ما زلتِ متعلقةً به؟

- لا، أبدًا.

- واثقة؟

- بالطبع.

رفع "كلارك" إصبعه وقال:

- لقد استغلكِ يا "إلينور"، لديه حبيبة أخرى بالفعل، اسمها "ماريا مكاردل" وتنتظره في أمريكا الجنوبية، لا تنسي ذلك أبدًا.

قصد التحدث بشدة ليلغي أي وهمٍ ما زال لديها عنه.

- لقد استغلكِ ثم استغنى عنكِ بكل بساطة.

تمتمت "إلينور":

– أشعر أنني حمقاء.

– لا تلومي نفسكِ، لستِ أول سيدة يستغلها المجرمون ويسيئون إليها، لا أقول إن هذا يحدث كل يوم، لكنه يحدث أحيانًا.

فردت يديها وقالت:

– لكننا نتحدث عني أنا، لقد وقعت في حب مجرم، لا أعرف ما حدث، شعرت وكأنني في فيلم أكشن عن العصابات واندمجت فيه، هل تفهمني؟ كل شيء كان مبالغًا فيه ولم يبد واقعيًّا. هل كلامي مفهوم؟

قال "كلارك":

– بالطبع، كنتِ مجرد وسيلة لتحقيق هدفه.

– أدركت ذلك الآن، أشعر أنني حمقاء، وكأنني عاهرة. سينكشف كل شيءٍ في المحكمة، أليس كذلك؟ أعني، كل التفاصيل القذرة؟

قال "كلارك":

– "سيريل"، اعذرنا قليلًا من فضلك.

قال "جونز" وهو يغادر:

– بالطبع أيها الرئيس.

قال "كلارك":

– "إلينور"، لا أعرف ماذا سيظهر في المحكمة، لكني سأبذل جهدي لحمايتكِ.

– هل يمكنني التحدث إليه؟ عشر دقائق فقط؛ أريد إخباره بما أشعر به الآن.

هز "كلارك" رأسه نفيًا وقال:

– لا يمكنني السماح لكِ يا "إلينور". آسف، لكن هذا قد يدمر أساس القضية تمامًا.

قالت "إلينور" والإحباط واضحٌ على وجهها:

– فهمت. أنت رجلٌ طيب يا سيد "كلارك".

قال "كلارك":

– دعينا نشرب بعض الشاي.

سارا في الممر ثم توقف "كلارك" ونظر إلى "إلينور" وقال:

- أنتِ لن تخذليني، أليس كذلك يا "إلينور؟
- لا يا سيد "كلارك"، لن أخذلك أبدًا.

وضع "راكشنز" كوبه البلاستيكي تحت ماكينة الشاي وضغط الزر فنزل الشاي، وعندما ملأ الكوب سار إلى طاولةٍ خشبية في آخر الغرفة. أومأ له الأشخاص الآخرون في الحبس الاحتياطي، فبادلهم تحيتهم الودية، وتمنى له أحد المساجين التوفيق وصافحه. لقد ظل في الحبس الاحتياطي سبعة أشهر، إنهم يعدونه أهم شخصٍ بينهم، فهو الرجل الذي ضرب النظام في مقتل. يتهامس السجناء من حوله: "لم يجدوا المال قط"، "لقد استثمره كله في البورصة والسندات المالية"، "لقد اشترى عقارات في ثلاث قارات".

جلس "راكشنز" بجانب "سبوتر وولي"، إنه رجلٌ ضخم له شعرٌ أسود ويضع سيجارة لف في طرف فمه. "سبوتر" من نوع الرجال الذين يحتاجون إلى الحلاقة مرتين في اليوم، فذقنه تنمو خلال ساعات ليبدو وكأنه لم يحلق منذ أسبوعين. ذات مرة ظل أربعة أيام يشرب الكحول خارج المنزل، وعندما عاد وجد زوجته مع عشيقها في السرير، فطعنه اثنتين وخمسين طعنة. "راكشنز" معجبٌ بـ"سبوتر"ـ لقد صدقه عندما أخبره بأنه ما زال يحب زوجته السابقة، لكنه لم يشعر منه بأي ندم لقتله عشيقها.

- ستبدأ المحاكمة غدًا إذًا؟
أجاب "راكشنز":
- نعم.
- كم ستدوم؟
- أسبوعان على الأقل.
- بم سيحكمون عليك في رأيك؟
هز "راكشنز" كتفيه وقال:

- بأقصى عقوبةٍ ممكنة.

أخرج "سبوتر" قطعة تبغٍ من فمه ورماها بعيدًا ثم وضع سيجارته في الطفاية، وأخذ يفتح فمه ويغلقه مثل السمكة، ثم قال:

- من الأفضل أن تجهز نفسك لذلك.

- أظنهم سيحكمون عليَّ بعشرين سنة.

- في رأيي سيحكمون بخمسٍ وعشرين أو ثلاثين.

- أنت تضيف خمس سنوات في كل تخمين. هذا تفكيرٌ سهل.

قال "ستوبر":

- المهم أنهم قد يحكمون عليك بعشرين سنة على الأقل. القضاة أوغاد.

خرج "تايني مردوخ" و"كولم كولمان" من محلٍّ صغير ومعهم آيس كريم. قال "مردوخ" وهو يأكل الآيس كريم الخاص به:

- كيف يعيش أي شخصٍ هنا؟ انظر إلى المكان، لا يوجد أثرٌ لإنسان، قد تسير لأسابيع دون أن ترى مخلوقًا.

ركبا سيارتهما وخرجا من بلدة "مانورهاميلتون" في مقاطعة "ليتريم". "مردوخ" منزعج لاضطراره إلى المجيء إلى هذا المكان.

- دعني أخبرك بهذا يا "كولم"، يجب أن يرحل هذا المغفل "أوفلايرتي"؛ إنه يريد تقديمي إلى محاكمةٍ عسكرية! أنا! من يظن نفسه بحق الجحيم؟

قال "كولمان":

- لقد جن تمامًا يا "تايني".

كانت أمامهما سيارة "سيات" فيها رجل وسيدة عجوزان يقودان بسرعة عشرين ميلًا في الساعة. ضغط "مردوخ" على البوق بتتابعٍ وصاح:

- تبًّا! انعطف جانبًا بحق الجحيم!

تجاهل العجوزان أسلوب "مردوخ" الوقح وقادا بسرعةٍ أبطأ، فظل يضغط بوق السيارة حتى انعطف الرجل العجوز جانبًا فضغط "مردوخ" على البنزين واندفع.

سأله "كولمان" بفضول:

- ماذا تعني بأن "أوفلايرتي" يجب أن يرحل يا "تايني"؟ يرحل إلى أين؟

قال "مردوخ":

- أنت تعرف قصدي.

قال "كولمان":

- لم أفهم يا "تايني"، إلى أين؟

- يجب التخلص منه، ما زال يظن نفسه في عام 1972.

- أنت لا تفكر في قتله، أليس كذلك؟

- بالطبع لا، إلا إذا اضطررت. أين هذا المكان بحق الجحيم؟

دخلا في منعطف فوجدا أمامهما قطيع ماشية يقوده رجلٌ وولد إلى حقلٍ قريب، فضغط "مردوخ" على الفرامل وخرج من السيارة وصاح:

- أبعد هذا القطيع عن الطريق اللعين!

لم يخف الراعي الذي يحمل عصا، بل نظر إلى "مردوخ" وظل يقود قطيعه. عاد "مردوخ" إلى السيارة وقال:

- لقد تحدثت مع المحامي، أليس كذلك؟

- بالتأكيد، لا مشكلة.

- هل سيكون هناك؟

قال "كولمان":

- نعم، "فلين" متلهف للذهاب.

- وأنا أيضًا.

امتدت محاكمة قضية البنك الوطني لأسبوعها الثاني. كان "ديكلان باتلر" من بين موظفي البنك وضباط الشرطة والمدنيين الذين أدلوا بشهادتهم في الأسبوع الأول.

سألته النائبة العامة "أوليفيا مور":

- والرجل الذي سلمته الحقيبة الرياضية التي تحتوي على مليون جنيه إسترليني تقريبًا، هل تعرف شكله؟

أجاب "ديكلان":

- لا يا سيدتي؛ كان يغطي وجهه بشال.

- هل هددك؟

- لا يا سيدتي.

- لكنك سلمته حقيبة أموال البنك؟

- نعم يا سيدتي، لقد اضطررت إلى ذلك.

- لماذا؟

- لأن رجاله كانوا يحتجزون عائلتي رهائن وهددوا بقتلهم.

- هل يمكنك أن تخبر المحكمة لماذا لم تأخذ العصابة عائلتك خارج البيت؟

- لا يا سيدتي.

- لكن هل توافقنا الرأي أن رجال العصابة خاطروا دون داعٍ عندما أبقوا عائلتك في البيت؟

- لا أستطيع الإجابة عن هذا السؤال يا سيدتي.

- لم لا؟

- لأنني لا أعرف ما كان يدور في عقل العصابة ولا خططهم المفاجئة.

- لو كنت هربت من رجال العصابة الذين أسروك قبل السرقة، هل كنت ستبلغ الشرطة بأنهم يحتجزون عائلتك رهائن؟

قال "ديكلان" بتردد:

- أشك في هذا.

- تشك في هذا؟

- نعم. لأصبحت عائلتي تحت ضغطٍ أكبر وفي خطرٍ أشد لو ظهرت الشرطة على الباب فجأة.

- سيد "باتلر"، هل حقًّا تطلب من المحكمة أن تصدق بأن تدخُّل الشرطة كان سيصعِّب الموقف؟

- هذا ما أقوله تمامًا.

أوضح "ديكلان" مجددًا أنه أخذ الحقيبة الرياضية وسلمها لـ"راكشنز" بنفسه لأن رئيسه "ليام دايفر" اقترح ذلك.

لم تكن "ستيفاني دايفر" أقل صراحةً من "ديكلان". ارتدت بذلةً سوداء وبلوزة بيضاء، وظلت تمسح عينيها بمنديل أثناء شهادتها.

سألتها "أوليفيا مور":

- هل كنت مقتنعة تمامًا بأن المجرم سيقتل زوجكِ؟

- بالتأكيد. لن أنسى كلماته أبدًا: "سأقتله من أجلكِ، هل أفعل ذلك؟ هل تريدين أن أقضي عليه؟".

- لو كنتِ قد أجبتِ بنعم في ذلك الوقت، هل تظنين أنه كان سيقتل زوجكِ حقًّا؟

- في ذلك الوقت صدقته تمامًا.

❦❦❦

قاد "مردوخ" و"كولمان" في طريقٍ ريفي ضيق ينمو في وسطه عشبٌ طويل، وتوقفا في ساحةٍ صغيرة مرصوفة بالحصاة أمام كوخٍ باهت يبدو وكأن أحدهم قد طلاه بالأبيض في الخمسينيات. يحتوي الكوخ على نافذتين، كل واحدة مقسمة لثمانية مربعات، وبابه منقسم لنصفين فوق بعضهما، وسقفه مغطى بألواح سوداء وفيه مدخنة عند كل طرفٍ من طرفيه، ويخرج دخان من إحداها. هناك غرابان يقفان على السطح، ويوجد حظيرة تابعة للكوخ، لكنها مغطاة بألواح من الصفيح المتعرج الصدئ، ويقف على باب الحظيرة جرار وسيارة عتيقة موديل 1958. هبط على السيارة طائر أبو الحن ثم طار مجددًا. نقر "مردوخ" على المقود، فقال "كولمان":

- هل أنت بخيرٍ يا زعيم؟
زفر "مردوخ" بشدةٍ وقال:
- لننتهي من هذا الأمر.
بمجرد دخول "مردوخ" الكوخ جذبه رجلان من ذراعيه ووقف رجلٌ آخر أمامه وقال:
- جندي "روبرت هنري مردوخ"، أنا أعتقلك باسم الجيش الجمهوري الأيرلندي.

لم يُظهر "مردوخ" أي انفعالات بينما يقودونه إلى غرفةٍ ستائرها مسدلة وأرضيتها مفروشة بمشمعٍ أصفر هَلك من كثرة من داسوه. هناك نارٌ في المدفأة، وعلى الجدران صورٌ للرئيس "جون كينيدي" وأخيه "بوبي" و"مايكل كولينز" أحد قادة الجيش الجمهوري و"إيمون دي فاليرا" و"لورينس أونيل"، كانوا في مباراة للرياضات الأيرلندية في متنزه دبلن للكروكية عام 1919. يوجد في ركن الغرفة مكتبة قديمة مكدس عليها كتبٌ مغطاة بالغبار.

جلس ثلاثة قضاة خلف طاولةٍ خشبية، وكان "بول أوفلايرتي" رئيس الجلسة يرتدي سترةً سوداء وقميصًا رماديًّا صوفيًّا بأزرارٍ لتثبيت الياقة وربطة عنقٍ خضراء. كان يقرأ ورقةً أمامه ولم ينظر إلى "مردوخ" عندما دخل الغرفة.

جلس "تايني مردوخ" إلى يمين القضاة، وبجانبه محاميه "كيفن فلين"، وهو محامي جمهوري مشهور في بلفاست.

دوَّن "راكشنز" ملاحظاتٍ كثيرة في الأسبوع الأول من المحاكمة، والآن في منتصف الأسبوع الثاني من المحاكمة، دخل محكمة بلفاست العليا حاملًا حقيبة. فك ضابط السجن قيده وأمره بالجلوس. كان يرتدي بذلة أنيقة وربطة عنق. نظر حوله، فرأى في أول صف رئيس المحققين "دانيال كلارك" وعلى جانبه المحققان "جونز" و"فيلدز" وعلى جانبه الآخر المحقق "جيري رولاندز". أومأ "كلارك" إلى "راكشنز" الذي بادله التحية. خلف ضباط الشرطة جلس "بيلي كيلي" وزوجته، وفي نهاية الصف جلس "فرانك بروكتور".

دخل القاضي القاعة فوقف الجميع.

💰💰💰

قرأ "أوفلايرتي" من الورقة التي أمامه:

- جندي "روبرت هنري مردوخ"، لقد تلقيت إشعارًا بغرض وهدف هذه المحاكمة العسكرية، لقد انعقدت بناءً على ادعاءاتٍ تقول بأنك اختلست من أموال الجيش الجمهوري الأيرلندي وأسأت استغلال السلطة القانونية له وشوهت سمعته. هل لديك من يمثلك قانونيًّا؟

قال "فلين":

- بعد إذن المحكمة وحضرة القاضي، أنا حاضرٌ عن السيد "مردوخ".

نهض "مردوخ" وقال:

- أنا أعترض على هذه المحاكمة العسكرية.

ثم أشار إلى "أوفلايرتي" وقال:

- هذا سخيفٌ يا "بول". إنه أنا!

دار "أوفلايرتي" حول الطاولة ووقف بجانب "مردوخ" وقال:

- جندي "مردوخ"، انتباه!

اعتدل "مردوخ" في وقفته.

قال "أوفلايرتي" بكل شدة وقسوة:

- إياك أن أسمعك تصف المحاكمة العسكرية للجيش الجمهوري الأيرلندي بالسخافة مجددًا، هل تسمعني يا جندي "مردوخ"؟

- نعم يا سيدي.

- اجلس.

جلس "مردوخ".

وقف النائب العام للجيش الجمهوري الأيرلندي وقال:

- أنا أستدعي "جيك أوريلي".

29



قالت النائبة العامة "أوليفيا مور":

– أنا أستدعي السيدة "إلينور بروكتور".

– أنت زوجة "فرانك بروكتور" نائب مدير البنك الوطني، صحيح؟

– نعم.

– وهل تفهمين أن من عمل زوجكِ تنظيم مناوبات الموظفين في فرع البنك الوطني بوسط بلفاست؟

– نعم، أفهم.

قالت "أوليفيا مور":

– سأعود لهذه النقطة لاحقًا. سيدة "بروكتور"، أريدك أن تعودي بذاكرتكِ إلى الواحد والثلاثين من مايو 2003، هل حضرتِ حفلة لـ"بروس سبرينجستين" في إستاد الجمعية الملكية في دبلن في ذلك اليوم؟

– نعم.

– وهل قابلتِ رجلًا هناك؟

– نعم.

– هل يمكنكِ إخبار هيئة المحكمة كيف قابلته؟

– خطف فتى حقيبتي وذلك الرجل استعادها لي.

– تصرفٌ شهم.

- نعم، كان كذلك.
- وهل أقمتِ علاقة مع هذا الرجل لاحقًا؟
- فعلت.

💰💰💰

دخل "جيك أوريلي" الغرفة، ونظر "أوفلايرتي" عبر نظارته إلى "مردوخ" الذي بادله النظر. طرأت في بال "مردوخ" فكرة مفاجئة. "هل أدخل "أفلايرتي" "أوريلي" في الموضوع؟ لقد أجاد عمله بالفعل".

همس "فلين" لـ"مردوخ":
- من هذا؟ ماذا سيقول؟
نظر "مردوخ" خارج النافذة.

💰💰💰

سألت "مور":
- هل الرجل المذكور هنا في المحكمة؟
أجابت "إلينور":
- نعم.
- هل يمكنكِ الإشارة إليه؟
نظرت "إلينور" إلى "راكشنز" وأشارت إليه قائلة:
- هذا هو.
قالت "مور":
- بعد إذن المحكمة، لقد أشارت الشاهدة إلى المتهم "جيمس أوهاري".
رفع "كلارك" قبضته بانتصار، وغطى "راكشنز" وجهه بيديه.

💰💰💰

سأل النائب العام للجيش الجمهوري الأيرلندي:

- إذًا يا سيد "أوريلي"، في عام 1998 كنت تملك مكتبًا تدير منه خدمة سيارات أجرة، لكن كل شيءٍ احترق. هل هذا صحيح؟

- نعم.

- من أحرقه؟

- الجيش الجمهوري الأيرلندي.

- كيف تعرف أنه الجيش الجمهوري الأيرلندي؟

- لأنه قال ذلك.

- هل قال حرفيًّا "الجيش الجمهوري الأيرلندي"؟

- نعم.

- هل تعرف الشخص الذي ادعى أنه من الجيش الجمهوري الأيرلندي؟

- لا.

- ماذا حدث بعد ذلك؟

- رفضت إغلاق العمل.

ثم أشار إلى "مردوخ" وقال:

- ذلك الشخص أمر رجال الجيش الجمهوري بإحراق مكتبي لأننا كنا نتنافس في العمل نفسه ونستهدف نفس الزبائن.

- هل انتهى الموضوع عند هذا الحد؟

- يا إلهي! لا، لقد أمر رجال الجيش الجمهوري باستخدام قالب طوب خرساني لتحطيم ساقي.

- من أمر رجال الجيش الجمهوري بتحطيم ساقك؟

أشار "جيك" إلى "مردوخ" مجددًا وقال:

- هو، "تايني مردوخ".

- هل قال الرجال الذين حطموا ساقك إنهم من الجيش الجمهوري؟

- نعم.

أحكمت "أوليفيا مور" عباءة النيابة حول كتفيها وقالت:

- وهل أنتِ متأكدة أن الشخص الذي أقمتِ علاقةً معه هو المتهم "جيمس أوهاري"؟

- نعم.

- كم مرة قابلتِ المتهم خلال العامين الماضيين؟

- لا يمكنني تحديد ذلك بالضبط.

- عشرة، عشرون، مئة مرة مثلًا؟

- عادةً أربع أو خمس مراتٍ في الشهر، لم يكن سهلًا القيام بترتيبات اللقاء، فلقد كان خارج البلاد كثيرًا.

قالت "مور":

- فهمت.

أدارت وجهها وعدلت شعرها المستعار، ومن الواضح أنها على وشك اتخاذ قرار. عادت تنظر إلى "إلينور بروكتور" وقالت:

- هل يمكن القول إنكِ والمتهم "جيمس أوهاري" وقعتما في الحب؟

- أنا أحببته.

- لكن هل أحبكِ هو؟

- ظننت هذا.

- هل يمكن القول إنه قادكِ للتصديق بأنه أحبكِ؟

- نعم.

- هل كانت علاقة حبٍّ ملتهبة؟

- عذرًا؟

- أعني هل مارستما الحب كلما تقابلتما؟

- إن استطعنا.

$$$

كان "كيفن فلين" متلهفًا لاستجواب "جيك أوريلي".

- سيد "أوريلي"، هل تحب سيد "مردوخ"؟

- لا.

- هذا مفهوم نظرًا لأنك تظنه من دمر عملك وأمر رجال الجيش الجمهوري بعقابك. قلت إن الجيش الجمهوري أمرك بإغلاق عملك؟

- هذا صحيح.

- الرجل الذي أبلغك بذلك، هل قال أي جيشٍ جمهوري يمثل؟

قال له "جيك" بحيرة:

- لم أفهم السؤال.

- هل قال إنه من "الجيش الجمهوري المؤقت" أم "الجيش الجمهوري الرسمي" أم "الجيش الجمهوري الدائم" أم "الجيش الجمهوري الحقيقي"؟ هل حدد أي جيش جمهوري أيرلندي ينتمي إليه؟

- لا.

- والرجال الذين كسروا ساقك، هل حددوا أي جيش جمهوري أيرلندي ينتمون إليه؟

- لا.

- هذا يعني أنهم قد ينتمون إلى أي جيش جمهوري أيرلندي، وليس بالضرورة "الجيش الجمهوري المؤقت". أليس كذلك؟

- أظن هذا.

استدار "فلين" إلى هيئة القضاة وقال:

- حضرات القضاة، أنا أعترض على شهادة هذا الرجل؛ إنه لا يعرف من أحرق عمله أو كسر ساقه، من الواضح أن شهادته باطلة ويجب تجاهلها.

رد النائب العام:

- أتفق مع السيد "فلين" أن شهادة السيد "أوريلي" قد تكون باطلة، لكن هذا إن كانت قائمة بذاتها. أطلب استدعاء شاهدٍ لتأكيد أقوال السيد "أوريلي".

سألت "أوليفيا مور":

- هل أوضح المتهم لكِ أنه مجرم؟

نهض "ألان هيل" محامي "راكشنز" وقال:

- أعترض يا حضرة القاضي؛ لم تتم إدانة موكلي في أي جريمة، ومع ذلك لا تكتفي زميلتي بوضع الافتراضات، بل أيضًا تقود الشاهدة لتشهد بما تريد.

قالت "مور":

- سأسحب سؤالي.

نقرت بالقلم على أصابعها ونظرت إلى الأعلى بتفكير، ثم نظرت إلى "إلينور" وقالت:

- سيدة "بروكتور"، ماذا كان عمل المتهم في رأيكِ؟

- في البداية أخبرني بأنه تاجر تحف.

- في بداية العلاقة؟

- نعم، لكن بمرور الوقت بدأت أشك.

- لماذا؟

- بدأ يسأل أسئلة عن بنك زوجي.

- وهذا أثار شكوككِ؟

- نعم.

- ما نوع الشكوك التي ساورتكِ؟

- شككت في أنه ربما لديه دافعٌ خفي للاستمرار في علاقتنا الغرامية.

- ما نوع الأسئلة التي سألها؟

- من الصعب التحديد، لكنه كان مهتمًّا بمواعيد ومكان عمل "فرانك" وبالمهام المطلوبة منه.

- وهل ظل مصرًّا على هذا النوع من الأسئلة مع مرور الوقت؟

- نعم، بدا مهووسًا بـ"فرانك" والبنك.

- مهووس؟ هممم.. أريدكِ أن تتذكري الفترة التي سبقت سرقة البنك الوطني مباشرةً.

شعرت "إلينور" بالتوتر وكأنها سقطت في قلب عاصفة. مدت يدها إلى كوب ماء، فسألتها "مور":

- هل أنتِ بخيرٍ يا سيدة "بروكتور"؟

هزت "إلينور" رأسها نفيًا وقالت:

- أشعر ببعض الغثيان.

- هل يمكن أن تسمح باستراحةٍ قصيرة يا حضرة القاضي؟

💰💰💰

جلس "راكشنز" في غرفة مع محاميه، وسألهم:

- ما رأيكم؟

قال "ألان هيل":

- شهادة السيدة "بروكتور" كانت متوقعة، لكن هذا لا يضعفها أبدًا. الحقائق الموجودة أمامنا الآن هي: قالت إنها وأنت كنتما في علاقةٍ طويلة، استطاعت التعرف عليك، ادعت أنك أظهرت اهتمامًا شديدًا بالبنك الوطني، كل هذا في حد ذاته لا يكفي لإدانتك، لكنه قد يكون كذلك بالنسبة إلى هيئة المحلفين. هل ستقول سيدة "بروكتور" إنها أعطتك جدول المناوبات؟

- بالتأكيد ستفعل.

قال "هيل" وهو يهز رأسه:

- هذا ليس جيدًا، ليس جيدًا أبدًا.

بحث في حقيبته وأخرج مفكرةً كبيرةً وقال:

- إن التزمت سيدة "بروكتور" بكلامها بخصوص جدول المناوبات، سنكون في ورطةٍ حقيقية.

تبادل "هيل" و"راكشنز" النظر ثم قال "هيل":

- هناك أوقاتٌ في المحاكمة نشعر فيها بأن علينا أن نكون واقعيين، وبصراحة لا أشعر بأي خيرٍ قادم من شهادة سيدة "بروكتور" إن قالت إنها أعطتك جدول المناوبات، وبخاصة أنك ترفض تمامًا الوقوف على منصة الشهادة وإنكار كلامها.

من الواضح أن "هيل" قلقٌ جدًّا.

- ما سأقوله لن يعجبك يا "جيمس"، لكن في ضوء ما قالته سيدة "بروكتور" وما ستقوله، أظن أنه من الحكمة التفكير في تغيير أقوالك للاعتراف بالذنب.

تفحص "هيل" وجه "راكشنز" بحثًا عن رد فعل، لكنه لم يجد.

- يمكنني التحدث مع النائبة بهدوء، ربما تفضل النيابة العامة إعطاءك عقوبة مخففة إن اعترفت بالذنب بدلًا من تعريض السيدة "بروكتور" لمزيدٍ من الاستجواب.

هز "راكشنز" رأسه نفيًا بإصرارٍ وقال:

- لا، لن أعقد صفقات، هاجمها بكل ما لديك.

💰💰💰

أقسم "فينبار أوهاري" للشهادة في المحاكمة العسكرية.

قال "كيفن فلين":

- إذًا سيد "مردوخ" قدم لك عرضًا؟ لكنك تظنه أقل من القيمة التي تستحقها ملكيتك في السوق؟

قال "فينبار أوهاري":

- أقل بكثير، أقل من نصف القيمة.

قال "فلين":

- لكن هكذا هو مجال العقارات، أليس كذلك؟ أنت تضع سعرًا لملكيتك بينما أعرض أنا ما أظنه سعرًا معقولًا، لستُ مضطرًا إلى قبول تقديرك ولستَ مضطرًا إلى قبول عرضي.

قال "فينبار":

- لكنني كنت مضطرًا إلى قبول عرضه.

- هل تقول للمحكمة إنك قبلت عرضه الذي لم تظنه مناسبًا؟

- بالضبط.

- لم فعلت هذا؟

- لأنني ظننته عرضًا لا يمكنني رفضه.
- عرض لا يمكنك رفضه؟ هل هددك سيد "مردوخ" لقبول العرض؟
- ليس بكلامٍ محدد.
- بأي كلامٍ إذًا؟
- لم يستخدم كلمات.
- ربما لم أفهمك بشكلٍ صحيح. هل تقول إن سيد "مردوخ" لم يهددك؟
- لا، لم يفعل.
- إذًا قدم لك شخصٌ ما عرضًا وأنت قبلته بكامل إرادتك؟ هذا ما حدث، صحيح؟
رد "فينبار":
- أظن هذا.
جلس "فلين".
نهض النائب العام للجيش الجمهوري وقال:
- سيد "أوهاري"، هل يمكنك أن تخبرنا ماذا قصدت بقولك إنه لم يهددك بكلامٍ محدد؟
- إنها الطريقة التي قدم بها عرضه. قال إنني لو أردت العيش في الخارج، فعليَّ بيع مزرعتي له لمصلحتي.
- كيف فهمت ذلك على أنه تهديد.
نظر "فينبار" إلى "مردوخ" وقال:
- ظننته يقصد أنني إن لم أبع المزرعة له بسعره البخس، فقد لا أكون على قيد الحياة لكي أستطيع السفر أصلًا.

قالت "أوليفيا مور" وهي ترجِع ظهرها إلى الوراء:
- سيدة "بروكتور"، هل أعطيتِ جدول المناوبات لـ"جيمس أوهاري" في الأسبوع السابق لسرقة البنك الوطني؟

- نعم.

ضربت كلمات "إلينور" محامي "راكشنز" في مقتل. مال "كلارك" للأمام ليسمع كل كلمة بانتباه. همست زوجة "كيلي بيلي" بشيءٍ في أذن زوجها وأومأ "كيلي".

نظرت "مور" إلى بعض الأوراق قبل أن تواصل استجواب "إلينور":

- وهل هذا الجدول خاص بالمناوبات يوم الثامن عشر من ديسمبر 2004، يوم سرقة البنك؟

- نعم.

- كيف تعرفين؟

- لأنني فحصته قبل تسليمه له.

- لم فعلتِ ذلك؟

- لأن "جيمس".. آسفة.. أعني سيد "أوهاري" كان مهتمًّا بالمناوبات في ذلك الأسبوع بالذات.

- هل أخبركِ السيد "أوهاري" لماذا كان مهتمًّا بمناوبات هذا الأسبوع بالذات؟

- نعم، قال إنه يريد سرقة البنك.

- البنك الوطني؟

- نعم.

- هل أخبركِ كيف سيسرقه؟

- لا.

- هل سألته؟

- لم أرد معرفة التفاصيل.

تراجع "كلارك" في جلسته وشبك ذراعيه وساقيه. "لا يمكن أن تتحسن الأمور أكثر من هذا". نظر إلى "راكشنز" الذي شعر بحدة نظرته واستدار إلى "كلارك"، وابتسم "كلارك" لكن "راكشنز" لم يبادله الابتسام.

قال نائب الجيش الجمهوري:

- أستدعي "كولم كولمان".

ابتلع "مردوخ" ريقه بصعوبة، وشعر وكأن قنبلة من القلق انفجرت في جسده.

شعر "أوفلايرتي" بتغييرٍ في ملامح "مردوخ"، وقال:

- هل أنت بخيرٍ يا جندي "مردوخ"؟ هل تحتاج إلى استراحة؟

هز "مردوخ" رأسه نفيًا وقال:

- أنا.. بخير، أنا على ما يرام.



30



ظل "ألان هيل" يستجوب "إلينور" أكثر من ساعة. أحيانًا كانت أسئلته عادية وأحيانًا أخرى كانت مليئة بالإدانة.

– هل تتطفلين عادةً على ملفات العمل الخاصة بزوجكِ؟

– لا.

– هل معكِ الرقم السري؟

– لا.

– لكنكِ استطعتِ فتح الكمبيوتر؟

– نعم.

– كيف؟

– عندما يشرب الكحول ينسى إطفاء الكمبيوتر.

– وفي إحدى الليالي تسللتِ وأخذتِ جدول المناوبات؟

– نعم.

– سيدة "بروكتور"، عندما نفكر في الأمر نجد أن كلمتكِ هي الإثبات الوحيد على سرقتكِ للملفات، صحيح؟ ربما تختلقين كل هذا أصلًا.

– لا.

– هذا كلامكِ، لكنني محق، أليس كذلك؟ ليس لدينا سوى كلمتكِ بأن زوجكِ كان سكران جدًّا لدرجة أنه نسي إطفاء الكمبيوتر، فأخذتِ أنتِ جدول المناوبات.

– لا أقبل بهذا. أخبرتني الشرطة بأنهم اكتشفوا أن الملفات تم فتحها عندما فحصوا الكمبيوتر.

– أنا مدركٌ تمامًا لشهادة رئيس المحققين "كلارك" لهذه المحكمة، ولا أعترض على حقيقة أن شخصًا ما فتح ملفات زوجكِ. مشكلتي هي أن زوجكِ قال بأنه لا يتذكر إذا كان فتح جدول المناوبات مجددًا أم لا.

– لم يفعل.

قال "هيل" باختصار:

– لا يمكنك معرفة ذلك، هل كنتِ معه في كل دقيقة جلسها على الكمبيوتر؟

– لا.

– إذًا من الممكن أنه هو من فتح جدول المناوبات مجددًا. سأعود لنقطتي الرئيسية، ليس لدينا سوى كلمتكِ بأنكِ من فتح جدول المناوبات على كمبيوتر زوجكِ.

قالت "إلينور" بعناد:

– فلتعد إلى نفس النقطة مرارًا وتكرارًا كما تحب، لكن الحقيقة لن تتغير، لقد فتحت ملفات زوجي وأخذت جدول المناوبات وأعطيته لـ"جيمس أوهاري".

فتح "هيل" موضوع علاقتها بزوجها وسألها:

– هل كنتِ غاضبةً من زوجكِ بسبب علاقته مع امرأةٍ أخرى أصغر منكِ سنًّا؟

– نعم.

– متى انتهت هذه العلاقة؟

– منذ عشر سنوات.

– عشر سنوات. هل مارستِ الحب مع زوجكِ منذ ذلك الوقت؟

اعترضت "مور" لكن رفض القاضي اعتراضها لأن السؤال متعلق بالقضية.

– هل مارستِ الحب مع زوجكِ منذ اكتشافكِ لأمر علاقته السرية؟

– لا.

– لم لا؟

– لم أطق أن يلمسني.

- فهمت. شعرتِ بالخيانة بسبب عدم إخلاص زوجكِ، صحيح؟
- نعم.
- وكنتِ غاضبةً جدًّا، صحيح؟
- نعم.
- غاضبة جدًّا لدرجة أنكِ أردتِ الانتقام؟ هل الانتقام هو سبب إقامتكِ لعلاقةٍ مع المتهم؟
- لا.
- لكن زوجكِ أذلَّكِ، صحيح؟
- نعم، لكن كان هذا منذ زمنٍ طويل، لقد تصالحنا كصديقين، لقد ناسبنا هذا الوضع أكثر.



جلس "كولم كولمان" على بعد قدمٍ من "تايني مردوخ"، لكنه لم ينظر إلى عينيه مباشرةً.

قال النائب العام للجيش الجمهوري:

- دعنا نكون واضحين أيها الجندي "كولمان". هل أمرك الجندي "مردوخ" بإحراق عمل "أوريلي" عام 1998؟
- نعم.
- وكنت تظن أن هذه عملية تابعة للجيش الجمهوري؟
- نعم.
- هل خطر ببالك أن هذه العملية متعلقة بمصالح الجندي "مردوخ" أكثر من تعلقها بأهداف الجيش الجمهوري؟
- لا، لقد تلقيت أمرًا ونفذته ببساطة.
- أريد السؤال عن موضوعٍ آخر، هل تعرف "فينبار أوهاري"؟
- نعم، إنه مغتصب أطفالٍ معروف في بلفاست.

- هل رتبت لاعتقال "فينبار أوهاري"؟
- نعم.
- من أمرك باعتقال "أوهاري"؟
- الجندي "مردوخ".
- هل تدرك أن الأمر لم يأتِ من المجلس العسكري وإنما من الجندي "مردوخ" فقط؟
- لم أدرك ذلك حين نفذت الأمر.
- لماذا في رأيك أمر الجندي "مردوخ" باعتقال "فينبار أوهاري"؟
- لقد اكتشف أن "فينبار أوهاري" مغتصب أطفال وهو يكره هذا النوع بشدة، كما أدرك أنها فرصة مناسبة للضغط على "بانزر أوهاري".
- "بانزر أوهاري" والد "فينبار أوهاري"؟
- نعم.
- لكن لماذا أراد الجندي "مردوخ" الضغط على "بانزر أوهاري"؟
- كان يتحدث دائمًا عما كان سيفعله لو امتلك مزرعة "بانزر"، وكيف سيفتح مزرعة خيول هناك. أظنه لمح فرصته وأمر باعتقال "فينبار" ليجبر "بانزر" على تسليم المزرعة بسعرٍ رخيص.
- إذًا لقد استغل سلطة الجيش الجمهوري ليغتني؟
- نعم.



حك "ألان هيل" خده وصمت قليلًا قبل أن يسأل:
- هل كنتِ تعرفين أن المتهم يعيش مع امرأةٍ أخرى أصغر سنًّا تُدعى "ماريا مكاردل"؟
- نعم.
- وهل كنتِ راضية بهذا؟

- لا.
- لكنكِ كنت مستعدة للتغاضي عن الأمر؟
- لا، لقد أخبرته أن ينهي علاقته بها.
- وهل فعل؟
- أخبرني بأنه فعل.
- متى؟ قبل أم بعد سرقة البنك؟
- قبل.
- وهل صدقته؟
- نعم، لقد أخبرني أنها انتقلت إلى أمريكا الجنوبية بعدما انفصل عنها.
- هل ما زلت تصدقينه؟
عذرًا؟
- هل ما زلتِ تصدقين أنه انفصل عن "ماريا مكاردل"؟
- لا.
- إذًا تظنين أنهما ما زالا معًا؟
- نعم.
- حسنًا.
رفع "هيل" بعض الأوراق ونظر إليها ثم نظر إلى "إلينور" وقال:
- التاريخ يعيد نفسه إذًا، صحيح؟
- عذرًا؟
- قلت إن التاريخ يعيد نفسه. للمرة الثانية يخونك شخصٌ كان يحبكِ، بينما كان المتهم في علاقةٍ معكِ لأجل جدول المناوبات، كان يخطط لحياته مع "ماريا مكاردل" -حبه الحقيقي- في أمريكا الجنوبية، لكنكِ لم تكوني مستعدة لتقبل الأمر هذه المرة، لن يذِلكِ أي رجلٍ ويفلت بعملته مجددًا، ولا حتى

"جيمس أوهاري"، لقد تعرضتِ للاستغلال والإساءة كثيرًا، لذلك ستردين الضربة وتنتقمين، أليس كذلك؟

قالت "إلينور" بغيظٍ مكتوم:

- إنه وغد.

- عذرًا يا سيدة "بروكتور"، ماذا قلتِ؟

- لا شيء.

- بل قلتِ شيئًا، ماذا قلتِ؟

استدارت "إلينور" إلى "راكشنز" وقالت:

- قلت إنه وغد.

رفعت صوتها وكررت:

- إنه وغد.

- هل تكرهين "جيمس أوهاري"؟

- نعم.

قال "هيل":

- سأخبركِ بما حدث من وجهة نظركِ يا سيدة "بروكتور". أنتِ امرأة تعرضتِ للإذلال والخداع مرتين؛ على يد زوجكِ وعلى يد "جيمس أوهاري". سأواجهكِ بتفكيركِ يا سيدة "بروكتور"، لقد اخترعتِ هذه القصة السخيفة عن إعطاء موكلي جدول المناوبات لكي تنتقمي من الرجل الذي عددته خائنًا، الرجل الذي كانت جريمته الوحيدة هي أنه وعدكِ بمنحك العالم بين يديكِ، لكنه لم يسبب لكِ سوى الألم، لقد أردتِ الانتقام، أليس كذلك؟

- لا، لم أرد الانتقام.

- أنتِ لم تعطه جدول المناوبات يا سيدة "بروكتور".

- بل فعلت!

- لقد أردتِ الانتقام، أليس كذلك يا سيدة "بروكتور"؟

رفعت "إلينور" رأسها وقالت:

- نعم! نعم، أردت الانتقام! إنه وغدٌ خائن!
- وأنتِ لم تعطه جدول المناوبات، أليس كذلك؟
بدت "إلينور" حائرة.
- أنتِ لم تعطه جدول المناوبات، أليس كذلك يا سيدة "بروكتور"؟
أخفضت "إلينور" رأسها والتزمت الصمت، لكن "هيل" قال بإصرار:
- من فضلكِ أجيبي عن السؤال يا سيدة "بروكتور"، هل أعطيتِ السيد "أوهاري" جدول المناوبات؟
واصلت "إلينور" الصمت.
قال "هيل":
- سيدة "بروكتور"، هل سمعتِ من قبل بمصطلح "شهادة الزور"؟ إنها جريمة معناها الكذب على هيئة المحكمة.
لم تتحرك "إلينور".
نظر "هيل" إلى منصة القضاة وقال:
- حضرة القاضي.
قال القاضي:
- أجيبي عن سؤال المحامي يا سيدة "بروكتور".
قالت "إلينور" بصوتٍ يمكن بالكاد سماعه:
- لا، لم أعطه جدول المناوبات، لم أرَ الجدول أبدًا.
- لنكن واضحين، هل هذا يعني أنكِ تظنين أن السيد "أوهاري" بريء من تهمة سرقة البنك الوطني؟
- لا! لا! لا! أعرف أنه سرقه! هو الفاعل، إنه لص! إنه...
- لكنكِ لم تعطه جدول المناوبات.
- لكنك تُحَرِّف كلا..
- هذا كل شيء يا سيدة "بروكتور".

غادرت سيدة "بروكتور" منصة الشهادة.

قال "هيل" وهو يستدير إلى منصة القضاة:

- حضرة القاضي، في ضوء شهادة السيدة "بروكتور"، أطالب بإسقاط كل التهم الموجهة إلى موكلي.

نهض "راكشنز" وهتف بانتصار، وغطى "كلارك" وجهه بيديه، ولوح "بيلي كيلي" بقبضته في الهواء.

عم الصمت محكمة الجيش الجمهوري بينما يتم تشغيل مقطع صوتي:

- دعني أخبرك بهذا يا "كولم"، يجب أن يرحل هذا المغفل "أوفلايرتي"، إنه يريد تقديمي إلى محاكمةٍ عسكرية! أنا! من يظن نفسه بحق الجحيم؟

سمعوا صوت "كولمان" في التسجيل يقول:

- لقد جن تمامًا يا "تايني".

نظر "مردوخ" إلى "أوفلايرتي"، ولمح بريق نصرٍ في عينيه، أم كانت ابتسامة ساخرة؟

تم تسريع التسجيل قليلًا ثم واصلوا تشغيله، فعاد صوت "كولمان":

- ماذا تعني بأن "أوفلايرتي" يجب أن يرحل يا "تايني"؟ يرحل إلى أين؟

- أنت تعرف قصدي.

- لم أفهم يا "تايني"، إلى أين؟

- يجب التخلص منه، ما زال يظن نفسه في عام 1972.

- أنت لا تفكر في قتله، أليس كذلك؟

- بالطبع لا، إلا إذا اضطررت.

نهض "مردوخ" ووضع يديه حول عنق "كولمان" ليخنقه وهو يصرخ:

- أيها الخائن القذر!

تدخل ثلاثة رجال لمحاولة إبعاد "مردوخ" عن "كولم"، لكن "مردوخ" قاومهم. ازداد وجه "كولمان" احمرارًا وازرقت شفتاه.

– مت أيها الوغد.

سال لعاب "كولمان" على يديه.

فتح "بول أوفلايرتي" درجًا وأخرج منه عصا شرطة من النوع القابل للامتداد والانكماش، ثم فتحها ودار حول الطاولة وضرب "مردوخ" على مؤخرة رأسه، وظل "مردوخ" صامدًا، فرفع "أوفلايرتي" يده وكرر الضربة بقوة، فتراخت يد "مردوخ" وانهار فوق "كولمان".

أوشكت الساعة على الثالثة ظهرًا عندما خرج "راكشنز" بسعادةٍ من المحكمة بصحبة محاميه، وكانت المحكمة فارغة إلا من أفراد قضية البنك الوطني. صافح "راكشنز" فريق محاميه. جاءه "بيلي كيلي" وزوجته فعانق "راكشنز" صديقه. "كيفن سامرز" و"ألان هيل" تحدثا قليلًا.

ظهر رئيس المحققين "كلارك" ورجاله من المخرج الآخر، ومن بين من حوله كانت "إلينور بروكتور"، كانت تمسك بمنديل ومن الواضح أنها كانت تبكي، فأجلسها "كلارك" على كرسي.

قالت:

– أنا آسفة يا سيد "كلارك"، لقد أردت أن أسجنه، لقد سرق البنك، أنا أعرف ذلك.

– لا تزعجي نفسكِ، هذه الأمور تحدث أحيانًا.

– هل سأتلقى تهمة شهادة الزور يا سيد "كلارك"؟

– أشك في ذلك، سيتم إرسال تقرير إلى هيئة الخدمة العامة، لكنني أشك في أنهم قد يتخذون أي إجراء، فهذا لا يهم الرأي العام.



وضعوا القيود في يد "تايني مردوخ" ثم وضعه اثنان من رجال الجيش الجمهوري في المقعد الخلفي لسيارة "جيب". جاء "بول أوفلايرتي" وأمر الرجلين بالانصراف، ثم مال داخل السيارة وقال:

- أنت محظوظ لأنني رجلٌ مسامح يا "تايني"، لقد نجوت بعقابٍ خفيف.

- لقد صادرتم عملي وأمرتم بإطلاق النار على ركبتَي، هل تسمي ذلك عقابًا خفيفًا يا "بول"؟

- لولاي لتلقيت رصاصةً في رأسك، بالإضافة إلى أن كل جراحك بسيطة.

- لماذا فعلت ذلك يا "بول"؟ كنت أظنك صديقي.

رفع "أوفلايرتي" إصبعين وقال:

- لسببين؛ أولًا، كنت تستغل اسم الجيش الجمهوري لمصلحتك الشخصية.

- لست أول من يفعل هذا ولن أكون الأخير. وثانيًا؟

- "بانزر أوهاري".

- ماذا عنه؟

- كان "بانزر" صديقي، لقد عرفته منذ وقتٍ طويل من معرفتي بك حتى، ليس هذا فقط، بل إنني اعتدت الاختباء في مزرعته في السبعينيات حين كنت هاربًا، كان يخفي الأسلحة لنا، ليس فقط عند وصول الشحنة الليبية، بل في أوقاتٍ كثيرة، لقد جاء إليَّ وباح بكل شيء.

قال "مردوخ":

- لا أعرف ما الذي تتحدث عنه.

قال "أوفلايرتي" قبل أن يستدير ويبتعد:

- بل أظنك تعرف، أنت عارٌ على الجمهورية يا "تايني"، عد نفسك محظوظًا لأنك خرجت من هنا حيًّا.

خرج "فينبار أوهاري" من البيت بصحبة جندي ضخم.

قال "مردوخ":

- "بول"!

استدار "أوفلايرتي" إليه.

- هل ستطلق النار عليَّ وتترك مغتصب الأطفال هذا يسير مبتعدًا؟

نظر "أوفلايرتي" إلى "فينبار" باحتقارٍ وقال:

- لن يسير طويلًا، سيركب معك.

- ألن تدعهم يطلقون النار عليه؟ "بول"، لا تفعل ذلك بي، فجر ركبتيَّ أو رأسي إن أحببت، لكن لا تجعلهم يطلقون النار عليَّ أمام مغتصب أطفال. إلا هذا.

تجاهله "أوفلايرتي" وابتعد.

ظهر "كولم كولمان" عند مدخل الكوخ وهو يتكلم في الهاتف. ذهب إلى السيارة التي يركب فيها رئيسه السابق وقال:

- معي شخصٌ يريد التحدث معك.

ثم وضع الهاتف على أذن "مردوخ".

قال "مردوخ" باندهاش:

- ماذا يحدث بحق الجحيم؟

رد صوتٌ هادئ:

- أنت غارقٌ في المشكلات يا "تايني".

- من أنت؟

- أنت تصفني دائمًا بــ"مساعد المزارع".

- اللعنة! ظننتك ســ..

قاطعه "راكشنز" وهو ينظر إلى "كلارك" الذي بدا مهتمًا بمكالمته:

- سأذهب للسجن بتهمة السرقة؟ مستحيل! لقد أفرجوا عني للتو، ألن تهنئني؟

- إذًا، أنت و"كولمان"..

ذهب "راكشنز" إلى ركنٍ ليتحدث بحرية:

- "كولمان" وأنا نعرف بعضنا منذ مدةٍ طويلة يا "تايني"، كنا نتدرب على سرقة البنوك، وقمنا بعملياتٍ معًا، أنا أعرف عائلته كلها، ولقد واعدت أخته "إيزابيل" لفترة. ألم تعرف ذلك؟

- لا. هل كان يعمل معك طوال الوقت؟

- على الإطلاق، لقد كان رجلك المخلص دائمًا، حتى حاولت قتلي في "كارلينجفورد"، كانت هذه غلطةً فادحة.

- هل دفعت له ثمن الخيانة بهذه السهولة؟

- بالطبع، ماذا تساوي بضعة جنيهات من بين عشرات الملايين؟

- لن تحتفظ بعشرات الملايين هذه لوقتٍ طويل.

- ومن سيأخذها مني؟ أنت؟ أنت على وشك أن تتعرض لإعاقةٍ في ركبتيك يا صديقي، أما أنا فعلى وشك الذهاب في رحلةٍ بحرية لمدة عام.

- لم ينته الأمر أيها الحقير، سوف..

- سيطلقون النار على ركبتيك بينما تبتسم وتتحمل الألم.

- نعم، سأبتسم وأتحمل الألم، لا تقلق عليَّ أيها الحقير.

- لن أفعل، لقد ارتكبت خطأً كبيرًا، أليس كذلك؟

- وأنت خبير في الأخطاء الكبيرة، أليس كذلك؟

- أعرف من خبرتي أنه لا يجب أن أترك الجشع يحكم تصرفاتي.

- أنت؟ أنت ستنصحني بشأن الجشع؟ الفرق الوحيد بيني وبينك يا صديقي هو أنك كنت محظوظًا هذه المرة.

- لا دخل للحظ في الموضوع. الفرق بيني وبينك هو أنني ذكي كفاية لأدفع لرجالي، كان يمكنك أن تدفع لـ"كولمان" بعض المال، لكنك طمعت في الغنيمة كلها وحدك.

أخذ "كولمان" الهاتف من على أذن "مردوخ" الذي أشار إلى "كولمان" وقال:

- أنت هالكٌ يا "كولمان"، خذها مني كلمة، أنت هالكٌ تمامًا.

- هل تهدد جنديًّا في الجيش الجمهوري يا "تايني"؟

لم يستطع "تايني" إخفاء كرهه لزميله السابق. قال:

- أهددك؟ سأدفنك حيًّا في نعش قبل أن ينتهي هذا الأمر، وسأضع فئرانًا جائعة في النعش معك لترافقك.

أخرج "كولمان" شريطًا صوتيًّا من جيبه ورفعه، وأرجع الشريط ثم شغله، فتردد صوت "تايني": "أهددك؟ سأدفنك حيًّا في نعش قبل أن...".

رفع "كولمان" الشريط أمام وجه "مردوخ" بأسلوبٍ مسرحي، وقال:

- هل تريد قول شيءٍ آخر يا سيد "مردوخ"؟

ثم أضاف بسخرية وهو يحدِّث جهاز التسجيل الصغير:

- السيد "مردوخ" ليس لديه ما يضيفه.

أعاد "كولمان" جهاز التسجيل إلى جيبه وقال:

- لقد أوقعك فمك الثرثار في المشكلات.

ضحك "راكشنز" وهو يغلق الخط مع "تايني مردوخ". فجأة لمح "ميكي مكاردل" وهو يخرج من المحكمة، فنظر إلى الرجل العجوز وحرك فمه ليقول له "شكرًا" بصمت. لمس "مكاردل" قبعته بتحية ثم خرج. تذكر "راكشنز" عندما لعب الجولف مع "بانزر" في الجبل الأسود، وشعر فجأة أنه يفتقده، لو كان هنا لاستمتع كثيرًا. قال في سره: "كنت محقًّا يا "بانزر"؛ عائلة "مكاردل" طيبون، لقد ساعدني "ميكي" العجوز، و"ماريا" كانت رائعة، سأشكرهما كما يجب". نظر إلى "إلينور" التي تقف وحدها الآن وابتسم لها، فبادلته الابتسامة. لاحظ "كلارك" هذه التحية السريعة بطرف عينه ورفع حاجبيه بدهشةٍ بالغة، وظل يدير رأسه بينهما ثم استقر على "راكشنز"، فأومأ "راكشنز" إليه

باعترافٍ صامت. ظل وجه "كلارك" جامدًا، وسار إلى "راكشنز" ووضع يده على كتفه وقال:

– لا بد أنك تظن نفسك ذكيًّا أيها الوغد اللعين، لقد خططت للأمر كله، حتى اعتراف "إلينور".

– لا أعرف ما الذي تتحدث عنه يا سيد "كلارك".

زمجر "كلارك" قائلًا:

– هيا يا "راكشنز"، أنت تعرف تمامًا ما الذي أتحدث عنه.

ثم استدار إلى "إلينور" ودعاها للاقتراب.

اقتربت "إلينور" بحذر.

اختفت ابتسامته فورًا وقال:

– أنا مندهشٌ منكِ يا سيدة "بروكتور".

اندهشت "إلينور" بسبب أسلوبه الذي تغيَّر فجأة.

– لماذا يا سيد "كلارك"؟

– لقد خدعتني كالأحمق.

– أنا. لا أفهم.

– بل أظنكِ تفهمين، لا أظنني أستطيع فتح هذه القضية حاليًّا أو حتى مقاضاتك بتهمة شهادة الزور، لكنني لن أنسى هذا.

أحنت "إلينور" رأسها وقالت:

– الأمر ليس كما تظن يا سيد "كلارك".

– بل هو كما أظن تمامًا.

همس "راكشنز" في أذن "كلارك":

– هل تذكر ما أخبرتك به عندما سلمت نفسي في مركز شرطة "جروسفينور رود"؟

– ذكرني.

– قلت إنني تناولت العشاء مع صديقين.

بدأ "كلارك" يتذكر، وقال:

- وقلت إن "الشيطان" يربح دائمًا.

- صحيح.

سار "راكشنز" و"إلينور" إلى المخرج.

قال لها "راكشنز" بفخر:

- أحسنتِ عملًا يا "إل".

ردت "إلينور":

- أعرف ذلك.

ناداه "كلارك":

- "راكشنز"!

استدار "راكشنز"، فقال "كلارك":

- لم ينته الأمر بعد.

- صدفة غريبة، أنت ثاني شخص يخبرني بهذا اليوم، لا أعرف لماذا.

ابتسم "راكشنز" ولوح له مودعًا بمرح.



الخاتمة

مضى عامان على حادثة البنك الوطني، وبلفاست غارقة تحت طبقةٍ كثيفةٍ من الثلج. في بيت عائلة "باتلر"، زاد "أليك" نار المدفأة، وترك "ديكلان" والده والنار وذهب ليفتح الباب، وعندما فتحه رأى رجلًا أنيقًا، فقال "ديكلان" بدهشة:

- أنت!

رفع "ديكلان" يديه بدفاع وتراجع داخل البيت وهو يقول:

- "جاك"، لا، "راكشنز". أيهما أنت؟

- كلاهما.

- سأتصل بالشرطة.

قال "راكشنز" بحزم:

- لا، لن تفعل، لقد حاولت الشرطة توريطك في الجريمة، لن تساعدهم الآن، بالإضافة إلى أنك لن تستطيع مساعدتهم، فأنت لم تر وجهي وقت الجريمة.

قال "ديكلان" لنفسه: "ماذا أفعل؟". وفجأة وبشجاعة غير متوقعة أمسك بـ"راكشنز" من ياقة معطفه الأسود ماركة "أرماني".

- أنت.. أيها الحقير القذر.

ورفع قبضته ليضربه، فرفع "راكشنز" رأسه وقال:

- هيا اضربني يا فتى، لن أمنعك، لكمة على الذقن هي أقل ما أستحق على ما سببته لك، هيا افعلها.

تردد "ديكلان" وتركه وقال:

- أنت لا تستحق أن أؤلم يدي بضربك، أيها الوغد القذر.

سمع "ديكلان" بعض الضوضاء، فنظر خلفه ثم قال:

- أبي هنا، لا تقل شيئًا.

أطل "أليك" برأسه من غرفة الجلوس ونظر إلى الزائر وإلى ابنه بمزيج من الفضول والتردد، ولم يستطع رؤية الزائر بوضوح، لكنه شعر بشيءٍ مريب. قال:

- هل كل شيءٍ بخير يا بني؟ من هذا؟

- إنه "فيل" يا أبي، زميل قديم من البنك، سأنتهي معه بسرعة.

قال "أليك":

- هكذا إذًا، هل تريد الدخول وشرب الشاي؟

- لا، شكرًا يا سيد "باتلر"، كنت فقط أقول لـ"ديك" إننا استمتعنا بوقتنا في البنك، كان وقتًا ممتعًا لي بالفعل.

- وكذلك لـ"ديكلان"، إلى أن..

تردد "أليك" ولم يكمل جملته، وقال:

- حسنًا، بالتوفيق إذًا يا "فيل".

ثم أغلق باب غرفة الجلوس.

قال "راكشنز":

- قبل أن أنسى، مبارك على إسقاط التهم، كان لمصلحتك أن تحصل على محاكمةٍ منفصلةٍ عني. لقد أحسن محاميوك العمل.

- تبًّا لمباركتك، لقد جعلت أبي وعائلتي يعانون. دعني أخبرك شيئًا، إن أبي رجلٌ طيب، إنه أفضل منك بمئة مرة.

- لن أجادلك في هذا. أنا آسف.

- حقًّا؟ هل أنت آسفٌ حقًّا؟ لو كنت بالفعل آسفًا..

بحث "ديكلان" عن كلامٍ مناسب.

- لو كانت الشرطة قد صادرت كل ممتلكاتك وأموالك، هل كنت لتكرر ما فعلته؟

تمهل "راكشنز" ليفكر قبل الإجابة، ثم سحب نفسًا عميقًا وقال:

- نعم، أظنني كنت سأفعل.

- إذًا، أنت لست آسفًا بحق، بل تقول ذلك فقط لأنه ما ينبغي قوله الآن، أليس كذلك؟

ثم أشار "ديكلان" إلى الخارج وقال:
- أتعرف ماذا أريد أن أقول لك؟ ابتعد، هيا، ابتعد واخرج من هذا الباب فورًا.
نظر "راكشنز" إلى "ديكلان" وقال ببساطة:
- لقد وعدتك بشيء.
- أنت وعدتني؟ بماذا؟ ما الذي تتحدث عنه يا "جاك"؟
- جئت لأعيد إليك حقيبتك الرياضية.
- فقط؟
قال "ديكلان" في سره: "يا لجرأة هذا الوغد! لقد عاد إلى منزلي حاملًا حقيبتي الرياضية الغبية".
- ألا يمكنك إعادة حياتي الطبيعية أفضل؟ هل يمكنك إيقاف همسات الناس وإشاراتهم لي كلما ذهبت إلى الطبيب أو دكتور الأسنان أو حتى للشرب قليلًا؟ هل يمكنك إخبار الناس بأنني لم أكن الجاسوس؟ لأن الجميع يظنونني كذلك!
رفع "راكشنز" الحقيبة، فنظر إليها "ديكلان" بخوف وكأنها تحتوي على نفاياتٍ مشعة.
قال "راكشنز":
- هيا، خذ حقيبتك، إنها لك.
لم يتحرك "ديكلان"، فتركها "راكشنز" بجانب الباب وقال:
- لقد نجوت من تجربةٍ صعبة يا "ديك"، أحسنت. كريسماس سعيد.
ثم استدار وابتعد.
شاهد "ديكلان" "راكشنز" وهو يسير وسط الثلج ويتجه إلى بوابة الحديقة، إنها تمطر ثلجًا بغزارة. أغلق "ديكلان" الباب وأخذ الحقيبة إلى غرفة الجلوس.
نظر "أليك" بقلقٍ إلى "ديكلان"، ثم انتبه إلى الحقيبة، فاعتدل في جلسته وقال:
- يا إلهي! إنها الحقيبة الرياضية التي..
- أبي..
- ذلك الرجل كان..

- "جاك".

تبادل الأب وابنه النظرات بينما يضع "ديكلان" الحقيبة على الأريكة.

قال "ديكلان":

- ربما علينا إبلاغ الشرطة يا أبي.

رد "أليك":

- ربما علينا معرفة ما بداخلها أولًا.

أومأ "ديكلان".

فتح "أليك" الحقيبة الرياضية ثم أدخل يده وأخرج رزمًا من المال فئة الخمسين جنيهًا. مزق شريط البنك الورقي الذي يربط حزم النقود ثم فرد المال بين يديه وتمتم:

- يا إلهي! لا بد أنه.. لا بد أنه يوجد مليون جنيهٍ إسترليني هنا.

شعر "ديكلان" بدهشةٍ كبيرة وبالكاد استطاع الكلام:

- نعم.

هز رأسه بعدم تصديق وأضاف:

- نعم! أراهن بحياتي يا أبي، يوجد مليون جنيه إسترليني بالضبط في هذه الحقيبة، لا أكثر ولا أقل.

أفرغ "أليك" الحقيبة الرياضية على الأريكة ووقعت رزم النقود على الأرض، لم يستطع "ديكلان" منع ابتسامته وهو يتذكر كلام "راكشنز" في شارع "رينجلاند": "عندما ينتهي كل هذا يا فتى، سأترك لك بعض المال". "بالفعل يا "جاك"، لقد وفيت بوعدك حقًا".

نظر "ديكلان" إلى والده وقال:

- ماذا علينا أن نفعل يا أبي؟ هل نبلغ الشرطة؟

نظر الرجلان إلى الهاتف ثم قال "أليك":

- دعنا لا نتسرع في أي قرارٍ يا بني.

صدر من سلسلة كتب مختلفة:

1. اسمي نور	إلسا أوسوريو	الأرجنتين
2. كلي لك	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
3. أرامل الخميس	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
4. جريمة في بوينس آيرس	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
5. شرخ في الحائط	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
6. نقطة الصفر	ناريج ماليان	أرمينيا
7. مشروع روزي	جرايم سيمسيون	أستراليا
8. الدبلوماسي	إليت أليشكا	ألبانيا
9. قصص بسيطة: رواية من ألمانيا الشرقية	إنجو شولتسة	ألمانيا
10. لأننا في مكان آخر	رشا الخيَّاط	ألمانيا
11. سيلفي مع الشيخ	كريستوف بيترز	ألمانيا
12. حب كالأفلام	فيكتوريا فان تيم	أمريكا
13. أفلام في قصص	مجموعة مؤلفين	أمريكا
14. مصنع الأحذية	چيفري لويس	أمريكا
15. الثلاثة	سارة لوتز	إنجلترا
16. اليوم الرابع	سارة لوتز	إنجلترا
17. حياة على باب الثلاجة	أليس كويبرز	إنجلترا
18. لا صديق سوى الجبال	بهروز بوتشاني	إيران/ كردستان
19. الموت والبطريق	أندري كوركوف	أوكرانيا
20. تاتي	كريستين دوير هيكي	أيرلندا
21. بيت من زجاج	ويندي إرسكين	أيرلندا
22. عملية البنك الأيرلندي	ريتشارد أوراو	أيرلندا
23. جريمة الساحر	أرني ثورارينسون	أيسلندا
24. شركة الحب المحدودة	أندريه سنار ماجنسون	أيسلندا
25. العاصفة	إينار كاراسون	أيسلندا
26. الفخ	ليليا سيجورادوتير	أيسلندا
27. الحب لم يعد مناسبًا	ميلا فينتوريني	إيطاليا
28. أسود صقلية	ستيفانيا أوشي	إيطاليا
29. حذارِ من جوعي	لوتشانا كاستيلينا	إيطاليا
30. من هو لو سيورتينو؟	أوتافيو كابيلاني	إيطاليا

31. أحلام سعيدة يا صغيري	ماسيمو جارميلليني	إيطاليا
32. سيارة اسمها النصر	إيلمار تاسكا	إستونيا
33. أرق من الجلد	أوزما إسلام خان	باكستان
34. سارق الجثث	باتريسيا ميلو	البرازيل
35. امرأة في حقيبة	رافاييل مونتيز	البرازيل
36. بيتنا في إزمير	تاتيانا سالم ليفي	البرازيل
37. كابوس ساو باولو	أنطونيو شيرشينيسكي	البرازيل
38. الروليت الروسي	رافاييل مونتيز	البرازيل
39. شمس الحرية	آنا ماريا ماتشادو	البرازيل
40. مقبرة البيانو	جوزيه لويس بايشوتو	البرتغال
41. نيزك في جالفايش	جوزيه لويس بايشوتو	البرتغال
42. الأثر المقدس	إيسا دي كيروش	البرتغال
43. ماذا فعلت غدًا	برونو فييرا أمارال	البرتغال
44. أن تأتي متأخرًا	ديميتري فيرهولست	بلجيكا
45. فندق الغرباء	ديميتري فيرهولست	بلجيكا
46. التعساء	ديميتري فيرهولست	بلجيكا
47. صانع الملائكة	شتيفان بريجس	بلجيكا
48. مخاوفي السبعة	سلافيدين أفيدتش	البوسنة
49. جامع الكتب	جوستابو فابيرون باترياو	بيرو
50. أبسنت	أيفر تونش	تركيا
51. أحلام محطمة	بيولنت سينوكاك	تركيا
52. ارحل قبل أن أنهار	تونا كيرميتشي	تركيا
53. امرأة صديقي	تونا كيرميتشي	تركيا
54. توباز	هاكان جنيد	تركيا
55. ثلاثة على الطريق	تونا كيرميتشي	تركيا
56. جريمة في البوسفور	أسمهان أيكول	تركيا
57. جريمة في إسطنبول	أسمهان أيكول	تركيا
58. الطلاق على الطريقة التركية	أسمهان أيكول	تركيا
59. خطايا الأبرياء	برهان سونميز	تركيا
60. ديستينا	ماين كيركانات	تركيا
61. الشيطان امرأة	هاندي ألتايلي	تركيا
62. الصلوات تبقى واحدة	تونا كيرميتشي	تركيا
63. لون الغواية	هاندي ألتايلي	تركيا

64. مينتا	سولماز كاموران	تركيا
65. نساء إسطنبول	مجموعة قصصية	تركيا
66. سحر	صلاح الدين دميرتاش	تركيا
67. جريمة أبي	هاكان جنيد	تركيا
68. الرجل الذي باع العالم	ألبير چانيجوز	تركيا
69. المدينة ذات العباءة القرمزية	أصلي إردوغان	تركيا
70. جرائم براج	ميلوش أوربان	التشيك
71. معسكرات الشيطان	ياخيم توبول	التشيك
72. حدث في كراكوف	بيترا هولوفا	التشيك
73. حُفِظت القضية	باتريك أورشانديك	التشيك
74. ديتوكس	سوزانا برابتسوفا	التشيك
75. سرادق طائر البطريق	إميل هاكل	التشيك
76. كافكا	فرانز كافكا	التشيك
77. المواطن فانيك	فاتسلاف هافل	التشيك
78. احذري يا آنا	ماريك سينديلكا	التشيك
79. الحب في زمن الاحتباس الحراري	جوزيف بانيك	التشيك
80. آزوري	ك. سيلو دويكر	جنوب أفريقيا
81. المبعدون	أوجنين سباهيتش	الجبل الأسود
82. العقل المدبر	ديفيد أوجنر	جواتيمالا
83. المنتحر	أولجا سلافينكوفا	روسيا
84. منطقة الفيضان	رومان سنشين	روسيا
85. رسائل سبتمبر	برايوني رحيم	زيمبابوي
86. امرأة للبيع	أورشولا كوفاليك	سلوفاكيا
87. خلف طاحونة الجبل	مجموعة قصصية	سلوفاكيا
88. يوغوسلافيا.. أرض أبي	جوران فوينوفيتش	سلوفينيا
89. الحياة هنا	ميرال قريشي	سويسرا
90. ربيع البربر	يوناس لوشر	سويسرا
91. كرافت	يوناس لوشر	سويسرا
92. كاتبة وكاتب	فيولا رونر	سويسرا
93. المتلعثم	تشارلز ليفينيسكي	سويسرا
94. جريمة عيد الميلاد	أندريه روزلاند	السويد
95. بكين.. بكين	شيو تسي تشين	الصين
96. بنات الصين	يي مِاي	الصين

97. الربع الأخير من القمر	تشيه زيه جيان	الصين
98. رحلة الانتقام	جوو دا شين	الصين
99. سبع ليالٍ في حدائق الورد	يي مِاي	الصين
100. النجمة الحمراء	يركسي هولمانبيك	الصين
101. رقصة الكاهنة	جين رن شون	الصين
102. أيام.. شهور.. سنوات	يان ليان كه	الصين
103. الألفية في بلجراد	فلاديمير بيستالو	الصرب
104. المغفلون	إريك نويوف	فرنسا
105. جريمة في باريس	صوفي إيناف	فرنسا
106. أخي الكبير	ماهر جوفن	فرنسا
107. ندبات	دالي ميشا توريه	فرنسا
108. المجاعة البيضاء	آكي أوليكانين	فنلندا
109. التطهير	صوفي أوكسانين	فنلندا
110. اعترافات مؤجلة	ماجيلا بودوين	فنزويلا
111. الكاتدرائية السوداء	مارسيال جالا	كوبا
112. النسيان	إيكتور آباد	كولومبيا
113. أين أنتِ؟	سانتياجو جامبوا	كولومبيا
114. فتاة كازابلانكا	إن كولي جان بوفان	الكونغو
115. ألوان الذاكرة	چيفري مور	كندا
116. العملية "سمكة الفيل"	أوتو أوزولس	لاتفيا
117. أمي عميلة سرية	أوندراش فورجاتش	المجر
118. صانع الزجاج	إرميس لافازانوفسكي	مقدونيا
119. القنَّاص	بلايز مينيفيسكي	مقدونيا
120. الواحد والعشرون	توميسلاف عثمانلي	مقدونيا
121. القزم	أليكساندر بروبوكيف	مقدونيا
122. د. مينجوس.. الأخ الأكبر	خيسوس ريكاردو فيليكس	المكسيك
123. الجريمة المكسيكية	إكتور آجيلار كامين	المكسيك
124. إلينج	إنجفار أمبيورنسون	النرويج
125. صيف بارد جدًّا	روي ياكوبسن	النرويج
126. جريمة العروس الهندي	كارين فوسوم	النرويج
127. جريمة على حافة البحيرة	كارين فوسوم	النرويج
128. سميته كرافتة	ميلينا ميشيكو فلاشر	النمسا
129. حرية حزينة	فريدريكه جيزفاينر	النمسا

130. ف.و.م.و	ألموت تينا شميت	النمسا
131. حزن غير محتمل	بيتر هاندكه	النمسا
132. ثقل العالم	بيتر هاندكه	النمسا
133. في ليلة مظلمة تركت منزلي الصامت	بيتر هاندكه	النمسا
134. عودة مطولة إلى الوطن	بيتر هاندكه	النمسا
135. أعيش مع شبح	لورا فرويدنتالر	النمسا
136. أختي قاتلة متسلسلة	أوينكان بريثويت	نيجيريا
137. دكَّان الساري	روبا باجوا	الهند
138. جوي سبيدبوت	تومي فيرينيجا	هولندا
139. العشاء	هيرمان كوخ	هولندا
140. المنزل الصيفي	هيرمان كوخ	هولندا
141. عمدة أمستردام	هيرمان كوخ	هولندا
142. تلك الأسماء	تومي فيرينيجا	هولندا
143. أجمل فتاة في چنوة	إيليا ليونارد فايفر	هولندا
144. قلق الأمسيات	ماريكا لوكاس رينفيلد	هولندا
145. عقيدة الأغنياء	ماريا تاسلر	كرواتيا
146. بذلة فضاء برتقالية اللون	لويد ماركهام	ويلز
147. المدينة الخاوية	جاري رايموند	ويلز
148. لماذا قتلت أعز صديقاتي؟	أماندا ميكالوبولو	اليونان

صدر من كتب عامَّة:

149. الرجل والمرأة أيهما الجنس الأضعف؟	جيرالد هوتر	ألمانيا
150. قانون التسامح	هوبرتس هوفمان	ألمانيا
151. هاربون من الموت	فولفجانج باور	ألمانيا
152. المختطفات: شهادات من فتيات بوكو حرام	فولفجانج باور	ألمانيا
153. الشاي: ثقافات.. طقوس.. حكايات	كريستوف بيترز	ألمانيا
154. لماذا تنتفض الشعوب؟	جيرو فون راندوف	ألمانيا
155. الرمان: تاريخ وحكايات من حول العالم	برند برونر	ألمانيا
156. القمر	برند برونر	ألمانيا
157. السادات.. شميت: حوار الأزمات	كارل جوزيف كوشيل	ألمانيا
158. مستقبل النسوية	مجموعة مؤلفين	إنجلترا
159. إسكتشات مصرية	جيريمايا لينش	إنجلترا
160. شذرات من التاريخ المصري	آرثر بروم	إنجلترا

161. تشرنوبل: 01:23:40 الحقيقة كما حدثت	أندرو ليذربارو	إنجلترا
162. الهاشميون وحلم العرب	روبرت ماكنمارا	أمريكا
163. الهندي الأحمر الأيسلندي	جون جنار	أيسلندا
164. القرصان الأيسلندي	جون جنار	أيسلندا
165. عن الوقت والماء	أندري سنير ماجنسون	أيسلندا
166. مختصر تاريخ الصين	مايكل ديلون	الصين
167. زيارة لمكتبات العالم: أشهر مكتبات بيع الكتب	خورخي كاريون	إسبانيا
168. ضد أمازون	خورخي كاريون	إسبانيا
169. يوميات صحفية إيطالية	جوفانا لوكاتيلي	إيطاليا
170. الذكاء الأخضر	ستيفانو مانكوسو	إيطاليا
171. خيالات الشرق	إيسا دي كيروش	البرتغال
172. ضد الانتخابات: دفاعًا عن الديمقراطية	دافيد فان ريبروك	بلجيكا
173. أوروبيانا	باتريك أورشادنيك	التشيك
174. قوة المستضعفين	فاتسلاف هافل	التشيك
175. كيفية حساب بصمتك الكربونية	دويين باهتشجي	تركيا
176. النشوة المادية	جي. إم. لو كلوزيو	فرنسا
177. لن أمنحكم كراهيتي	أنطوان لاريس	فرنسا
178. جابو	أوسكار بانتوخا	كولومبيا
179. لن أموت: حكايات من حياة جابرييل جارسيا ماركيز	كونرادو زولواجو	كولومبيا
180. الجري	ثور جوتاس	النرويج
181. عقول مريضة	دوي درايسما	هولندا
182. اللعب مع الكبار	يوريس لونديك	هولندا
183. النسوية للرجال	ينس فان تريخت	هولندا
184. سوفييتستان	إريكا فاتلاند	هولندا
185. قصص يحكيها الأطباء عن مرضاهم	إلين دي فيسر	هولندا